

قضايا المرأة

محمد الغزالى

www.al-mostafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

طلب جماعة من المسلمين المقيمين بإنجلترا أن تسمح لهم السلطات مدارس إسلامية خاصة! وهذا طب عادى، وقد ألفنا فى أرجاء العالم الإسلامي أن يقيم المهاجرون إلى بلادنا مدارس خاصة بهم يتلقون فيها تعاليم دينهم ويتقنون لغتهم إلى جانب المعارف المدنية العامة. إلا أن نفرا من الإنكليز عارضوا الطلب، وضاقوا بإنشاء هذه المدارس قائلين: إنها ستقوم على تفرقة عنصرية بين البنين والبنات! واتهموا الإسلام بأنه متحيز ضد النساء، ومسقط لحقوق المرأة.. غير أن حزب العمال البريطاني ساند الطلب، وقال المتحدث الرسمي لشئون التعليم بالحزب `مستر جاك سترو` - كما ذكرت صحيفة `التايمز` - إن الذين يعترضون إقامة هذه المدارس مخطئون، وربما غلبتهم نزعات عنصرية، واتهمتهم بأنهم لا يعرفون الإسلام .. وفي مؤتمر عقد فى لندن حول مستقبل التعليم الإسلامي فى إنجلترا قال مستر جاك سترو: إن معاملة المجتمع الإسلامي للمرأة يجب أن تدرس دراسة عميقة، وأن ينظر فيها إلى الأصول..! لقد سمعت مزاعم كثيرة بأن الإسلام ضد المرأة، ويعتمد أصحاب هذه المزاعم على عدم وجود نساء يشتغلن بالدعوة الدينية، أو يلقين دروسا بالمساجد، وأن الرجال يحتكرن السيادة أو القيادة فى هذا الميدان كما يحتكرنها فى المجال السياسى. قال: وهناك جهل شبه تام بدور المرأة فى `اللاهوت` الإسلامي وفي تاريخ الإسلام

نفسه!! وعند التأمل نرى وضع المرأة المسلمة أهم من وضع المرأة اليهودية أو النصرانية في الأيام الماضية.. ثم إن النبي محمد أعطى النساء حق الإرث في كل الممتلكات قبل أن تفعل ذلك الحكومة البريطانية بثلاثة عشر قرنا.. الحق أني شكرت مثل حزب العمال على دفاعه الحسن! وإن كانت الإذاعة البريطانية قد ردت ذلك إلى التنافس الانتخابي وكسب الأصوات من حزب المحافظين!. وأعود أنا إلى الموضوع نفسه لأتحدث فيه على عجل، فقد تناولته بشيء من التفصيل في كتاب آخر . الإسلام متهم بإهانة المرأة، واستضعفها..! فهل في كتاب الله وفي سنة رسوله ما يبعث على التهمة؟؟ القرآن بين أيدينا لم يتغير منه حرف، وهو قاطع في أن الإنسانية تطير بجناحين، الرجل والمرأة معاً وأن انكسار أحد الجناحين يعني التوقف والهبوط!. فلننظر إلى السنة، ولنستبعد ما التصدق بها من الواهيات والمتروكات. إن مصاب الإسلام في المحدثين عنه لا في الأحاديث نفسها. نبينا يوصي بأن تذهب النساء إلى المساجد ` تفلات ` أي غير متعرجات ولا متبرجات، ولكن `القسطلاني` في شرحه للبخاري يرى أن تذهب النساء إلى المساجد بشباب المطبخ، وفيها رواح البقول والأطعمة!! وغيره يرى ألا تذهب أبداً، فأى الغريقين شر من صاحبه على الإسلام؟. وفي البخاري أن النبي عليه الصلاة والسلام أجاز أن يسلم الرجال على النساء، وجاء فيه أن الرسول الكريم قال لعائشة: هذا جبريل يقرأ عليك السلام - وكان في صورة رجل. فجاء من يقول: ذاك عند أمن الفتنة! أو ذاك مع النسوة المحارم أو العجائز أو الدميمات.

ومع ورود سنن بسلام الرجال على النساء أو النساء على الرجال، فقد كان جهد الشراج وقف العمل بها على أي صورة، وكما امتد الزمان زادت هذه الشروح قوة حتى ألغت الأصل المتبوع، وأحلت مكانه التفسير المتشائم المغشوش!. وفي كل عصر توجد نسوة نوابع متقدمات قارئات فقيهات، يستطيعن جعل بيوتهن مساجد عامرة بالخير. `منهن أم ورقة` التي قال الصناعي عنها في الحديث رقم 392: أمرها النبي - عليه الصلاة والسلام - أن تؤمر أهل دارها . وبعد أن حط عنها الغزو - وكانت تريد القتال في بدر - جعل لها مؤذنًا يدعوا للصلوة. قال الصناعي: والظاهر أنها كانت تؤمه، وغلامها وجاريتها!. وذهب إلى صحة ذلك أبو ثور والمزنى والطبرى، وخالفت في ذلك الجماهير.. والذى أميل إليه أن تلك حالة خاصة، إذ كانت المرأة رضى الله عنها قد جمعت القرآن كلها، والرجال وحدهم هم الأقدر والأولى بإماماة المساجد الجامعة.. وأعود إلى التجربة الكبيرة التي سوف يمر المسلمون بها في إنجلترا وغير إنجلترا بعد أن يبنوا مدارسهم الخاصة! ترى هل سيلزمون الطالبات بالنقاب؟ إذا حدث ذلك فسيكون قضاء على الدعوة الإسلامية والصحوة الإسلامية، ولن يقبل رجل أو امرأة الدخول في هذا الدين!. إن الأوروبيين يعرفون ملابس الفضيلة في أزياء الراهبات عندهم وهذه الأزياء أقرب ما تكون إلى الحجاب الشرعي عندنا. وإذا نحن التزمنا بهذا الحجاب أنصفنا ديننا، وأغرينا عشاق الفضيلة بالدخول فيه!. أما إخفاء الأيدي في القفازات وإخفاء الوجوه وراء هذه النقاب، وجعل المرأة شبيحا يمشي في الطريق معزولا عن الدنيا، فذاك ما لم يأمر به دين . بل ذاك ما يجعل كل التهم التي نفاحتها عنا حزب العمال ترتد إلينا ليظلم بها اليوم والغد..

وأسأل القائلين بالنقاب: إنكم تعلمون أن مذهبكم رأى لم تجنبه كثرة المفسرين والمحدثين والفقهاء، فماذا عليكم لمصلحة الإسلام أن تتركوه ترجحا لمصلحة أهم وتجنبها لضرر أفدح؟ أعرف الدكتور عمر ناصيف رئيس رابطة العالم الإسلامي إنه من أنضج وأتقى العاملين في ميدان الدعوة، وأخبر الرجال بالعواقب التي تعترضها. ألا يستطيع الرجل الذكي إقناع المراجع الدينية عنده بموقف أرشد؟ ثم تتعاون الجمود بعد إذ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ في هذا العصر يوجد فتيان وشيوخ لهم أدمنجة مظلمة متحجرة، يقولون: رأينا وحده! ولا حياة لرأى آخر ولا مكان له، إنهم طراز جديد من الخارج القدماء! قص على أحد طلبتي النابهين حوارا وقع بينه وبين متدين شديد الغلو ينتمي - كما يصف نفسه - إلى الإخوة أهل الحديث، سأله: أنت من يعلقون الصور على الجدران، ويوافقون على نشرها بالصحف؟ قال: نعم! فرد عليه، سيلحقك الوعيد الذي ورد في الحديث الشريف ``أشد الناس عذابا يوم القيمة المصورون`` لأنك تشجعهم وتناصرهم ! قال له الطالب: رأينا أن الحديث في صانعي التماشيل لا فيمن يرسون على الورق. ولا أريد أن أدخل معك في جدال وإنما أريد أن أنبهك إلى أن شرائع وشعائر إسلامية كثيرة قد تهدمت في هذا العصر، والاتفاق على ضرورة بنائها من جديد ليس موضع نزاع! فتعال أنت ومن معك لتعاون في إقامة الصرح المنهار، ولنترك الشجار في الأمور الخلافية...!. فكان الجواب: ما نضع أيديينا في أيديكم! وما نشق في دينكم، بل أنتم وأعداء الإسلام سواء... قلت لصاحبى بعد ما سمعت قصته: إذا كان الرجل مجتهدا مخطئاً أعماه التعصب، فسوف يبصر يوما ما، ويؤوب إلى الحق! إنما أخاف شيئا واحدا، أن يتحول هذا

وَزَمَلَاؤُهُ إِلَى جَنْدِ الْبَاطِلِ مِنْ حِيثُ لَا يَشْعُرُونَ.. إِنَّ لِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فِي بَلَادِنَا رِجَالًا مَكْرَهَةٍ يَوْقِنُونَ بِأَنَّ الْجَبَهَةَ إِذَا تَمْحَضَتْ لِأَهْلِ الْوَعْيِ وَالْفَقْهِ فَهُمْ مُنْتَصِرُونَ حَتَّمًا! وَلَذِكَّ يَفْتَحُونَ أَلْفَ طَرِيقًا لِأَوْلَئِكَ الْغَلَّاجَةَ حَتَّى يَسُودُ صِيَاحُهُمُ السَّاحَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ. وَيَتَأَمَّلُ أُولُو الْأَلْبَابِ فِيمَا يُقَالُ، ثُمَّ يَقْرَرُونَ تَرْكُ الْإِسْلَامِ كُلَّهِ.. كَانَ التَّيَارُ الْإِسْلَامِيُّ فِي الْجَزَائِرِ مُتَقَدِّمًا نَاصِرًا لِلْمُسْتَقْبِلِ يُوْشِكُ أَنْ يَغْسِلَ الْأَرْضَ مِنْ أَدْرَانِ الْإِسْتِعْمَارِ الْقَدِيمِ، الْإِحْتِشَامُ حَلُّ مَحْلِ التَّبْرُجِ، وَالْإِطَارُ الْإِسْلَامِيُّ أَحْكَمَ الْإِلْتِفَافَ حَوْلَ التَّطْوِيرِ الْحَضَارِيِّ، وَقَادَهُ نَحْوُ الْحُرْبَةِ وَالْخَيْرِ وَسَائرِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ! إِنَّا إِذَا صِيَحَّاتِ مَجْنُونَةَ تَعْلُو بِضُرُورَةِ النَّقَابِ وَالْجَلْبَابِ وَالْقَشْوَرِ الَّتِي يَضِيَّعُ مَعَهَا الْلَّبَابَ، وَكَانَتِ النَّتِيْجَةُ أَنْ أَوْجَسَ أُولُو الْأَلْبَابِ خِيفَةَ مِنِ الْإِسْلَامِ وَصَحْوَتِهِ، وَهُمْ مُعَذَّرُونَ وَتَقْهِفَتِ الصَّحَوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَقْبَ تَلْكَ الْفَوْضِيِّ.. إِنَّا إِذَا تَرَكَنَا إِفْرِيقِيَّةَ إِلَى آسِيَا وَجَدَنَا الْمَرْضَ نَفْسَهُ وَالنَّتَائِجَ نَفْسَهَا، فَأَغْلَبَ الْأَعْاجِمُ - وَهُمْ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ - يَتَبعُونَ الْمَذَهَبَ الْحَنْفِيِّ، أَوَ الشَّافِعِيِّ، وَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَسَمَّوْنَ بِأَهْلِ الْحَدِيثِ يَطِيبُ لَهُمُ الْطَّعْنُ فِي الْمَذَهَبِيْنَ وَالْتَّوْهِيْنَ لِلْإِمَامِيْنَ الْكَبِيرِيْنَ وَمِنْ ثُمَّ تَقْعُ الْفَرَقَةُ وَالْفَتَنُ وَلَا مُسْتَقْبِلُ لِدِينِنَا مَعَ هَذِهِ الْفَوْضِيِّ الْعُلْمِيَّةِ وَالْخَلْقِيَّةِ.. إِنِّي أَنْصَحُ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَرْفَعُونَ رَأْيَةَ السَّنَةِ - وَلَا سَنَةَ لِدِيْهُمْ - أَنْ يَتَقَوَّلُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْتَهِمْ، يَجْبُ أَنْ يَجْمِعُوا وَلَا يَفْرَقُوا، وَأَنْ يَمْهُدُوا الْطَّرِيقَ لِعُودَةِ الْإِسْلَامِ بَدْلًا أَنْ يَضْعُوا أَمَامَهُ الْعَقَبَاتِ! إِنَّ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ عَاشَتْ طَوَالَ الْقَرْوَنَ، وَهُنَّ تَعْرِفُ الْاِخْتِلَافَ الْفَقْهِيَّ. فِي هَذَا الْكِتَابِ خَوَاطِرٌ مُنْتَهَرَةٌ جَمَعَتْ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْأَدْبِ وَالنَّقْدِ وَالتَّارِيْخِ وَالْفَتْوَى الْغَابِرَةِ وَالْمُعَاصرَةِ، لَكُنَّهَا جَمِيعًا تَنْصُلُ بِقَضَايَا الْمَرْأَةِ وَالْأَسْرَةِ وَالْمَجَمِعِ الصَّغِيرِ! وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْلُوبَ أَدْنَى إِلَى مَزَاجِ طَالِبِ الثَّقَافَةِ قَى أَمْتَنَا، وَأَدْنَى كَذَلِكَ إِلَى عَرْضِ الْإِسْلَامِ فِي ثَوْبِ جَدِيدٍ.. قَدْ يَكُونُ الْفَقْهُ الْمُجَرَّدُ جَافَا فَلَنْضَعُهُ فِي هَذَا الْقَالِبِ لَعِلَّهُ يَكُونُ أَحْسَنُ مَذَاقًا..

وهذه الخواطر وجدت طريقها إلى النشر في طائفة من الصحف، وكان من الخير أن يضمها سفر وحيز، لعل الله ينفع بها ويدعم الحق ويتوسّع دائرته... محمد الغزالى

الباب الأول لنفهم الإسلام أولاً 1- مصدر الاعتقاد الحق. 2- حسّنوا صورة المرأة المسلمة. 3- رهينة المحبسين: الجهل والفقر. 4- الإسلام يحمي الأسرة. 5- العلماء مسؤولون. 6- غرور أصحاب الأديان. 7- لحساب من يتحدثون؟ 8- خطيبة الأصدقاء الجهلة. 9- الدور الغائب للمرأة. 10- المساواة ثابتة في القرآن. 11- مراعاة الوظائف واجبة. 2- لكن يتطهّر المجتمع. 3- خطر القنبلة الجنسية. 4- الإسلام في بلاد المهاجر. 5- حوار مع ماركسى!

مصدر الاعتقاد الحق عندما أتبعد آيات الله في الأنفس والآفاق أربط بالواقع وأنأى عن الخيال، وفي هذا الارتباط يستوى عندي الضخم والضئيل! فلل الكبير جداً عظمته، وللصغير جداً دقته . الواحد الذي على يمينه عشرون صفراً يمثل عدداً هائلاً في الضخامة فإذا كان هذا الواحد ذو الأصفار العشرين يمثل كسراً عشرياً اعتيادياً كما يقال في علم الحساب بالأمر بالغ الصالحة. ومن هنا فأنا أتعرف على آيات الله في عالم الكواكب، كما أتعرف عليها في عالم الجراثيم، هذه ترى بمنظار مكبر وتلك ترى بمنظار مقرب.. وربما تخيلت ما أرآه من آيات بعد مرورى به، كنت في الجزائر فشاهدت جيلاً يشبه حرف الألف، كان صخرة شاهقة يرتد طرفيها عن قمتها، وتوهمت أنه يريد أن ينقض . وبعد ساعة من البعد عنه عادت صورته إلى خيالي فقلت: أما يزال يريد أن ينقض؟ لا، سيبقى كذلك حتى يأذن الله، ويتحقق قوله: `ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً. ` وكما سبح بي الخيال هنا يسبح بي الخيال وأنا أتصور الألوف المؤلفة من الشموس والنجوم الدوارة في الفضاء البعيد، إنها كشمسنا المألهفة تشرق ! وتغرب ونحن أيقاظ أو رقود، قد تبلغ مليارات من الكواكب تجري غير متوقفة ولا متعرجة، هي كما وصفها

الله ` و النازعات غرقا * و الناشطات نشطا * و السابحات سبحا * فالسابقات سبقا *

فالمدبرات أمرا ` إنها مسخرة بأمر ربها، دوارة بإذنه وحده، ويوشك أن يأذن لها بالتوقف، والانطفاء متى؟ ` يوم ترجمف الراجفة * تتبعها الرادفة . إن أمجاد الألوهية تذهل العقل، ويزداد الذهول عندما أعلم أن المشرف على هذه السموات الواسعة مشرف في الوقت نفسه على حيوانات جرثومية تجتمع المليارات منها في سنتيمتر، أو مشرف على مليارات الخلايا في مخ واحد، بين خمسة مليارات مخ بشري تسكن الأرض! ذلك عدا كائنات أخرى يقول فيها جل شأنه ` وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون . إن القوانين التي تنظم الكون من الذرة إلى المجرة واحدة. في النهر الذي أتخيله من الشريانين الممتدة في كل جسم بشري لا تند قطرة واحدة من الدم السارى في العروق، لا تند عن علم الخالق ومشيئته وقدرته وحكمته. فإذا تركت المادة إلى الفكر، تكررت العبرة نفسها، إن تيار الشعور الذي يهتز في بدنى إدراكا ووجودانا ونزاوعا . كما يعبر علم النفس . ليس حكرا على وحدي، إنه ينظم الخلائق طرا .، فكل خاطر يساور نفس بشر، وكل عم يحصله، كتبه أو قرأه، سجله أو لم يسجله ، ذكره أو نسيه، كل ذلك ينتظم صفحة واحدة أمام رب العالمين، جامعا بين شتى اللغات وشتى الأزمنة ` وكل صغير وكبير مستطر ` يستحيل أن يغيب عنه، أو يتم بعيدا عن سمعه وبصره وإحاطته!! أريد أن أقول للمسلمين: إن قرآنكم هو المصدر الأول للاعتقاد الحق، وإن علوم الكون والحياة هي الشارح الجدير بالتأمل والمتابعة.. وإن العظمة الإلهية تزداد تألقا في عصر العلم وإن التقدم العلمي صديق للإيمان، وخصم للإلحاد. ! وأريد أن أحذر المسلمين من منتبين إلى العلم لا قدم لهم فيه، فليس فرويد أو

دور كايم من العلماء، إنهم مفكرون مرضى ضلوا السبيل، وليس ماركس وأتباعه علماء، إنهم كهان جدد، استبدت بهم علل نفسية، وما كانوا يستطيعون السير لولا الفراغ الذي أتيح لهم من قصور المتدلين وتفريطهم في جنوب الله.

حسنوا صورة المرأة المسلمة كنت في ملتقى الفكر الإسلامي عندما تحدث السفير الألماني عن الإسلام وقال للحاضرين يجب أن تصححوا أوضاع المرأة عندكم! فإن صورة المرأة الإسلامية تنفر الأوروبيين من الدخول في الإسلام!! . قال لي أحد المستمعين: ماذا نفعل؟ فقلت له: عندما يعرض التاجر سلعه فيضفي عليها صفات ليست لها فإنه يكون غشاشا، وعندما يعرضها وهو غير خبير بخواصها ، فتبدو للناس دون مستواها فإنه يكون مغفلا، وسيظلم بضاعته ويجر عليها الكساد! . والرجل - بعد ما شرح الله صدره للإسلام - يقول للمسلمين: أحسنوا عرض دينكم، ولا تصدوا الآخرين عنه بسوء الفهم وسوء العمل! لنفرض أن رجلا كل رأسماله في السنة حديث الحاكم في المستدرك أن المرأة لا تتعلم الكتابة، أو حديث صاحب الزوائد أن المرأة لا ترى رجلا ولا يراها رجل، ثم جاء هذا المسكين ببضاعته المزجاة أو أحاديثه الموضوعة والمتروكة يعرض الإسلام على أهل أوروبا أو أمريكا، هل يدخل في الإسلام أحد؟ هل يحترم الإسلام رجل أو تحتفي به امرأة؟؟ إن بعض المسلمين يعرضون دينهم مزورا دميم الوجه ثم يذمون الناس لأنهم رفضوه، وعندى أن هذا البعض الجهول يجب سجنه أو جلده لأنه صاد عن سبيل الله، فتنان عن الحقيقة التي صد بها صاحب الرسالة الخاتمة عليه الصلاة والسلام.. إن الإسلام سوى بين الرجل والمرأة في جملة الحقوق والواجبات، وإذا كانت هناك فروق معدودة فاحتراما لأصل الفطرة الإنسانية وما يبني عليها من تفاوت الوظائف! وإلا

فالأساس قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجِبْ لَهُمْ رِبْهُمْ أَنِي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكْرٍ أَوْ أَنْثِي
بَعْضَكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ وقوله: ﴿مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ مِّنْ ذَكْرٍ أَوْ أَنْثِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلِنَحْيِنَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً
وَلِنَجْزِيَنَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. إن هناك تقاليد وضعها الناس ولم يضعها رب
الناس درجت الوضع الثقافى والاجتماعى للمرأة، واستبقيت فى معاملتها ظلمات الجاهلية
الأولى، وأبىت إعمال التعاليم الإسلامية الجديدة فكانت النتائج أن هبط مستوى التربية ومال
ميزان الأمة كلها مع التجهيل المتعتمد للمرأة والانتقاص الشديد لحقوقها... قال لى أحد
المستمعين غاضبا: أيسرك أن تكون بنازير بوتو رئيسة وزراء؟ فقلت ضاحكا: سألنى
مسلم إنكليزى: هل يحاربون مسز تاتشر لأنها امرأة تولت الحكم؟ فقلت له: بماذا تجيب
هذه المرأة! إذا قالت لك - وهى واسعة الثقافة - إننى توليت الحكم على مذهب أهل
الظاهر فى الفقه الإسلامي! ثم استتلىت: لا تجعلوا بعض الأحكام الفرعية المختلف فيها
حجر عثرة أمام عقائد الإسلام وأركانه الكبرى...

رهينة المحبسين الجهل والفقر كنت أتحدث في أحد الأندية عن حقوق المرأة المسلمة، فقلت: إن لها حق الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتدريس هدایات الإسلام ومجادلة الملحدين فيها.. الخ. فإذا شخص يقول لصاحبه: كنا نظن هذا المحاضر رجلا صالحا فتبين أنه أعن من قاسم أمين ! . وتذكرت ما قاله الأستاذ أحمد موسى سالم عن قاسم أمين وعن الدور الذي قام به في الدفاع عن الإسلام ضد الغزو الثقافي الفرنسي الذي حمى واشتد في عصره.. بدأ هذا الغزو بهجوم من المؤرخ أرنست رينان على العرب والمسلمين تصدى له جمال الدين الأفغاني فأبطل حجته، وكشف تعصبه، ورد عن الإسلام أباطيله، وبدأ الخصم العنيد وكأنه قد لان واستكان لما سمع . ثم أشتبك في هذا الحوار المخطط الشيخ محمد عبد ليرد على إفك وزير خارجية فرنسا مسيو هانوتو الذي طال افتراؤه على الإسلام واتهامه لنبيه- عليه الصلاة والسلام-، فكان كتاب الشيخ محمد عبد عن علاقة العلم بالدين الذي ألفه في ليلة واحدة قاطعا للسان الوزير الكذوب. قال الأستاذ أحمد موسى: وكان دور قاسم أمين في هذا الحوار جاهزا. وكان محوره الأساسي هو المرأة في الشريعة الإسلامية، وكانت المبارزة التي خاضها مع الخصم الفرنسي الثالث دوق داركور الذي أصدر سنة 1893 كتابا عنوانه مصر والمصريون تناول فيه حياة المجتمع المصري أيام الحكم المملوكي والتركي، وهي فترة

بلغت ستة قرون عجاف تراجعت فيها خصائص الحياة عن جمهرة الأمة الإسلامية، مما جعل دوق داركور يبسط قلمه بالأذى، ويرسم صورة قاتمة وبدئية للشعب كله، ويخص المرأة بمزيد من التجريح والزراية.. ويرد ذلك كله إلى طبيعة الإسلام المتأبة على الترقى والحضارة..! . ماذا فعل قاسم أمين ليدافع عن دينه وأمته؟ سارع إلى تأليف كتاب بالفرنسية فند فيه أقوال خصمه، وشرح حقوق المرأة في الإسلام، وما كفله الدين لها من كرامة مادية وأدبية، ووازن قاسم أمين بين حجاب السترة والاحتشام عندنا وبين تبذل المدنية الحديثة وما أحاطت به أوضاع المرأة من انحلال وتهتك..! . إن ما فعله قاسم أمين كان محكوما بأمريرن أولئما الدفاع عن الإسلام المفهوم من مصدريه الرئيسيين والآخر الاعتذار عن تخفف المرأة بأنه من تقاليد غريبة على التوحيد الإلهي ناشئة عن أخطاء الشعوب ! . وما يستطيع الرجل أن يفعل إلا هذا! هب أن أوروبا أو أمريكا اتهموا الإسلام بأنه يحظر على المرأة الذهاب إلى المسجد، وأن الإسلام بهذا الحظر دين شاذ، لأن الأديان كلها لا تمنع النساء من التردد على بيت الله، أو على معبدها الخاص بها.. فماذا أقول له؟ أصدقه في اتهامه؟ أم أقول له: إن هذا الحظر ليس من تعاليم الإسلام، وإنما هو من تقاليد بعض البيئات! أدفع عن الإسلام صادقا؟ أم أدفع عن المنتسبين إليه كاذبا؟ لقد رأيت بعض الإسلاميين يفقد وعيه في الدفاع عن موروثات ما أنزل الله بها من سلطان، كان من السهل عليه أن يكذب الله ورسوله، ولتمس عادات تلقاها عن آبائه...!! . هناك حراس للخطأ يرتفع عويا لهم إلى عنان السماء عندما ينتقد هذا الخطأ، وقد كنت أول أمرى قليل الاكتتراث بهذا العوين، بيد أنى وجدته يتحول على مر الأيام إلى ضغينة على المصلحين واستباحة لأعراضهم لا يمكن السكوت عليها، لأن الدين نفسه سوف يضار من هذا السكوت، وسوف تتحول حقائقه إلى أباطيل..

وقد سمعت من يشتم جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا، بل سمعت أطفالا ينالون من أقدار الأئمة الأعلام، لا لشئ إلا لأنهم أتوا بما لم يعهدوه عن آبائهم الذين لا يقلون عنهم جهلا.. لقد أدهشنى أن نفرا من المتدينين يتناولوننى بأقسى مما يتناولنى به الصهاينة والصلبيون! وفهمت ما قاله الأستاذ عصام العطار: لو بذل أدعىاء الإسلام فى محاربة أعداء الله والمبطلين عشر ما يبذلون فى حرب أولياء الله الصادقين لانتصر الإسلام من زمن بعيد. ولكن من النفوس ما ينشط فى الباطل ما لا ينشط فى الحق، ويندفع لأهوائه ودنياه ما لا يندفع لآخرته ومرضاة ربه عز وجل.. ثم يقول عصام العطار: كم احتقر هؤلاء الذين يعلقون أقذر مطامعهم وأهوائهم على مشا gevib المثل العليا. إن هذا الكلام نتيجة معاناة مريرة أحسها الدعاة الجادون! إننا ملتزمون بالوحي الأعلى لا نزيغ عنه قيد أنملة، وملتزمون بعصر النبوة والخلافة الراسدة أما المسيرة التاريخية للأمة الإسلامية فإن التاريخ أعمال حكام ومواقوف شعوب، وهذه وتلك ليست مسالك معصومة، بل قد يكتنفها الخطأ كما قد يحفلها الصواب.. أى أنه يحكم عليها ولا يحتمكم إليها، والمقياس المعصوم كتاب الله وسنة نبيه.. وقد رأيت فى أواخر عصر الجahiliya وبدايات عهد الإسلام أن المرأة حضرت بيعة العقبة دون اعتراض، وبايعت على الموت تحت الشجرة، أو على عدم الفرار. وكان مستحيلا أن يؤذن لها بذلك فى أواخر التاريخ الإسلامي، فماذا يعنى هذا الوضع؟ ولأترك أمر البيعة وشئون المسلمين العليا، إننى عاصرت أوائل عمرى معركة نشببت بعد ما اكتشف أن الدكتور طه حسين أذن لعدد من الطالبات بدخول كلية الآداب، عندما كان عميدا لها... كان موقف الإيمان - أو بتعبير أدق - موقف المؤمنين أن ذلك لا يجوز، أما الطرف الآخر، والذى سمى بالملحدة فهو الذى ناصر تعليم المرأة إلى أعلى المستويات!

أى إنصاف للإسلام فى هذه المعركة السخيفية؟ الدين مع الجهل، والإلحاد مع العلم؟ إلى متى نسمح لأناس يكذبون على الأرض والسماء باسم الدين؟ ولقد تحدثت مع المسؤولين فى وزارة الشئون الدينية بالجزائر أن تعقد فى المساجد الكبرى حلقات وعظ وإرشاد وتربيه للنساء خاصة فى أوقات مختارة يقوم بالتدريس فيها خريجات الجامعة الإسلامية! ولا أدرى أننجح فى هذا المسعى أم يتغلب المتفقهون الجهال الذين يتصايدون بين الحين والحين بأن صوت المرأة عورة..! إن هؤلاء المتتصايدين لا تتمعر وجوههم لبعثات التبشير التى تنجح فيها الراهبات المسيحيات فى بلوغ أهدافهن!. إنهم مشغولون بشيء واحد، جعل المرأة رهينة محبسين من الجهل والقهر... وجعل الأمة كلها تترنح تحت وطأة التخلف الثقافى والسياسى فى عصر الذرة والفضاء.

الإسلام يحمى الأسرة شكا المعنيون بسلامة المجتمع فى إنجلترا من تفاحش نسبة الطلاق فقد بلغت نحو 33% كما بلغ الأطفال الذين يفقدون رعاية الأبوين معاً 40% وزادت قضايا طلب الحضانة زيادة كبيرة، الأب يريد الانفراد بأولاده، والأم تريد بعد الطلاق أن يحرم منهم، ومستقبل هذا الجيل التعيس ضائع فى لجة هذه الخصومات.. والطلاق شىء بغيض! لاسيما بعد أن يتحول الزوجان إلى والدين فإن ضرر الانفصال يتتجاوزهما إلى غيرهما من الأبراء! وأرى أن الوقاية خير من العلاج، وأن استدامة الحياة الزوجية أولى من تعريضها للانقطاع ثم مواجهة الآثار السيئة للطلاق.. وهذه الاستدامة لا تتوافر إلا مع الإيمان الحق والإخلاص الطاهر واكتفاء الرجل بزوجته التى يسرها القدر له، وكذلك رضاء المرأة بزوجها وحياطتها له... وهذه هى العناصر المستفادة من قوله تعالى فى صفة عباد الرحمن: **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا هُبُّ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذَرِيَّاتِنَا قُرْبَةُ أَعْيْنٍ ... إِنَّ اسْتِقْرَارَ الْعَيْنِ عَلَى شَرِيكِ الْحَيَاةِ أَوْ عَلَى شَرِيكَةِ الْحَيَاةِ أَمْرٌ مَهْمٌ بَلْ هُوَ رَكْنٌ فِي بَقَاءِ الْبَيْتِ ... فَهُلْ تَقَالِيدُ الْحَضَارَةِ الْحَدِيثَةِ تَحْقِقُ هَذِهِ الْضَمَانَاتِ؟ إِلَاجَابَةُ الْبَعِيْدَةِ عَنِ التَّعْمِيَةِ وَالنِّفَاقِ: لَا...! بَلْ إِنْ هَذِهِ الْضَمَانَاتِ تَذُوبُ وَتَسْتَخْفِي فِي الْمَرَاقِصِ الْمَائِجَةِ بِذَكُورٍ وَانَّاثٍ يَحْتَضِنُ أَحَدُهُمَا الْآخَرُ، وَيَتَوَاثِبُانِ فِي دَائِرَةِ مَغْلِقَةٍ يَتَنَفَّسُ فِيهَا الْحَيْوَانُ الرَّابِضُ فِي دَمَهَا خَصُوصًا عِنْدَمَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ فِي مَلَابِسِ السَّهْرَةِ، شَبَهَ عَارِيَةً! إِذَا كَانَ هَذَا لَا يَهْدِمُ عَلَاقَةَ الْمَرْأَةِ بِزَوْجِهَا لِلْفَوْرِ فَهُوَ زَلْزَالٌ يَسْقُطُهَا بَعْدَ حِينٍ! ثُمَّ هَنَاكَ**

الاختلاط المطلق الذى أبعد الوحي الإلهى عن ضبط أمكنته وأزمنته، واستعدت النساء له بفنون شتى من الزينة والتبرج! هل يبقى هذا الاختلاط على كرامة الأسرة أو استقرارها؟ كلا... إن الإسلام بتعاليمه الدقيقة يحفظ حاضر الأسرة ومستقبلها، ويبعد شبح الطلاق المرعب عنها! لكن الطلاق أخذ يشيع في مجتمعات إسلامية كثيرة لأن انحلال المدنية الغربية تسلل إلينا، وشرعت جراثيمه تدق بعنف الأبواب المغلقة.. والنجاح الذى صادف الحضارة الغازية يعود إلى ضعف المقاومة وإلى غباء المدافعين! إننى عاصرت الأيام التى أدخل فيها طه حسين الفتيات في الجامعة! لقد كان التيار الدينى يرى ذلك حراما!! بل إن تعليم البنات في مدارس خاصة بدأ بعد الاحتلال البريطانى لمصر، فإن التقاليد السائدة كانت تفرض الأمية على النساء باسم الإسلام!! . ومع غزو المرأة للفضاء في العصر الحديث فإن أناسا عندنا يقاتلون دون أن تصلى المرأة في المسجد! يقولون بيتها أولى بها. ويوم تقرر هذه المواقف في الأرض الإسلامية فإن مجون الحضارة المنتصرة لن يجد أمامه عائقا أبدا.

العلماء مسئولون عندما تتعارض الأدلة وتكتثر مذاهب المجتهدين أعطى نفسى حق الاختيار فى الفتوى، فقد أوثر دليلا على آخر، وقد اختار ما هو أرقى بالناس؟ وأيسر فى علاج المشكلة التى أواجهها.. سئلت أخيرا عن امرأة فقدت زوجها بفترة وغلب عليها الجزء، حتى خشى أهلها عليها، فرأوا أن يذهبوا بها إلى البيت الحرام لعل العمرة تدعم إيمانها وتعينها على الصبر!. قلت الأولى أن تقضى عدة الوفاة فى بيتها! قالوا: نخشى على صحتها وعقلها!. فترويت فى الموضوع، ثم أفتت بمذهب عائشة رضى الله عنها، وهى ترى أن الله جعل العدة زمانا لا مكانا، قال الشيخ سيد سابق مؤلف **ـ فقه السنة** : كانت عائشة تفتى المتوفى عنها زوجها بالخروج فى عدتها، وخرجت بأختها أم كلثوم حين قتل عنها طلحة بن عبيد الله إلى مكة فى عمرة.. وروى عبد الرزاق عن ابن عباس أنه قال: إنما قال الله عز وجل تعتد أربعة أشهر وعشرا، ولم يقل تعتد فى بيتها، فتعتد حيث شاءت.. وهنالك من يرون ضرورة بقاء المعتدة فى بيتها، تقضى فيه ليلها، ولها أن تخرج نهارا إلى عملها إن كانت موظفة مثلا، مع ضرورة الحداد، والامتناع التام عن الزينة. والخطب سهل فى أمثال هذه القضية، لكن غضبى يشتد عندما أرى كلاما يخدش كرامة الإسلام وينال من رسالته! فقد سألنى أحد القراء عن حكم قرأه فى مصدر إسلامى مهم، أن عمر منع النساء من تعلم الخط، وكأنه يرى الأممية أولى بهن! فأجبت

ساخرًا: ولم تكون الأممية حكراً عليهم وحدهن؟ ينبغي أن تشمل الزوجين الذكر والأنثى تمشياً مع الفهم الأعوج لحديث «نحن أمة أمية» !! . يا صديقى إن الحديث الذى يمنع النساء من تعلم الكتابة مكذوب، وكل خبر يهون من شأن العلم بما فى الأرض والسماء لا يوثق به، وقد ورد وصف الأممية فى الكتاب والسنة للعرب الذين بعث فىهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أنه واقع معروف عالمياً ومحلياً، وهذا الواقع زال مع نزول القرآن الكريم، وانهيار غيوب من المعارف مع آياته البينات . ولئن اتبعت أهواهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولد ولا نصير ، بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بيآياتنا إلا الظالمون . وعلى الرجال والنساء أن يزدادوا علماً، وألا يشبعوا من فنون الثقافات التي تناح لهم... إن المرويات التي تنقل إلينا تحتاج إلى تمحيق، بل إن الإمام من الفقهاء الكبار قد يروى الخبر ولا ينزل عليه، لأن هناك ما هو أقوى منه وأولى بالاتباع... ولأضرب مثلاً بالإمام الورع الصلب الزاهد أحمد بن حنبل ومسنده الجامع المعروف، إن الإمام الكبير ترك أحاديث رواها في مسنده فم يأخذ بها!! قال ابن الجوزي في كتابه «صيد الخاطر» : كان قد سألني بعض أصحاب الحديث، هل في مسنند أحمد ما ليس بصحيح: فقلت: نعم. فعظام ذلك على جماعة ينسبون إلى المذهب، فحملت أمرهم على أنهم عوام، وأهملت الفكر فيهم، وإذا بهم قد كتبوا فتاوى خاصة فيها جماعة من أهل خراسان، منهم أبو العلاء الهمданى يعظمون هذا القول، ويردونه ويقبحون قول من قاله. فبقيت دهشاً متعجبًا، وقلت في نفسي: واعجبنا! صار المنتسبون إلى العلم عامة أيضًا! وما ذاك إلا لأنهم جمعوا الحديث ولم يبحثوا عن صحيحة وسقيمة، وظنوا أن ما قاله قد تعرض للطعن فيما أخرجه أحمد، وليس كذلك، فإن الإمام أحمد روى المشهور والجيد

والرديء، ثم هو قد رد كثيرا مما روى، ولم يقل به، ولم يجعله مذهبا له، أليس هو القائل في حديث الوضوء بالنبيذ: مجهول ! ومن نظر في كتاب العلل الذي صنفه أبو بكر الحال رأى أحاديث كثيرة كلها في المسند، وقد طعن فيها أحمد. ونقلت من خط القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء في مسألة النبيذ قال: إنما روى أحمد في مسنه ما اشتهر، ولم يقصد الصحيح ولا السقيم. ويدل على ذلك ما جاء عن ابنه عبد الله قال: قلت لأبي: ما يقول في حديث ربعي بن حراس عن حذيفة؟ قال: الذي يرويه عبد العزيز بن أبي رواد؟ قلت: نعم. قال: الأحاديث بخلافه. قلت: فقد ذكرته في المسند...!. قال: قصدت في المسند المشهور، فلو أردت أن أقصد ما صح عندي لم أورد من هذا المسند إلا الشيء بعد الشيء اليسير، ولكنك يا بنى تعرف طريقتك في الحديث، لست أخالف ما ضعف من الحديث إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه. قال القاضي: وقد أخبر عن نفسه كيف طريقه في المسند، فمن جعله أصلا للصحة فقد خالفه وترك مقصده. قلت: قد غمنى في هذا الزمان أن العلماء لتقديرهم في العلم صاروا كالعامة، وإذا مر بهم حديث موضوع قالوا: قد روى. والبكاء ينبغي أن يكون على خساسة المهم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم. ذاك ما يقوله ابن الجوزي الفقيه الحنبلي في تقييمه لأحاديث المسند ولكن هناك ناس يصدق فيهم المثل `ملكيون أكثر من الملك !!

غرور أصحاب الأديان أفسد شيء للأديان غرور أصحابها، يحسب أحدهم أن انتماه المجرد لدين ما قد ملكه مفاتيح السماء، وجعله الوارث الأوحد للجنة! لماذا؟ هل كبح أهواه؟ هل أمات جشه؟ هل جند ملاته للتسبيح بحمد الله والاهتمام بآلام الناس؟ لم يفعل شيئاً من ذلك، كل ما يملأ أقطار نفسه أن له بالله علاقة مزعومة، لا يعرف لها وزن... ومن ثم فإن صاحب هذا التدين يتسلل إلى أغراضه بما يتاح له من أسباب، بغض النظر عن قيمتها الأخلاقية، وقد كان بنو إسرائيل قد يمها مهراً في ارتياح هذه المسالك المعوجة... ولكن يسيغوها لأنفسهم زعموا أن نبى الله يعقوب اختطف منصب النبوة من أخيه عيسى! ولجا إلى المخادعة والغش وأشياء أخرى! كيف؟ إنه في رأي نفسه أولى، فلا حرج من الشطارة ليبلغ ما يريد، ولا حرج على أبنائه أن يقلدوا أباهم فيما حکوه عنه، أو فيما نسبوه إليه!. ورغم بنو إسرائيل أن إبراهيم طلب النجاة بنفسه عن طريق تعريض زوجته لأحد الفتاك من جبابرة الأرض، وساورته الرغبة في بعض المغامن، التي ظفر بها أخيراً. الواقع أن المجتمع اليهودي - قبل بعثة المسيح - طفح بالأثام، وأن بيت المقدس شهد مآس للشرف ومصارع للشرفاء على أيام السيادة اليهودية الأولى..

وفي جبل الزيتون الواقع شرقى بيت المقدس وقف السيد المسيح يبعث صيحاته الواحدة تلو الأخرى، منذرا جموع اليهود بقوله: `يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المسلمين إليها! كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة أفراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا... هو ذا بيتم يترك لكم خرابا... ونقرأ هذا الحوار في إنجيل يوحنا: قال اليهود لل المسيح: أبونا هو إبراهيم. قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم.. ولكنكم تطلبون قتلى! وهذا ليس عمل إبراهيم! أنت من أب آخر هو إبليس.` . وفي موقف آخر كشف المسيح عن طبيعة التدين الكاذب لدى القوم فقال لهم مصارحا: لقد جعلتم بيت الله مغاردة لصوص؟؟ إن الدين - كما نزل من عند الله، وكما تجسد في سير الدعاء - أعمال صالحة وأخلاق زاكية وأحكام عادلة، ورعاية يتقدون الله في الشعوب، وشعوب تتواصى بالصبر والمرحمة، وتقيم تقاليدها على البر والمواساة.. والغريب أن القرآن الكريم حذر أهل الكتاب جميعا، المسلمين والنصارى واليهود من تجاهل فحوى الدين والتعلق بمراسمه، فقال سبحانه وتعالى: `ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن الله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا` . فهل يعي ذلك الأخبار الكبار والكرادلة الذين يظاهرون اليهود على عرب فلسطين البائسين؟. وهل يعي ذلك مسلمون تائرون عموا عن رسالتهم، فلم ينصفوها في فقه ولا في خلق. وهل ننتظر حتى يتحول اليهودي التائه إلى العربي التائه.

لحساب من يتحدثون؟ هناك سباق قائم بين عدة أديان كى يثبت كل منها أنه أولى بالحياة وأجدر بالبقاء! والغريب أن بعض المنتسبين إلى الإسلام يجعل هذا الواقع ويرتكب حماقات تسى إلى دينه بل تنفر منه وتصد عنه! ولعله مطمئن - من الناحية النفسية - إلى صدق عقائده وسلامة تعاليمه، فعلى الناس أن يؤمنوا به إذا شاءوا أو يذهبوا إلى حيث ألت ! . وهذا جهل وطيش، فإن السلعة النفيسة قد تكسد بسوء العرض وقصور الإعلان وتسيقها سلع أخرى أحسن أصحابها الدعاية لها واجتذاب الأبصار إليها.. والحضارة المعاصرة جعلت الإنسانية شعارا لها، وجعلت من حقوق الإنسان محورا للعلاقات الدولية، ونوهت بقيمة العدالة الاجتماعية والمستويات الصحية والثقافية العالمية.. وقد تكون هذه الحضارة غاشة أو مدعية أو مقصرة فإن هذه التهم لا تمحو ما تواضعت عليه المحافل العالمية واتفقت على احترامه.. فلحساب من يتحدث بعض الناس عن الإسلام ويصورونه بعيدا عن مقررات الفطرة. وأشواق الإنسانية الكاملة؟ ولحساب من يعلو صوت الإسلام في قضايا هامشية ويخفت خفوتا منكرا في قضايا أساسية؟ ولحساب من يرى بعضهم الرأى من الآراء، أو يحترم تقليدا من التقاليد ثم يزعم أن

الإسلام الواسع هو رأيه الضيق، وأن تقاليد بيئته هي توجيهات الوحي، وبقايا التعاليم السماوية على الأرض؟ قلت لنفر من أولئك المتشددين: إن وجه الإسلام جميل ولكنه من خلال كلماتكم يبدو دمياً متوجهماً، وإنه لمن حسن العبادة أن تسكتوا فلا يسمع لكم صوت! إن أيّ كلام يفيد منه الاستبداد السياسي، أو التظالم الاجتماعي أو العطان الثقافي أو التخلف الحضاري لا يمكن أن يكون ديناً، إنه مرض نفسي أو فكري والإسلام صحة نفسية وعقلية.. كنت أناقش رجلاً كندياً يسائلني بضيق عن موقف الإسلام من المرأة، فجاء في حواري، المرأة حرة في اختيار زوجها، ولا يمكن إكراهها على قبول من تكره، ولها أن تبادر عقدها أو توكل فيه كما تشاء... وكان هناك من يرقبنا وهو ساخط وحمدت الله أنه لاذ بالصمت! فلما انتهى الحوار اقترب مني المعترض المؤدب قائلاً: لا يجوز أن تبادر المرأة عقدها، بل الدين ضد هذا!.. قلت له:رأيك ضد هذا، قلدت فيه بعض المذاهب الفقهية، ورجحت أنا وجهة النظر الأخرى، واعتقدت أنها أقرب إلى عقول الأوروبيين والأمريكيين، والعمل عليها يجري في أقطار إسلامية محترمة، ومن مصلحة الإسلام أن تتسع دائرة هذه الأقطار.. إن شرّاً مستطيراً يصيب الإسلام من تفوق بعض أتباعه في آراء فقهية معينة شجرت في ميدان الفروع، ويراد نقلها من مكانها العتيد لتعتبر عقائد، وقيمه الكبرى والرجل الذي يخسر السوق كلها لأنّه يفضل دكاناً على دكان أو سمساراً على سمسار لا يسمى تاجراً.

خطيئة الأصدقاء الجهلة لو قام في هذا العصر مجتمع إسلامي واضح المعالم في بيان مكانة المرأة وميدان عملها ومجالى نشاطها لاختفى من الدنيا فساد كثير! إن أصحاب الطياع السليمة يكرهون الاختلاط المஸعور في حضارة الغرب والتکشف الفاضح هناك واستخفاء جو الأسرة، وانطلاق الغرائز دون ضابط، وهم يتطلعون إلى بديل أفضل فلا يجدون. لأن صياغ الغلاة من المسلمين ألقى في روعهم أن الإسلام سجان المرأة وعدو اكتمالها الإنساني، وأنه تحت ضغط المدنية الحديثة أذن لها بالتعليم وهو كاره، وأذن لها بالذهب إلى المسجد يوم الجمعة وهو ضائق . وربما تشبه بعض حكامه بالغرب فسمح للنساء بأن يشاركن في الانتخابات وينظمن في مجالس الشورى، وهؤلاء الحكام موضع سخط المتدينين. ولو نجح أهل الدين في تولى السلطة لغلقت على النساء الأبواب، ولم يروجه واحدة منهن..! أقول: والكارهون للإسلام والخائفون من عودته لهم العذر عندما يلتقطون للدين هذه الصورة الكالحة الشائهة، والغلاة من الصنف الذي ذكرنا آنفاً يشبهون أهل الكتاب الذين قيل لهم عندبعثة محمد - عليه الصلاة والسلام - ` يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ` ... هؤلاء الغلاة يخفون عن عمد وسوء قصد أن المسلمات كن يصلين في المسجد الصلوات الخمس من الفجر إلى العشاء، وكن يشاركن في معارك النصر والهزيمة وكن يشهدن

البيعات الكبرى، وكن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر! كانت المرأة إنساناً مكتملاً الحقوق المادية والأدبية، ولن يستنقذ نفاذية اجتماعية كما يفهم أولئك المتطرفون الجاهلون، وكما أشاعوا عن الإسلام فصدوا عنه ونفروا منه، يقول الأخ الأستاذ أحمد موسى سالم ` الشرع في حكمة الخالق وعدله هو نصير المرأة ومنصفها ومانحها كل الحقوق التي تقررت للرجل، والتي تكفل حرية إرادتها في علاقتها به وتعاملها معه . وهذا المعنى يؤكده قاسم أمين في كتابه تحرير المرأة حين يقول: `سبقت الشريعة الإسلامية كل شريعة أخرى في مساواة المرأة بالرجل، فأعلن الإسلام حريتها واستقلالها يوم كانت في حضيض الانحطاط عند جميع الأمم، ومنحها كل حقوق الإنسان، واعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال المدنية من غير أن يتوقف تصرفها على إذن أبيها أو زوجها وهذه المزايا لم تصل إليها حتى الآن بعض النساء الغربيات .. نعم توجد استثناءات قليلة تعد من قبيل الشذوذ الذي يؤكد القاعدة، وهذه الاستثناءات لم تنشأ لإهانة المرأة وإنما وضعت لتنسجم مع طبيعتها أو وظيفتها الاجتماعية، وإن فالأساس العام قوله تعالى: ` ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نثرا . إن حاجة العالم إلى الإسلام ملحة بيد أن ناساً من ذوى الجهالة والجراءة، لا يعلمون ويكرهون من يعلم، لا يعلمون ويكرهون من يعمل وقفوا في هذا العصر سداً أمام تيار الإسلام يعكررون صفوه ويمنعون ورده! ويصدون الأمم عنه.. هؤلاء الأصدقاء الجهلة أخطر على دين الله من الأعداء الحاقدين، والغريب أن صوتهم بعيد المدى لأن هناك شياطين خفية تمده بالقوة، هل هؤلاء الشياطين هم أعوان المستعمر؟

الدور الغائب للمرأة يتنافس الحزبان اللذان يتناوبان الحكم في الولايات المتحدة على استرضاء اليهود ونصرة قضيائهم وترسيخ أقدامهم في كل ميدان.. . والأمريكيون - إذ يفعلون ذلك - يخونون مبادئ الفضيلة والعدالة وحقوق الإنسان، ثم هم يهدرون مصالح بلدتهم عندما يؤثرون اليهود على العرب وعندما يضخون بمليار مسلم من أجل عشرة ملايين يهودي ! . ويظهر أن القيمة الاقتصادية للعرب والمسلمين - على ثقلها - لا تخيف الشعب الأمريكي، ولا تلزمه خط الاعتدال.. . والغريب أن رجلا من أعظم رجالات أمريكا ومن أشهر قادتها حذر قومه منذ قرنين خطر اليهود، وقال: `إذا لم يتبنه الدستور الأمريكي لاستبعادهم في خلال المائة عام القادمة فسينسابون إلى البلاد بأعداد كبيرة ويتمكنون من تدمير المجتمع الأمريكي وتبديل القيم الإنسانية التي قام عليها.. هذا الرجل الناصح المخلص هو `بنيامين فرنكلين` ، ولكن صيحته لم تجد آذانا صاغية ولا ضمائر واعية، ولن يعرف الجمهور التائه خطأه إلا بعد فوات الأوان.. . واليوم يتتسابق المرشحون لرئاسة الولايات المتحدة إلى منح اليهود وعودا من جيوب الآخرين ومن حقوقهم المادية والأدبية: هذا يقول: القدس كلها عاصمة إسرائيل إلى الأبد وهذا يقول: لا دولة للفلسطينيين! وهذا يقول: برنامج حرب الكواكب لحماية

أمريكا واسرائيل! وهذا وهذا... كان إسرائيل أعلم من أن تحسب الولاية الحادية والخمسين في العالم الجديد! ولكن شيئاً شاداً لفت نظرى وأرجو أن يلفت أنظار القراء العرب! هو أن مرشح الحزب الديمقراطي للرئاسة له زوجة شديدة التعلق بإسرائيل، تعلن ولاءها لليهود ظاهراً وباطناً، وتذكر أنها ستقضى بقية عمرها في إسرائيل إن فاتها إتفاق أيام الشباب مع الصهاينة الظاهرين! وقد ذكرت إحدى الصحف العربية الكبيرة هذه القصة المثيرة تحت عنوان 'ملكة إسرائيلية في البيت الأبيض' ولا أدرى لماذا عادت إلى ذهني قصة 'أيزابيلا وفرديناند' بطلة القضاء على الأندلس منذ خمسة قرون! إنها قصة ذات مغزى! بيد أنها نحن العرب مصابون بفقدان الذاكرة، وانعدام الوعي... المرأة عندنا ليس لها دور ثقافي ولا سياسي، لا دخل لها في برامج التربية ولا نظم المجتمع، لا مكان لها في صحن المساجد ولا ميادين الجهاد. ذكر اسمها عيب، ورؤية وجهها حرام، وصوتها عورة، وظيفتها الأولى والأخيرة إعداد الطعام والفراش! المرأة اليهودية تشارك مدنياً عسكرياً في قيام إسرائيل، وهاهي ذي توشك أن تكون ملكة في البيت الأبيض تضع اللمسات الأخيرة في الإجهاز علينا، ولا يزال نفر من أدعياء التدين يجادلون في حق المرأة أن تذهب إلى المسجد وتحضر الجماعات، إننا نموت قبل أن يحكم علينا غيرنا بالموت! فهل نعى ونرشد؟

المساواة ثابتة في القرآن تتجه دول أوروبا الغربية إلى وحدة شاملة تم أطراها اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، وليس هذا موضع نظرنا هنا، وإنما ننظر في الروابط الفكرية والروحية التي تكمن وراء هذه الوحدة أو تدفع إليها.. وقد تحدث المتحدثون هناك عن تراث اليونان الفلسفى، وعن تراث الرومان الدينى على أن التراثيين هما المهاجرون الأول لأوروبا المعاصرة بعد ما عرّاهما من تغيير وتحوير في عصر الإحياء. وليس هذا أيضاً موضع نظرنا هنا! إننا ننظر هنا إلى جوانب من قضية المرأة لأن هذه الجوانب تتجاوز أصحابها إلى سائر العالم، فالحضارة الأوروبية هي التي تقود الدنيا كلها الآن... إن فلاسفة اليونان ما أنصفوا المرأة ولا أعزوا جانبها ولا أعلوا مكانتها بل إن تاريخ أولئك الفلاسفة ملطخ بالعار موغل في الشذوذ والإسفاف وليس يعنيهم في انطلاق الشهوات أن تنحرف أو تستقيم!. وتاريخ الرومان ليس أشرف من تاريخ اليونان، ونزوارات القياصرة لا تعرف حدودا، وامتلاء القصور بالنساء أمر مأثور، سواء كن إماء أو حرائر.. وقد حاولت النصرانية أن تكفف هذه الغرائز الجامحة بالرهبانية الصارمة فكانت كما قال الشاعر: إذا استشفيت من داء بدء فاقتلت ما أعلك ما شفاك!

إن مبادل رجال الدين ساوت مبادل رجال الدنيا أو أربت عليها!. وقد تأملت في قصة الميل إلى المرأة فوجدت أن الصعاليك حسدو الملوك على أ��واۡم المتع التي لدیهم، يریدونها أو يریدون مثلها! إنهم لم يتأنمو لأن سليمان ملك ألف امرأة - كما روی كاتب العهد القديم - ولم يحزنو لأن مئات من هذا الألف ضائعة الحق محرومة من رجل يرعاها وترعاها، كلا، ذلك لا يعنيهم! إن تساؤلهم هو لماذا يملك رجل وحده هذا المخزن الملئ بالمتع؟ فلما محوا الإقطاع حولوا الحرير الخاص بـرجل واحد إلى حرير مشاع للجميع أو كما يقول أحمد موسى سالم حريراً مفتوحاً في المطاعم والفنادق وعلى الأرصفة وتحت أشجار الحدائق العامة وبجوار حواطط الليل المظلمة - وفي ساحات المراقص اللعوب والأحفل الساهرة فكل من شاء يفعل ما شاء، مع من يشاء ومن تشاء... إنه عنوان التحرر العجيب من الخلق والعفاف وضوابط النسل وحدود الله في الأسرة ... هذا هو البديل عن الحرير القديم المغلق، إنه القيمة الجديدة المباحة للجميع والمتحدة للجميع والمهملة للأسرة في العالم كله . وكل مسلم يخاف على دينه وعلى أمهاته من هذه الحضارة التي نسيت الله والوحى وأرخت العنان للغائز الحيوانية تعربد دون وعي. والإسلام الذي نقدمه علاجاً شريفاً لهذه الفوضى العامة الطامة لا يؤخذ من أفواه المجانين الذين ينادون بحبس المرأة فلا تخرج من البيت أبداً إلا لزوجها أو قبرها كما يقولون، إننا نأخذه من تعاليم الإسلام الواضحة في الكتاب والسنة... ومصيبة ديننا في أناس يحرفون الكلم عن موضعه، ويطيرون بحديث موضوع أو معلول ليلغوا به الآيات البينات، والسفن الثابتات البينات.. إن الذي يتدارس القرآن الكريم يحس المساواة العامة في الإنسانية بين الذكور والإناث وأنه إذا أعطى الرجل حقاً أكثر فلقاء واجب أثقل، لا لتفضيل طائش. وقوامة الرجل في البيت لا تعنى ضياع المساواة الأصلية، كما أن طاعة الشعب

للحكومة لا تعنى الطغيان والإذلال فإن التنظيم الاجتماعي له مقتضياته الطبيعية، ولا مكان للشطط فى تفسيره... وهناك من يردد أقوالا عن النساء لا تستحق إلا الإذراء! قال أحدهم: السفهاء هم الصبية والنساء قلت له: عمن رويت ذلك؟ عن عمة القرية أم شيخ البدو؟ وزعم كذوب أن المرأة يساق فيها قوله تعالى ﴿كُلُّ عَلَىٰ مُولَاهُ أَيْنَمَا يَوْجِهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾! قلت: تلك صفة نفر من الناس رجال أو إناث محروم من الموهب عاجز عن العطاء. ويخلجنى أن هذا الوصف يكاد يطوى جماهير المسلمين فى المشارق والمغارب بعد ما تخلوا عن رسالتهم ونسوا كتابهم، وعاشوا عالة على الحضارات الغالبة... إننى أحذر على الإسلام صنفين من الناس: المكذبون به، والجاهلون به، المكذبون به من أعدائه والجاهلون به من أصدقائه.. وأكرر ما قلته من قبل: إننى أحارب الأدوية المغشوشة بالقوة نفسها التى أحارب بها الأمراض المنتشرة... والثغرة التى ينفذ منها أعداء الإسلام إلى بيضتنا ونحن نقاوم الغزو الثقافى هى موقف بعض الشيوخ من قضايا المرأة فهم يقفون أحجارا صلبة أمام كل الحقوق التى قررها لها الإسلام يريدون تعطيلها أو تشويهها. وقد عاصرت أياما أنكر فيها الأزهر تعليم المرأة فى الجامعة، كما علمت على وجه اليقين أن أفواجا من الأعراب ذهبت إلى الرياض تستنكر فتح مدارس لتعليم البنات!. ومع أن الدنيا تغيرت فالعلاقة بين الجنسين وحقوقها العامة والخاصة لم تأخذ بعد طريقها الصحيح، وذلك لأن بعض الناس يأبى أن يستقيم على منهج القرآن الكريم! يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ هذه رابطة ولية ووفاق بين الجنسين على مناصرة الحق ومخاضة الباطل وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله، رابطة ولية يتحول بها المجتمع كله إلى خلية ناشطة لها منهج وغاية.. فإذا نشأ عقد زواج بين مؤمن ومؤمنة فإن هذا المعنى يتتأكد وتصبح - العلاقة الجديدة

مراعاة الوظائف واجبة في جنون المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في ميادين الأعمال، وقعت قصة تستحق التسجيل، فقد رأى البعض تشغيل الفتيات محصلات في الحالات العامة! وـ`الباصاتـ في القاهرة تغض بحشود من البشر يزحم بعضها بعضا؟ فلا يكاد الرجل الجلد يجد طريقاً بينها، فكيف بالفتيات؟ وعاشت التجربة يوماً ولم تنتهي.. ورأيت في عاصمة عربيةـــ شرطيةـــ تنظم المرور فقلت: هذا عمل شاق، ما كان ينبغي أن تدفع النساء إليه! قد تشغله المرأةـــ شرطيةـــ لتفتيش النساء مثلاً، وما يشبه هذه الأعمال الخاصة، أما الوقوف في الحر والبرد، ودوران البصر وراء قوافل السيارات والمشاة فلا... وعندى أن الرجل أقدر على العمل في الطائرات من المرأة، وأن وظيفةـــ مضيفةـــ ينبغي أن تختفي، لا سيما في الرحلات البعيدة التي تفرض المبيت في الفنادق، والبعد أياماً عن الأهل... وحکى لى صديق قادم من موسكو، قال: إن النساء هناك يغسلن الشوارع في الصباح، ويشتغلن بالأعمال كلها.. وإن خصائص الأنوثة من نعومة ورقة تكاد تختفي مع قسوة الواجبات التي تفرض على طوائف العاملات.. بل حکى لى أنه رأى عجوزاً تصدع مساء إلى السيارة، قافلةـــ إلى بيتهـــ؟ وهى تترنح لا أدرى أهـــى سكرى أم من الإعــــياء..

إننى أرفض هذه المساواة فى الأعمال، وعندما كنت شابا رأيت فى قريتنا رجلا وزوجته يديران `الطمبور` يرويان أرضهما! قلت: هذا عمل شاق، وقد جربته فأتعينى! لأن المرأة يكلف فى كل دورة برفع عدة `جالونات` إلى أعلى. يمكن للمرأة الفلاحة أن تبذل الأرض مثلا، أما الأمة والأنوثة فلا ينبغى تعريضها للمساق المعنتة.. من أجل ذلك وافقت وأنا مستريح الضمير على ما نشرته منظمة الصحة العالمية، شرق البحر المتوسط، فى تقريرها الأخير، قال: وفي جميع الأحوال لا يليق بالمرأة أن تعمل فى المجالات التى لا تلائم طبيعتها، وأن تدخل فى أي ضرب من ضروب الصناعة والحرف المضنية، فال المجالات التى تحسنها المرأة وتناسب معها كثيرة ومتعددة، كميدان التعليم والطب والتمريض، والرعاية الاجتماعية، والكتابة والنشر، وبعض الوظائف غير المرهقة، وتستطيع فوق كل ذلك أن تغشى الأسواق فى حشمة ووقار فتبיע وتبتاع. أما أن تعمل المرأة كل أعمال الرجال، كأن تكون شرطية وميكانيكية؟ وعاملة فى المصانع، ومنظفة فى الشوارع، وسائقه للعربات وأدوات النقل وما شابه ذلك، فلا يليق بها ولا يجوز لها أن تزاوله، وقلما تساوى الرجال فى هذا المجال.. والدول الصناعية لم تنظر إلى عمل المرأة على أنه مساو لعمل الرجل... ولذلك اختلفت الأجرات التى يتتقاضاها الرجال عن الأجرات التى يتتقاضاها النساء، كما يلاحظ ذلك من بعض الإحصائيات العالمية، حيث نجد أن هذه تتراوح ما بين (59% - 79%) من الأجرات التى يتتقاضاها الرجال فى الأعمال المتماثلة. ومن المفيد جدا أن نشير إلى الدراسة القيمة التى نشرتها مؤخرا جريدة الهيرالد تريبيون الدولية، فى عددها رقم 0 3265 بتاريخ 1 شباط / فبراير 1988 ، فقد قامت الدكتورة روز فريش أستاذة الصحة العامة بجامعة هارفارد بدراسة أجرتها على 5398 امرأة تتراوح أعمارهن ما بين 21- 80 عاما، وتقدمت بنتائج هذا البحث إلى الاجتماع السنوى للجمعية الأمريكية لتقام العلوم، وخلصت من دراستها إلى النتائج التالية:

1- تصاب اللاعبات الرياضيات النشيطات باضطراب في الدورة الطمثية، ويصحبن غير مخصوصات؟ طالما يقمن بالممارسة الرياضية، ويمكن أن تعود الخصوبة إلى وضعها الطبيعي بالتوقف عن الممارسة الرياضية، وأضافت الباحثة نصيتها إلى النساء قائلة: لا يمكن للمرأة أن تعمل كل شيء.. بمقدور كل واحدة منكن أن تصبح نجمة رياضية أو لاعبة أولمبياد شهيرة.. ولكنها إذا رغبت في إنجاب طفل فإن عليها أن تتوقف عن اللعب، ذلك لأن المستوى الأدنى من التمارين يمكن أن يكون له عواقب ضارة على الجهاز التناسلي في المرأة. 2 - ولقد أظهرت الدراسة أن 2622 امرأة ممن كن يمارسن الألعاب الرياضية قد بدت عليهن أعراض سرطان الثدي، أو الداء السكري، أو سرطان الجهاز التناسلي، في مقابل القسم الآخر من النساء وعدهه 2776 اللواتي لم تظهر عليهن هذه الأعراض. 3 - بينت دراسة جامعة هارفارد إضافة إلى دراسة أخرى أجرتها جامعة ألبرتا أن الأعمال النشطة التي تمارسها المرأة تؤثر جدا في إنتاج الاسترجينات التي تحكم في الإنجاب لدى المرأة. 4 - أشارت هذه الدراسة مع أخرى مماثلة أجرتها جامعة كندية أن النساء اللواتي يمارسن الأعمال المجهدة يصبن باضطراب الإخصاب حتى لو استمر الطمث لديهن على وضعه النظامي. أظن بعد هذه التجارب والاستقراءات أن الأفضل للمرأة الوقوف عند حدودها الفطرية، واليأس من نشdan المساواة المطلقة مع الرجال في هذا الكدح المضنى... وما يعقبه من آلام.

لكى يتظاهر المجتمع من المشكلات المضنية للبشر أن الغريزة الجنسية تولد وتحرك وتقوى. فى سن اليفاعة، أى حوالى الخامسة عشرة من العمر، أى قبل اكتمال القدرة العقلية، واستطاعة النهوض بأعباء الزواج، ورعاية الأسرة، ومعاملة الصاحب الآخر بعدالة وشرف.. إن الزواج ليس تنفيسا عن ميل بدنى فقط! إنه شركة مادية وأدبية واجتماعية تتطلب مؤهلات شتى، وإلى أن يتم استكمال هذه المؤهلات وضع الإسلام أسس حياة تكفل الطهر والأدب للفتيان والفتيات على سواء.. وأرى أن شغل الناس بالصلوات الخمس طول اليوم له أثر عميق فى إبعاد الوساوس الهاابطة، ينضم إلى ذلك منع كل الإثارات التى يمكن أن تفجر الرغبات الكامنة.. إن الحجاب المشروع، وغض البصر، وإخفاء الزينات، والمباعدة بين أنفاس الرجال وأنفاس النساء فى أى اختلاط فوضوى، وملء أوقات الفراغ بضروب الجهاد العلمى والاجتماعى وال العسكرى - عند الحاجة - كل ذلك يؤتى ثمارا طيبة فى بناء المجتمع على الفضائل.. ثم يجئ الزواج الذى يحسن التبشير به، كما يحسن تجريده من تقاليد الرياء والسرف والتکلف، التى برع الناس فى ابتداعها فكانت وبالا عليهم.. إن من غرائب السلوك الإنسانى، أنه هو الذى يصنع لنفسه القيود المؤذية، وهو الذى يخلق الخرافات ثم يقدسها!!

وقد رأيت أن المسلمين في أقطار شتى جعلوا الحلال صعب المنال، وفتحوا الأبواب لوسائل الإغراء، كي تهيج الساكن من الغرائز، حتى الإعلان عن السلع في التلفاز تقوم به الفتيات المتكشفات، بل إن بعض البرامج تشرف عليها فتيات يقدسن آخر تسريحة للشعر في المكشافات، بل قد يظهرن بعده تسريحات في يوم واحد! يقول الكاتب المؤرخ 'ول ديورانت ' في كتابه ' مباهج الفلسفة ' : فحياة المدينة تفضي إلى كل مثبط عن الزواج، في الوقت الذي تقدم فيه إلى الناس كل باعث على الصلة الجنسية، وتيسّر كل سبيل يسهل أداؤها. ولكن النمو الجنسي يتم مبكراً عما كان من قبل، كما يتأخر النمو الاقتصادي، فإذا كان قمع الرغبة شيئاً عملياً ومعقولاً في ظل النظام الاقتصادي الزراعي، فإنه الآن يبدو أمراً عسيراً، وغير طبيعي في حضارة صناعية أجلت الزواج حتى بالنسبة للرجال، فقد يصل إلى سن الثلاثين، ولا مفر من أن يأخذ الجسم في الثورة، وأن تضعف القوة على ضبط النفس عما كان في الزمن القديم، وتصبح العفة التي كانت فضيلة موضعاً للسخرية، ويختفي الحياة الذي كان يضفي على الجمال جمالاً. ثم يفاخر الرجال بتعذّر خطاياهم، وتطالب النساء بحقها في مغامرات غير محدودة، على قدم المساواة مع الرجال، ويصبح الاتصال قبل الزواج أمراً مألوفاً، وتخفي البغایا من الشوارع بمنافسة الهاويات لا برقة الشرطة، لقد تمزقت أوصال القانون الأخلاقي الزراعي، ولم يعد العالم المدق يحكم به. ولسنا ندرى مقدار الشر الاجتماعي الذي يمكن أن يجعل تأخير الزواج مسؤولاً عنه.. ولكن معظم هذا الشر يرجع في أكبر الظن في عصرنا الحاضر إلى التأجيل غير الطبيعي للحياة الزوجية، وما يحدث من إباحة بعد الزواج فهو في الغالب ثمرة التعود قبله. ولا يقل الجانب الآخر من الصورة كآبة، لأن كل رجل حين يؤجل الزواج يصاحب فتيات الشوارع ممن يتسلكن في ابتدال ظاهر، ويجد الرجل لإرضاء غرائزه الخاصة في هذه الفترة من التأجيل نظاماً دولياً مجهزاً بأحدث التحسينات، ومنظماً بأسمى ضروب

الإدارة العلمية، ويبدو أن العالم قد ابتدع كل طريقة يمكن تصورها لإثارة الرغبات وإشباعها. يتبع الكاتب بحثه فيقول: `حتى إذا سئمت فتاة المدينة الانتظار، اندفعت بما لم يسبق له مثيل في تيار المغامرات الواهية، فهى واقعة تحت تأثير إغراء مخيف من الغزل والتسلية، وهدايا من الجوارب وحفلات من الشمبانيا في نظير الاستمتاع بالمباهج الجنسية، وقد ترجع حرية سلوكها لنى بعض الأحيان إلى انعكاس حريتها الاقتصادية، فلم تعد تعتمد على الرجل في معاشها، وقد لا يقبل الرجل على الزواج من امرأة برعت مثله في فنون الحب، ولكن قدرتها على كسب دخل حسن هو الذي يجعل الزوج المنتظر يتخلص عن تردد، إذ كيف يمكن أن يكفى أجره المتواضع للإنفاق عليهما معا، في مستواهما الحاضر من المعيشة` . ذاك الوصف قبل ستين سنة مما يقع الآن، وهو أشد سوادا، والسر كله في هجران الوحى واتباع الأهواء، وانطلاق الناس حسب رغباتهم، لا يردعهم دين، ولا يخافون عذاب الآخرة...! إن الإسلام الحق هو الدواء الناجع، والعناصر التي يقدمها لقيام مجتمع طاهر، تchan فيه الأعراض، وتسود أرجاءه العفة تبدأ من البيت، فالصلوات تنتظم أفراده كلهم الصبية والرجال، ويراقب أداؤها بتلطف وصرامة، وتراعي شعائر الإسلام في الطعام واللباس والمبيت والاستئذان، واستضافة الأقارب والأصدقاء... والشارع ليكون إسلاميا ينبغي أن يتعاون الجالسون والمارون فيه، على سحق الكلمة البذيئة، والنظرية الجريئة، وعلى مطاردة العصيان والعرى بما في الوسع كما حدته الشريعة في قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وعندما يتثبت كل جار بجاره في مرضاه الله، فلن يبقى في الشارع شاذ ولا متهاون، ولن تجد الرذيلة مهربا تختفى فيه..

والإعلام عليه أن يوسع دائرة الثقافات النافعة، وأن يقدم من التسلية أنظفها لفظاً، وأشرفها غرضاً، وأبعدها عن إيقاظ الشرور.. إن جوانب الحياة العامة كثيرة، وهي مسؤولة عن صون البيت وإشاعة الطهر، وإنشاء أجيال أدنى إلى الاستقامة.

خطر القنبلة الجنسية حضرت دورة لمنظمة الصحة العالمية شرقى البحر المتوسط، وكانت استفادتى منها واسعة، واطلعت على حقائق إنسانية رأيت أن أشييعها بين جمهور القراء.. يقول ` جورج بالوشى هورفت ` فى كتابه ` الثورة الجنسية ` : الآن بعد أن كادت مخاوفنا تهدأ من الخطر الذرى، وتستريح للصالح بين القوى العظمى، ألا توجد حواجز بشرية تحس القلق البالى للأهمية البالغة التى يكتسبها ` الجنس ` فى حياتنا اليومية؟ ألا نشعر بالخشية إذ نرى أمواج الشهوات الجنسية وغارات العرى والإغراء لا تهدأ حتى تثور؟. إنه يجب أن يشغل الناس انشغالا جادا بالقوة الهائلة التى يمكن أن تبلغها الحاجة الجنسية إذا لم يكفكفها الخوف من الجحيم أو الأمراض المعروفة أو الحمل...! إن القلقين على مستقبل العالم وفضائله يشعرون بأن أطنانا من القنابل الجنسية تنفجر كل يوم وينشأ عن انفجارها دمار واسع.. ` الواقع أن مستقبل الأجيال الناشئة محفوف بالمكاره ربما يتحول أطفال اليوم إلى وحوش عندما تحيط بهم وسائل الإغراء المتعددة بالليل والنهار! إن تشويها كبيرا سوف يلحق البشر حيث كانوا.. . وكتب ` جيمس رستون ` فى ` النيويورك تايمز ` إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون فى نهاية المطاف أكبر من خطر الطاقة الذرية!!..

وبلغت المؤرخ أرنولد توينبي النظر إلى أن سيطرة الغرائز الجنسية على السلوك والتقاليد يمكن أن تؤدي إلى تدهور الحضارات . إن العلاقات الحرام لم تعد نزوات عابرة، إنها نمت كالسرطان الخبيث وتطاير شررها، وطورها الشيطان تطويراً واسع الأرجاء. فلم يعد الجنس تلك العلاقة الجنسية القائمة بين زوجين اثنين أو حتى بين شخصين لا يربطهما عقد شرعي أو قانوني، بل أضحت عالماً واسعاً بكل ما فيه من فنون ووسائل ومثيرات. وفي الواقع يستحيل اليوم السير في أي مدينة كبيرة دون التعرض للقصف الجنسي .
الحقيقي.. إعلانات من كل حجم، مجلات وأغلفة مصورة، أفلام سينمائية، صور معروضة في مداخل علب الليل، وآلاف من الفتيات والنساء يرتدين ثياباً كان يمكن أن توصف بقلة الحشمة منذ عهد قريب. إن اللواط والسحاق والممارسات الجماعية للجنس والزواج التجريبي، ونواود الشذوذ، ونواود العراة، والمجلات المجانية، والأفلام الجنسية الفاضحة، والصور الخليعة.. الخ كل هذه وغيرها أصبحت السمة المميزة للمجتمعات البشرية في شتى أنحاء الأرض. إن الإسلام ربط بين نسيان الله وغلبة الهوى، أو بين إضاعة الصلاة واتباع الشهوات.. وعندما فتح المسجد للنساء جعل لهن صفوفاً خاصة فلم يخلطهن بالرجال، وأمرهن أن يجئن محتشمات قانتات لله. وأمر كل الجنسين بغض البصر، وأمر النساء خاصة ألا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها بطبعته في الوجه والكتفين. ! دعا دعوة عامة بعد ذلك إلى الزواج وجعله نصف الدين . وقد نسى الغلاة هذا كله، فحبسوا النساء في البيوت حبساً مطلقاً، ووضعت تقاليد للزواج جعلته يقصم الظهر..

ولا نريد أن نتحدث عن أثر ذلك محلياً وعالمياً على سمعة الإسلام والمسلمين. إن مسالك العرب عندما يسيحون في عواصم الغرب تصبح الوجوه بالعار، وبحثهم عن الشهوة في كل أفق يثير العجب! ألا نفكر بجد في الأسلوب الأمثل لتنفيذ وصايا الإسلام في بلادنا؟

الإسلام في بلاد المهاجر دخل في الإسلام مئات الآلاف من الفرنسيين وما أشك في أن هؤلاء المهتمين سعداء بما أتاح القدر لهم! غير آبهين للمتابعة التي تتعرض مسيرتهم بين الحين والحين !. لقد كانت فرنسا - وما زالت - من أشد الدول تعصيا ضد الإسلام، فمنها انبعثت أولى الحملات الصليبية! وفي القرنين الأخيرين خاضت حربا دينية ضد الجزائر أهلكت الحرث والنسل! وقد ذكر الجنرال دي جول في مذكراته أن الشعب الفرنسي قدم في عهده وحده نحو 150 طنا من الذهب للإسهام في تنصير الجزائر !.. والفرنسيون كاثوليك، وعندما حاول البروتستانت نشر مذهبهم في البلاد، بيتهم الجمورو الغاضب في ليلة ليلاء، وقتل منهم نحو أربعين ألفا، وبذلك وقف زحفهم!! وتعرف هذه المأساة بمذبحة سان بار تلميو ! وإنما أذكر هذه الحقائق لأبين أن من أسلم من الفرنسيين قد اجتاز عقبات كفودا، وتعرض لأحزان ومخاوف! وليس هذا وحده أساس المشكلة، بل لعل الأساس الأسبق هو حال المسلمين المهاجرين إلى فرنسا من إفريقيا وبعض أقطار آسيا، إنهم مسلمون متخلدون عقليا وخلقيا لا يشرفون دينهم، ويشتغل سوادهم بالحرف الديني، وإذا وازناهم باليهود المقيمين في فرنسا أو النازحين إليها وجدنا البون بعيدا... وجدير بالتسجيل أن فرنسا عندما احتلت الجزائر وواجهت مقاومة دينية صعبة، فكرت في نقل موارنة لبنان إلى القطر المستعصي!.. ولكن هذه الفكرة استبعدت لأن فرنسا بحاجة إلى هؤلاء في الشرق الأوسط !! فليس يغنى عنهم بديل آخر!

وكنت أظن الأجناس اللاتينية وحدها هي التي تنفرد بتلك المشاعر المحترقة ضد الإسلام، فلما تأملت المذابح الطائفية في الهند، ومقاتل الآلوف من المسلمين المستضعفين عرفت أن السياسة الانكليزية من وراء هذا البلاء الشديد ! إن موقف أوروبا من الإسلام وسياساتها ضدّه يجب أن يدرسّ بعناية ودقة، وقد انتهى عهد الاستعمار العسكري تقرّباً، وبدأ عهد آخر من الصراع الديني نريد أن نقف تجاهه قليلاً، فهو يعنينا من قريب ومن بعيد! يقول الدكتور حسان حتّحوت: إن دول أوروبا ما كادت تخرج من الحرب العالمية الثانية ثاكرة ملايين الأبناء حتى وقعت في فخ حركة تحديد النسل خشية الإل maka أو حفاظاً على مزيد من الرفاه! فلما عجزت عن توفير السواعد التي تكفي حاجة العمالة فتحت أبواب الهجرة للعمال الوافدين من هنا ومن هناك، وفرحت بما يقنعون به من أجور رخيصة.. وكان هؤلاء العمال قادمين من بلاد يسودها الفقر والاستبداد، فأنسوا بالحياة الجديدة، وطابت لهم الإقامة، واكتسبوا جنسيات دول المهجر، وأصبح لهم فيها شأن وكيان، وتغير مجتمع العرق الواحد والدين الواحد فأصبح أعرقاً وأدياناً... ثم يقول الدكتور كلاماً جديراً بالدراسة: في بروكسل التي تعتبر نفسها عاصمة أوروبا سيكون واحد من كل اثنين من المواليد اعتباراً من سنة 1995 مسلماً أما في بريطانيا فعدد الذين يتكلمون باللغات الهندية ضعف الذين يتكلمون لغة 'ويلز'! وفي فرنسا يبلغ عدد مسلميها سبعمائة ألف، وهو ضعف فرق الأصوات بين الربح والخاسر في انتخابات رئاسة الجمهورية سنة 1974 وفي برلين الغربية ثلات محطّات تليفزيونية تذيع بالتركية، وفي بعض مدن أوروبا يزيد عدد المساجد على عدد الكنائس.. والذين تنشرح صدورهم بالإسلام من أهل البلاد لا ينقطعون... ماذا تعنى هذه الحقائق كلها؟ إنها تفرض علينا نحن المسلمين أن نعيد النظر في علاقاتنا بغيرنا من سائر الملل والنحل، وأن نعود إلى قواعdena الأولى في فقه الإسلام وإحسان عرضه، ومن قبل ذلك إحسان العمل به وتطبيق أحكامه.

على المسلمين فى مهاجرهم أن يألفوا المسجد، وأن يفتحوه للرجال والنساء والأولاد، وأن يتعهدوا رسالته الروحية والثقافية، وأن يتعارفوا بينهم تعارفا صادقا حارا، فإن تلaci الأجساد لا ثمرة له.. وعليهم أن ينشئوا أندية حسنة لشتى الأنشطة العامة يشارك فيها الجنسان جميرا، وتبرز فيها تعاليم الاحتشام والاستعفاف التى أكدتها الإسلام، وتختفى منها قاذورات الخمور والمخدرات التى استهلكت الغرب وتوشك أن تقضى عليه. ولتكن هذه المساجد والأندية مجالا للحديث بالعربية ومذاكرة لكل ما يحفظ الشخصية الإسلامية، ويقوى حب الود بين المتغربين المستوحشين. ولتتزاور الأسر وتتبادل العلم بالشئون الخاصة وال العامة. وتعاون على البر والتقوى، ومن الجنون أن يرى الطالب المسلم الطالبات الآخريات مبتذلات ومثيرات ولا يؤذن له برأية مسلمة تؤمن بربها وتصون عرضها وتترفع عما يقارفه غيرها.. يجب أن ننشئ جوا يمكن فيه الزواج وفق شرائع الله حتى لا تذوب فضائلنا فى حريق الشهوات المستعرة هناك. ولنعلم أن الحفاظ على ديننا وأمتنا يحتاج إلى العقل المؤمن أو الإيمان العاقل، ولا يصلح له أنصاف المتعلمين الذين يحسنون الهياج ولا يستطيعون الإنتاج.. وعلى الأوطان الأم ألا تنسى من هاجروا منها، بل ينبغي أن تتعمد هم الرجال والكتب والصحف وشتى المعونات الأدبية.. ومن رأى أن المهاجرين فى أوربا وأمريكا يجب أن يسعوا إلى التعرف على الآخرين باسطين أيديهم بالود، وأظن التصدق بالابتسامة لا يكلف كثيرا!! إن الجاهلين بنا معدورون، فإن آلاف الكهنة كذبوا طويلا على نبينا، وأشاعوا عنه الإفك.. كما أن السفهاء منا قدموا عن الإسلام صورا مخزية، وبغضوه لدى الخالين والسذج، وهذا وذاك يفرضان علينا الصبر فى تصحيح الأخطاء وإرشاد السادرين..

إن أوربا الغربية موشكة على التوحد، وقد تنضم إليها أوربا الشرقية وطوائف المسلمين الذين عاشوا هناك قادرٌ على عمل الكثير لدينهم ولأنفسهم!. والقضايا التي تثار ضد الإسلام لا تتصل بعقائده ولا بعباداته! إن أعداء الإسلام لهم مكر سئ في استغلال أقوال وأحوال الجاهلين به، لاسيما في ميدان المرأة. من أجل ذلك أنصح بالضرب على أيدي الجرائم على الفتوى من أدعية الفقه الذين لا شغل لهم في هذه الأيام إلا الصياح بوجوب النقاب وتحريم التصوير، والثرة بأمور لا وزن لها ولا خير فيها.

حوار مع ماركسي! جاءنى بعض فتيات يشكون لى أن مدرس الفلسفة يحاول إقناعهن بأفكار مضادة للدين وأنهن تعبن من مجادلته، واقتربن عليه أن يلقاني ليتكلم معى بما عنده.

قلت: هاتوا به فى أى وقت! وجاء الأستاذ فسألته: أأنت شيوعى؟ قال: أنا ماركسي! قلت له: تتبع ماركس فى إلحاده؟ أم فى اقتصاده؟ فترىث قليلا ثم قال: بل فى إلحاده أولا، لا إله والحياة مادة!! قلت له - وأنا أنظر إلى جسمه العريض وقامته المديدة - كان وزنك عندما ولدت بضعة أرطال،وها أنت تزن أكثر من مئتي رطل فمن جاء بهذه الزيادة؟ قال: طبيعة الأجسام! قلت: الطبيعة حولت الأطعمة التى تناولتها إلى هذا الكيان الحى؟ إنها أطعمة ميتة فكيف تحولت إلى لحم وشحمة تسري فيها الحياة؟ الرغيف تقطعه بالسكين فلا يتآلم وبعد أن تأكله ويتحول جزءا من بدنك تشكه بدبوس فيضطر بدنك من الألم! من الذى أخرج الحى من الميت؟ قال ببرود: قلت لك إنها الطبيعة!. قلت حسنا، إنها طبيعة عالمة قادرة! هل تصنع ذلك معك وحدك أم مع خمسة آلاف مليون من البشر يحيون على ظهر الأرض؟ قال - وهو يتوجس خيفة - مع سكان الأرض جمیعا! قلت: لا ريب أنها طبيعة علمية قدیرة حکیمة عظيمة تلك التى تتعمد الألوف المؤلفة من الطفولة إلى الصبا إلى اليفاعة إلى الشباب إلى الرجولة إلى الشيخوخة... الخ.

وفي هذه المراحل كلها تهیئ الألوف المؤلفة من الأجهزة للقضاء والهضم والامتصاص وتوزيع الغذاء على الأعضاء، ودفع الرئات في الصدور للحركة الدؤوب، ودفع الدم في العروق مدا وجزرا، في نبض مستمر آناء الليل وأطراف النهار. إنها طبيعة حية تقوم على كل شئ! ألا ترى ذلك معى؟ قال وفي نبرته إحساس الوحش الذي يقاد إلى خطر داهم: إن الطبيعة ذكية! فأجبته، هذا الذكاء الملاحظ صفة عابرة، لا بد من موصوف تقوم به، وقد اعترفت بأنك وجميع الأحياء معك تم إيجادهم وإمدادهم بطريقة تنم عن علم وقدرة وحكمة وعظمة فهل التراب أو الهواء صاحب هذه الصفات الرائعة؟ أم أن هناك موجودا تلتقي في ذاته هذه الصفات كلها؟ قال: لا معنى للف والدوران، قل لك: إنها الطبيعة! فسألته: أترى الطبيعة اسمها من أسماء الله الحسنى؟ إن عالمنا الذي نعيش فيه مفعوم بحياة متتجدة يدل سيرها كما قلت معى على العلم الواسع والحكمة البالغة والقدرة الفائقة والعظمة الباهرة فما الذات التي تنبثق منها هذه الصفات؟ إن الصفات لا بد أن تكون لشئ! قال: يبدو أنك شيخ زاوية مجادل! قلت: دعك منى! لأنك شيخ بادية ما يعني هذا شيئا... إذا قلت: إنك تخين فالصفة ملتصقة بذاتك أنت والصفات التي استقينا من أنها وراء الكون الكبير هي صفات إله أكبر لا محالة.. قال: هذا تفكير رجعى بائدا! قلت ساخرا: مادام العقل اليقظان قد صار رجعية والغباء الصفيق قد صار تقدمية، فأنا رجعى أيها الماركسي المغفل.

الباب الثاني صفحات مطوية 1- هكذا كان قدرها. 3- هل دلل الإسلام المرأة؟ 3- الأم مدرسة. 4- في الجاهليات القديمة. 5- الجاهلية العربية أشوف. 6- المرأة في دور الانحطاط. 7- لنعرف الموقف الصحيح. 8- مرويات مسيئة للإسلام. 9- زوجات الرسول (1) 10- زوجات الرسول (2) 11- ماذا تفعل نساؤنا؟ 13- امرأة بألف رجل! 3- امرأتان نادرتان. 4- الصديقة الأدبية. 5- المرأة في العلم والأدب. 6- في مواجهة الكذاب. 7- قانون الحمد.

هكذا كان قدرها كلما رجعت إلى السيرة النبوية ازدلت معرفة بما كان للمرأة من مكانة، وبما كفله الإسلام لها من حقوق، لقد كانت لها شخصية مقدورة وأثر يحسب! يقول المحدثون: لما نزل قول الله لنبيه ﷺ وأنذر عشيرتك الأقربين ﷺ، صعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصفا ونادى: يا بنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله، يا صفيه عمّة رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكم من الله فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً، سلانى من مالى ما شئتما ﷺ. إن نداء المرأة بهذا الصوت الجهير شيء مستنكر في عصرنا الأخير، كنا نعدها كشخصها عوره لا يجوز أن يعرف! ونقول: ما للمرأة وهذه الشئون؟ يكفي أن يحضر رجل من أسرتها ليبلغها، أما أن تنادي على رؤوس الأشهاد فذلك عيب!. لكن المرأة في صدر الإسلام عرفت قدرها، ولما سمعت منادياً يدعو إلى الإيمان سارعت إلى تلبية، ويحكى المؤرخون أن أخت عمر بن الخطاب كانت أسبق منه إلى الإسلام، لقد أدمى وجهها عندما علم بإسلامها وهاجمها بقسوة فقالت له: يا عمر إن الحق في غير دينك، وإنىأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،..! ثم أسلم عمر بعد !! ودخل الرجال والنساء في دين الله، وأعطوا المواثيق على اعتناق الحق والعمل به والذود عنه، وانتظمت الصفوف في المسجد النبوي تستوعب الرجال والنساء على سواء. روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: `ما أخذت ق القرآن المجيد،

إلا من لسان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يوم الجمعة يقرأ بها على المنبر في كل جمعة. أي أنها حفظت السورة كلها عن ظهر قلب من شدة انتباها و هي تسمع الخطبة! وكانت سنة رسول الله في الخطابة أن يتلو القرآن الكريم وحسب! وهي سنة مهجورة الآن، كما أن من السنن المهجورة! حضور النساء الجمع والجماعات.. ألا يثير ذلك شيئاً من التساؤل والدهشة؟ ومن الطرائف أن امرأة كريمة موسرة كانت تصنع وليمة بعد الجمعة يحضرها من شاء، روى البخاري عن سهل بن سعد قال: كانت منا امرأة تجمل في مزرعة لها سلقاً فكانت إذا جاء يوم الجمعة تنتزع أصول السلق فتجعله في قدر ثم تجعل عليه قبضة من شعير بعد أن تطحنه، فتكون أصول السلق عرقه- برقه- قال ممهل: كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها، فتقرب ذلك الطعام إلينا، فكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك، ولم يكن في الطعام لحم ولا دهن.. هذه امرأة مؤمنة سمح لها تدخل السرور على الناس بما آتاهها الله من فضله! ولو فعلت ذلك في عصرنا لأنكر المترمرون عليها! ولقال كل جرئ على الفتوى: كيف يلقى عليها السلام؟ وكيف ترده؟ وكيف تلقى الضيوف؟ إلخ، إن تقاليد المسلمين في معاملة النساء لا تستند إلى كتاب أو سنة، وقد نشأ عن ذلك أن المثقفات في العصر الحديث تجهلن للتراث الديني كلها يحسبنه السبب في تجاهيل المرأة، وهضم مكانتها، وإنكار حقوقها المادية والأدبية التي قررتها الفطرة وأكدها الوحي وبرزت أيام حضارتنا واستخفت مع انتشار القصور وغلبة الأهواء.

هل دلل الإسلام المرأة؟ قالت إحدى النساء: إن الإسلام هضم المرأة إذ جعل الرجل قادرًا على تطليق زوجته متى شاء، إن هذه القدرة المتاحة له سيف مصلت على عنق المرأة يهددها ويذلها..! قلت: يمكن في المقابل أن يزعم الرجل بأن الإسلام دلل المرأة ويسر لها التمرد إذ أباح لها مخالعة الزوج وترك البيت عندما تشاء..! إن تصوير أحكام الأسرة وحدود الله داخل البيت المسلم لا يسوغ أن يقع في هذا الإطار المتواتر الخانق، ويبدو لي أن تقاليد الشرق، والأعراف الشائعة فيه من وراء هذا العوج الفكري.. فالرجل رب البيت والقيم على الأسرة، بيد أننا في أغلب الأحيان نظن الرياسة لونا من الفرعونية أو الانفراد بالسلطة فلا تفاهم ولا شوري ! الرئيس لا يعترف برأي آخر ولا يكتثر بإرادة أخرى! وهذا الفهم لمعنى الرياسة أسقط الشرق سياسيا واجتماعيا، وأضر بالدول والبيوت على سواء. إن الرياسة الصحيحة عبء زائد، ومسئوليية أثقل، وهي في البيت الإسلامي تتمة لجملة من الحقوق والواجبات المتبادلة كما جاء في الآية الكريمة `ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة` . وأساس التعامل الخلق الراكمي، والحب السياط، والإيثار الذي يرجح الفضل على

العدل والترفع عن ملاحظة الصغار! ومن أدب العرب في بناء الأخلاق وتقويم السلوك قول الشاعر. ولا خير في حسن الجسم ونبلها إذا لم تزن حسن الجسم عقول! ولم أمر كالمعروف، أما مذاقه فحلو، وأما وجهه فجميل...! ذريني فإن الشح، يا أم هيثم لصالح أخلاق الرجال سروق! لعمرك ما ضاقت بلاد أهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق! وقد لاحظت في سورة النساء الصغرى: `الطلاق` أن الإسلام شديد الحرث على مزج التشريع بال التربية الأخلاقية، والأحكام العملية بالآداب النفسية مثل `سيجعل الله بعد عسر يسرا` ومثل `ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا` ومثل `من يتق الله يكفر عنه سيناته ويعظم له أجرا` والويل للبيوت إذا تركت منطق الدين والخلق واتجهت إلى القانون والقضاء... إن المجتمعات في الشرق والغرب اعترفت بأن الطلاق قد يكون ضرورة نفسية واجتماعية، وأنه ليس سوطا في يد الرجل بل قد يكون فكاكا لإسار المرأة. وأعرف أسرارا إسلامية جعل الدين أفرادها جسدا واحدا فما يعبر الطلاق بخاطر أحد! إن تمسكها أمن وأذكي. ولكن الأمة الإسلامية في أيام اضمحلالها العقلية والنفسية نسيت وظيفة الأسرة وتنشئة الأولاد وبناء المستقبل على الحاضر، وربما علق أحد الناس مستقبل بيته على رطل لحم يرفض شراءه! فيحلف بالطلاق على ذلك! ماذا نقول إلا مما قاله الله في هذه الأحوال وهو يختتم سورة الطلاق `وكأين من قرية عنت عن أمر ربيها ورسله فحاسيناها حسابة شديدا وعذبناها عذابا نكرا * فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا.`

الأم مدرسة خطر لى أن أعرف المستوى الثقافى للمرأة المسلمة فى صدر الإسلام، وقبيل شروق شمسه! إن الثقافة الغزيرة تعين الرجل والمرأة كليهما على ضبط الحقائق وإحسان الحكم على الأمور والإشراف على تربية الأجيال الناشئة تربية مثمرة مجده. وقد رأيت الابتعاد عن المصادر المتهمة والاتجاه إلى الشعر - وهو ديوان العرب - لاتحسس سيرة المرأة وخلقها و موقفها من القيم السائدة فى المجتمع ومدى وفائها للفضائل الإنسانية على الإجمال. ووقع فى يدى - على غير تعمد - ديوان الحماسة لأبى تمام، وشرعـت أقرأ باب الرثاء! فوجـدت مـراتـى حـارـة لـنسـاء كـثـيرـات يـبـكـين فـيـها أـحـبـاءـهـنـ، وـرأـيـتـ أـخـتـارـ مـنـهـاـ أـولـاـ هـذـهـ الأـبـيـاتـ لـعـمـرـةـ الـخـتـعـمـيـةـ بـعـدـ أـنـ فـقـدـتـ أـبـنـيـهــ، فـأـخـذـتـ فـىـ سـرـدـ مـنـاقـبـهـمــ، قـالـتـ: هـمـاـ أـخـواـ، الـحـربـ، مـنـ لـأـخـالـهـ إـذـاـ خـافـ يـوـمـ نـبـوـةـ فـدـعـاهـمـ هـمـاـ يـلـبـسـانـ الـمـجـدـ أـحـسـنـ لـبـسـةـ شـحـيـحـانـ مـاـ اـسـتـطـاعـاـ عـلـيـهـ كـلـاهـمـ شـهـابـانـ مـنـ أـوـقـدـاـ ثـمـ أـخـمـداـ وـكـانـ سـنـىـ لـلـمـدـلـجـينـ سـنـاهـمـ !! إـذـاـ نـزـلـاـ الـأـرـضـ الـمـخـوفـ بـهـ الرـدـىـ يـخـفـضـ مـنـ جـاـشـيـهـمـ مـنـصـلـاهـمـ !! الـخـ والـمـنـصـلـ: النـصـلـ تـعـنـىـ السـيـفـ، وـالـأـمـ الثـاـكـلـ تـفـخـرـ بـشـجـاعـةـ وـلـدـيـهـاـ فـىـ وـجـهـ الـحـتـوـفـ، وـتـتـحـدـثـ عـنـ الـمـجـدـ الـذـىـ حـقـقـاهـ فـىـ حـيـاتـهـمـ، وـعـنـ فـضـائـلـ الـبـذـلـ وـالـإـيـثـارـ وـالـإـسـتـعـفـافـ الـتـىـ تـوـفـرـتـ لـهـمـ.

وفقدان أم لولديها معا خطب فادح، لكن العجيب أنها تحىي في ابنيها الشرف والكرم، ويغلبها ذاك على حزنها.. ترى هل المرأة العربية اليوم على هذا المستوى من الوعي والسلوك والكفاح. ولقد كانت قبل الاستعمار الحديث أمية لا تقرأ ولا تكتب، وفرضت عليها هذه الأمية باسم الإسلام المفترى عليه! فما اجتاحت بلادنا الحضارة المادية المعاصرة وفتحت أبواب المدارس للمرأة، فلم تتعلم فيها حقائق التراث الغالى ومناقب المرأة في عصرها الأول.. كلا لقد غزا عقلها الفكر الأوروبي، ونهجه الشارد، فإذا نحن أمام تقاليد لا تسر ومناهج لا تنفع بل قد تضر! والسبب هو القصور العلمي الذي بلغ مرتبة الجهل المركب عند بعض المسلمين المتحدثين عن موقف الإسلام من المرأة. والصائحين بأصوات منكرة: المرأة لا ترى أحدا ولا يراها أحد، تخرج من بيتها إلى الزوج أو إلى القبر!. ما أجمل قول حافظ إبراهيم: الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق!!

في الجاهلية القديمة للعرب واليونان والرومان وغيرهم ظلمت المرأة
ظملاً مبيناً حين استقبلت الأنثى بتجهم وحين اجتاحت حقوقها بلا اكتراث، وقد لجأ أفراد
شواذ في الأمة العربية إلى وأد الطفلة عندما تولد! وهو تصرف وحشى! مستنكر فاحش!
وما نشك في أنه عمل فردي رفضه ألو الألباب وحقروا مقتفيه، أما جمهرة العرب في
الجنوب والشمال فقد صور موقفهم من الطفولة كلها قول الشاعر: لولا بنيات كزغب القطا
رددن من بعض إلى بعض لكان لى مضطرب واسع في الأرض ذات الطول والعرض وإنما
أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض ويقول شاعر آخر في ابنته أميمة: لولا أميمة لم
أجزع من العدم ولم أقاس الدجى في حندس الظلم وزادنى رغبة في العيش معرفتى ذل
اليتيمة يجفوها ذwo الرحم..! أحاذر الفقر يوماً أن يلم بها فيهتك الستر عن لحم على وضم!
والواقع أن جمهرة العرب كانت شديدة الغيرة على النساء تسترخص الدماء في الدفاع عنها،
وتحمّلها الفرصة ل تكون كريمة عظيمة! كان المنذر اللخمي ملك الحيرة أنجب بنتاً اسمها
حرقة وابناً اسمه حريق! ودارت الأيام وقد المنذر مملكته، وانتقلت الأسرة من حال إلى
حال، فقالت حرقة في ذلك:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف! فأف لدينا لا يدوم نعيمها! تقلب تارات بنا وتصرف! فلما فتح سعد بن أبي وقاص أرض الفرس، أتته حرقه بنت النعمان مع عدد من جواريها تطلب منه العون، فنظر إليهن وسأل: أيتكن حرقه؟ قلن: هذه وأشارن إليها! قال لها أنت حرقه. قالت نعم فما تكرارك الاستفهام؟ إن الدنيا دار زوال، وإنها لا تدوم على حال. إنا كنا ملوك هذا مصر من قبلك، يجئ إلينا خراجه، ويطيعنا أهله زمان دولتنا. فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صاح الدهر، فصدع عصانا وشلت شملنا، وكذلك الدهر يا سعد! إنه ليس من قوم بسرور وجدة إلا والدهر معقبهم حسرة، وكررت بيتهما السابقين. فأكرمتها سعد وأحسن جائزتها، فلما أرادت فراقه قالت له: لا أنصرف عنك حتى أحبيك بتحية ملوكن أ: لا جعل الله لك إلى لئيم حاجة، ولا زال لكريم عندك حاجة! ولا نزع من عبد صالح نعمة إلا جعلك سببا لردها عليه..! فلما خرجت من عنده تلقاها نساء البلد، فقلن لها: ما صنع بك الأمير؟ قالت: حاط لى ذمتى، وأكرم وجهى! إنما يكرم الكريم الكريم.. انظر عقل هذه الأميرة السابقة وأدبها وحكمتها وكيف حاورت سعد بن أبي وقاص القائد الفاتح المنتصر، فنالت تقديره وإكرامه... وددت لو أن المثقفات العربيات كن على هذا المستوى، فنلن إعجاب واحد من العشرة المبشرين بالجنة. إن المرأة تعظم بعلمها الواسع وبيانها الحكيم وسيرتها الماجدة.

الجاهلية العربية أشرف استكثرا البعض أن أقول: إن الجاهلية العربية الأولى كانت أشرف من جاهليات اليونان والرومان، لاسيما في الوضع الاجتماعي للمرأة! ويبدو أن هذا الاستكثار يعود إلى سوء ظننا بأنفسنا وحاضرنا وماضينا بعد الهزائم الحضارية المهيمنة التي لحقت بنا في العصور الأخيرة وصدق المثل السائر: إن الدنيا إذا أقبلت على أحد أعارته محسن غيره، وإذا أذبرت عنه سلبيته محسن نفسه..! صحيح أن الإشراك بالله كان قاسما مشتركا بين هذه الجاهليات كلها، **فهيل** **الإله الكاذب عند العرب** و **أوبولو** **الإله الكاذب عند اليونان!** وليس أحد الفريقين أولى بالتسفيه من الآخر. أما النظرة إلى المرأة، والتشرف بصونها والاستقبال في حمايتها فخلق عربي لا يكاد الرومان أو اليونان القدامى يعرفون شيئا عنه!! وتذير قول عمرو بن كلثوم في معلقته: على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا إذا لم نحمن فلا بقينا لشيء بعدهن ولا حيينا.. !! أين هذا من قول الشاعر اليوناني **سيموندس** **الأموري** **جعل الله عند الخلق طبائع النساء مختلفة**، فجاءت إحداهن لأنما أخرجها الله من خنزير، وأخرى لأنما أخرجها الله من ثعلبة ماكرة وثالثة لأنها الكلبة حركة ونشاطا، فهي تجوس أركان المكان فاحصة متطلعة، فإن لم تجد شيئا أطلقت لسانها بالسوء !! قد تقول هذا شاعر أحمق لا يؤخذ من كلامه حكم عام! ونقول: لنترك أقوال هذا

الشاعر وأمثاله وهم كثير فماذا نقول في أفلاطون الفيلسوف الأشهر، وفي مدinetه الفاضلة؟ لقد جعل النساء آخر طبقات المجتمع وتركهن كلا مباحا على الشيوع بين طبقة الحكام والفرسان!!، فإن تكن هذه معالم المدينة الفاضلة فما تكون معالم المدينة النازلة؟. أما الرومان فإن مكانة الأنثى لديهم منحطة بطبعتها، وليس لها الحقوق المقررة للرجال، ولما كانت القوانين الأوربية تمت بنسب وثيق إلى الرومان الأوائل، فإن القانون الإنكليزي حتى القرن الثامن عشر كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته! ولم يتدخل القانون إلا في تقدير السعر الذي يمكن أن تباع به... ولا يزال القانون الفرنسي يجعل تصرفات الزوجة المالية تابعة لمشيئة الزوج!. إن الإسلام وحده هو الذي صان شخصية المرأة ورد كل عدوان عليها وفق قاعدته: لا أضيع عمل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض . والذى يحز فى نفسى أن جمهورا من المتدينين الجهلة فى بلادنا تبني مفاهيم الجاهليات اليونانية والرومانية وغيرها وقرر أن يحيا فى نطاقها، وزاد إلى هذه السفاهة أن قرر الدعوه إليها بحسبانها مفاهيم إسلامية . كيف نحمى الإسلام من أصدقائه الجهلة؟ فهم أضرى عليه من أعدائه السافرين..

المرأة في عصور الانحطاط في دراستي للمجتمع العربي قبيل البعثة الشريفة وكني مطلع الدعوة الإسلامية وجدت وضع المرأة أوضح وأرسخ من وضعها أيام اتحاد الأمة في عصور الهزيمة والاضمحلال الأخيرة. ولنترك مأساة وآد الأنشى في بعض القبائل أو في مسالك الجاهلين الشاذين، ولننظر إلى الوعى العام للمرأة، ونضج شخصيتها، ومشاركتها لنى شئون الحرب والسلم، وقدرتها على بلوغ الصفوف الأولى في مواجهة الأحداث التاريخية الكبرى، إننا نرى ما يستحق التسجيل! لقد شاركت المرأة في بيعة العقبة الكبرى، وشاركت في بيعة الرضوان تحت الشجرة! ومن المؤكد أنها كانت سترى من مثل هذه المباعيات في تاريخ المسلمين الأخير، وسيقال لها : امكثى في بيتك! وروى أحمد عن أنس بن مالك أن أبا طلحة - قبل أن يسلم - خطب أم سليم - وهي مسلمة - فقالت له المرأة الراسدة: يا أبا طلحة! ألم تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض؟ قال: بلى! قالت: أفلاتستحي تعبد شجرة؟ إن أسلمت فإنى لا أريد منك صداقا غير الإسلام! قال لها: دعينى حتى أنظر في أمرى... فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فقالت لابنها أنس - راوى الحديث - يا أنس زوج أبا طلحة!! فزوجه من أمه! أى مجتمع هذا؟ إننى بقدر ما أعجب من ذكاء المرأة وإخلاصها لدينها أتعجب

لسلامة الفطرة وانتفاء الريبة وسهولة الحال وسرعة إقراره.. وروت أم عطية أنه حين قدم رسول الله المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب، فقام على الباب فسلم عليهن! فرددن السلام، فقال: أنا رسول الله إلينك فقلنا: مرحبا برسول الله، وبرسول رسول الله! فقال عمر: تباعن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن، ولا تزنين، ولا تقتلن أولاداكن، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصين في معروف؟ قلن: نعم! فمد عمر يده من خارج الباب ومددن أيديهن من داخل، ثم قال: اللهم اشهد! ولم يجعل عمر البيعة مصافحة باليد، وهذه هي السنة، تنزيها لجو التدين من الشبهات التي عرفت في أديان أخرى. وللكلهان في هذا المجال دسائس محظورة من الخير تحصين الإسلام منها، فلا نريد أن يكون بيننا أشياه راسبوتين.. وأنا إذ أسوق الخبر الأخير أذكر أن أحد العلماء المسؤولين عتب على أنى حين أدخل للتدريس بين الطالبات ألقى عليهن السلام! قلت: وما الحرج في أن يسلم أستاذ على تلميذاته؟ قال: هذا لا يجوز! قلت له إن البخاري روى جواز هذا ووقوعه! فقال: لكن العلماء لم يأخذوا بروايته قلت: أى علماء؟ إن الجهال هم الذين يقولون في الإسلام بغير علم، ويرجحون تقاليد آبائهم على تعاليم الإسلام.

لنعرف الموقف الصحيح في عصور متطاولة كان نصيب المرأة قليلا من الرحمة العامة الغامرة التي بعث بها صاحب الرسالة الخاتمة! حاشا عصر البعثة الشريفة والخلافة الراسدة فإن المرأة شهدت أياما ذهبية. وتأمل موقف النبي الكريم من جميلة بنت أوس عندما جاءته تشكو بقاءها في بيت الزوجية لا لشيء إلا لأنها تكره هذا الزوج وتعاف عشرته! إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لها: لقد أعطاك زوجك حديقته قفرا، فهل تردين عليه حديقته؟ قالت: نعم! فأمر الرجل فطلقها. إن الأسرة لا تقوم على امرأة تبغض الرجل وتشتهي مفارقته ومن هنا قال تعالى ﴿فَإِنْ خَفْتُمْ أَلَا يَقِيمَا حَدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ . وهل هذا الخلع طلاق أم فسخ للعقد؟ بحث لا تتعرض له هنا وإنما تتعرض لعوج فقهى أو قانونى عاصرته فى مصر، فقد كان القضاء الشرعى يحكم بأن يقود رجال الشرطة المرأة الكارهة بالقوة إلى بيت الطاعة لتحتضن من تبغض!! وكان رد الفعل لهذا المسلك أن وضع باسم الشريعة قانون آخر يخرج الرجل من البيت إذا أوقع الطلاق! لم هذا الاضطراب فى فهم الدين وتطبيقه؟ وأين قوله تعالى ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ ؟ إن للمسلمين غرائب فى فهم شريعة الخلع وشريعة الطلاق لا تقوم على فقه واع واسع الأفق 100!

وأمر آخر نذكره آسفين! ذهبت نسوة إلى أحد المساجد للصلوة، وأخذن في مؤخرة الصفوف مكاناً قصياً، فجاءهن إمام المسجد غاضباً يقول: إن المساجد بنيت للرجال وحدهم قال تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويدرك فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ...). وقابلنى هؤلاء النساء كسيرات كاسفات البال فقلت لهن: هذا رجل جاهل فإن الله يقول (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه..) فهل الصدق في العهد والوفاء بالوعد والثبات على الدين إلى آخر رمق وقف على الرجال وحدهم؟ فأين قوله تعالى (فاستجابة لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضاكم من بعض)؟ ولكن منطق الجهل نصب سرادقه على جماهير غفيرة من الناس ورأوا أن ذهاب المرأة! إلى المسجد بدعة منكرة، وأن تلقيها أنواع الثقافات تقليد أجنبي، وأن وعيها بالشئون العامة تطفل مرفوض . وامرأة مغلقة على هذا النحو كيف تكون راعية بيت؟ وربة أسرة؟ ومنشئة أجيال محترمة؟ إن تقهقر الأمة الإسلامية في الأعصار الأخيرة يعود إلى العجز الشائن في فهم موقف الإسلام الصحيح من المرأة. وهذا العجز من وراء انتصار المدنية الحديثة وانتشار عجرها وجرها في آفاق عريضة، والعلاج يقدمه فقهاء أذكياء منصفون، لا متفاهقون متعالمون.

مرويات مسيئة للإسلام في تراثنا الفقهي - على نفاسته - أحكام استقاها الفقهاء من أقوال الناس، لا تستند إلى أصل من كتاب أو سنة، ولا إلى دليل ثانوي يعتمد على الكتاب والسنة! من ذلك مثلاً الزعم بأن الجنين قد يبقى في بطن أمه بضع سنين، وعلى هذا تطول عدة الحامل ما شاء الله... وقد ثبت علمياً أن الحمل يستحيل أن يبقى في الرحم فوق تسعه شهور من ساعة العلوق، وأن الرحم ينفجر بما فيه قبل مرور العام.. وليس على ما جاء في كتب الفقه دليل شرعي، ولا يعدو الأمر ترديد كلام انتشر بين الناس لا وزن له..! وهناك أقوال فقهية تقترب من هذا الموضوع منها أن الرجل تبطل صلاته إذا مر أمامه كلب أو امرأة (!) وقد رفض هذا الكلام الأئمة أبو حنيفة ومالك والشافعى رضى الله عنهم، وقالوا: لا تبطل الصلاة بشيء من هذا.. على أن ابن حزم يخالف الأئمة ويقول: `يقطع صلاة المصلى مرور الكلب والحمار والمرأة` ... !! والغريب أنه يقول بعد ذلك `... إلا أن تكون المرأة مضطجعة معترضة فلا تقطع الصلاة حينئذ` !! يعني أن عبور المرأة أمام المصلى يبطل الصلاة أما استلقاؤها أمامه على ظهرها فلا شيء فيه! وهذا كلام في غاية الغثاثة والسخف.. ولماذا يذهب ابن حزم هذا المذهب الغريب؟ لأنه قرأ في الصحاح عن أم المؤمنين

عائشة أنها ر بما استراحة على سريرها ناحية القبلة-فيصلى الرسول إلى القبلة - وهى معتبرة-دون حرج! فلماذا لم يرد بهذه الرواية الصحيحة ما خالفها من آثار أخرى؟ وبحكم كما حكم غيره من الأئمة ببطلانها؟ لقد ركب مركبا صعبا فى هذه القضية تبعه فيه من فقدوا ملامة الفقه، وأولعوا بمرويات لا ريب فى إساءتها إلى الإسلام!! وكلام ابن حزم هنا يشبهه كلام آخر له ما أظن عاقلا يقبله.. فقد حكم بأن من سئم طعاما وقدمه لآخر فمات لم يقتض منه، ولا يسمى قاتلا..! وأصل القصة أن يهودية وضع السُّم في شاة وأهداها للنبي عليه الصلاة والسلام فلما شرع يأكل منها أنكر مذاقها، ونهى جلساها عن المضى في الأكل. وأحضر اليهودية فاعترفت بأنها رأت قتله بهذه الطريقة، وأنه إذا كان نبيا فسيعرف ويُمتنع.. فتركها النبي دون عقاب.. ولكن بعض أصحابه كان قد تناول قدرا كبيرا منه فات مسموما، فأمر بالقصاص منها... وقد حكى الرواية القصة فذكر بعضهم عفو النبي عنها، وذكر الآخرون الأمر بقتلها. وسبب الخلاف ما شرحناه آنفا، لكن ابن حزم رجح رواية العفو، وحكم في الجزء الحادى عشر من المحلى بأن من وضع سما في طعام وقدمه لأحد يريد قتله لا قصاص عليه ولا دية!! ورواية فساد الصلاة لمرور الحمار والمرأة كرواية سقوط القصاص ممن قتل بالسم أحد الناس وهو وهم مردود! فافقهوا دينكم يرحمكم الله.

زوجات الرسول (1) انطلقت هذه الشائعة بين الأوربيين حتى كادت تكون بينهم يقينا! قالوا: كان لمحمد تسع نسوة يتقلب في أحضانهن ويشبع شبابه المنهوم، لا يسام من واحدة حتى يتجدد هواه مع أخرى.. وقالوا : إن ساغ ذلك لواحد من الناس فما يسوغ من داع إلى الروحانية يصل الناس بالسماء، ويحدثهم عن الله والدار الآخرة! إن هذا العشق المشبوب للمرأة له دلالة واسعة، فالرجل رجل دنيا وليس رجل دين، وما نصدق مزاعمكم معاشر المسلمين عن تجرده وتقواه... قلت: إذا كان ما قلتموه صحيحاً فما استنتم به حق! لكن هذا الذي ذكرتم لون من تحريف الكلم عن مواضعه يجعله أدنى إلى الكذب.. إن تاريخ محمد من السنة العدو الصديق يشهد بغير ما ذكرتم، فقد تزوج في الخامسة والعشرين من عمره بامرأة في الأربعين من عمرها، وظل معها وحدها قرابة من ثمان وعشرين سنة حتى ماتت فأين هذه المتع التي تصفون؟ عندما كان في الأربعين من عمره كانت شيخة في الخامسة والخمسين، وعندما كان في الثالثة والخمسين كانت تقترب من السبعين فأين الحسنات اللاتي يتنقل بين صدورهن كما تزعمون؟ وهو كما يقرر العدو قبل الصديق لا يعرف إلا الوفاء للسيدة العجوز التي قضى معها شبابه كله.. ثم ماتت زوجته خديجة في عام أطلق عليه عام الحزن، فاستقدم إلى داره امرأة تقاربها في السن هي التي هاجرت معه إلى المدينة...

وصحى أنه فى السنوات العشر الأخيرة من حياته اجتمعت لديه نسوة آخريات منهن؟ مجموعة من الأرامل المنكسرات أحاطت بهن ظروف صعبة، لم يشتهرن بالجمال ولا كان لهن من السن المبكرة ما يجدد الحياة اللهم إلا بكرًا واحدة بنت صديقه أبو بكر تزوجها توثيقاً لعلاقتهما. وتزوج بعدها حفصة بنت صديقه عمر، ولم تعرف بجماله، بل بدا أن البناء بها بعد موتها زوجها كان جبر خاطر ودعم مودة وجهاد!.. وتزوج أم حبيبة المهاجرة إلى الحبشة، إنه لم يرها هناك بيد أنه يعرف إسلامها برغم أنف أبيها زعيم المشركين يوم إذ، وبقاءها على الإسلام برغم أنف زوجها الصائغ فهل يتركها في وحشتها وعزلتها؟ لقد أرسل يخطبها ويعز جانبها. وكلما أحاطت ظروف سيئة بامرأة ذات مكانة، ضمها إليه، وما كان للشهوة موضع يلحوظ، وأدركت النسوة القادمات هذه الحقيقة، وعرفن أن هذا الوضع فوق طاقة الإنسان العادى، فعرض بعضهن فى صراحة أن يبقى منتسباً للبيت النبوى مكتفياً بهذا الشرف، ومتنازلاً عن حظ المرأة من الرجل، فإن الرسول آواهن مستجيهاً لنداء إنسانى لا لبواعث الغريزة! أين مكان الغريزة والحالة على ما شرحنا؟ وفي استبقاء أولئك الزوجات على ما ارتضين نزلت آيات كريمة منها قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نِسْوَةً أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصْلِحَا بَيْنَهُمَا صَلْحًا وَالصَّلْحُ خَيْرٌ ۚ إِنَّمَا قَوْلَهُ تَرْجِي مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَؤْوِي إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِنْ عِزْلَتْ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ وَلَا يَحْزُنَ وَيَرْضَى بِمَا أَتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۖ ۚ إِنَّهُ لَا يُسْتَطِعُ إِلَّا ذَلِكَ، فَإِنْ دَوْافِعَ الشَّهْوَةَ كَانَتْ مِيتَةً وَرَاءَ هَذَا التَّعْدُدِ الَّذِي فَرَضَتْهُ أَزْمَاتٌ أَحَاطَتْ بِبَعْضِ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَرِيقَاتِ... وَلِنَفْرُضْ جَدْلًا أَنَّ الْإِعْجَابَ بِالْجَمَالِ هُوَ الَّذِي أَوْحَى بِتَزْوِيجِ بَعْضِهِنَّ، أَفَكَانَتْ أَيَّامُ الْحَصَارِ الْمُضْرُوبُ عَلَى الدُّعَوَةِ، وَالْأَزْمَاتُ الْخَانِقَةُ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا الْمُسْلِمُونَ عَامَةً، وَأَهْلُ الْبَيْتِ النَّبُوِيِّ خَاصَّةً، تَيْسِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَنَبِيِّهِمْ طَعْمَ الرَّاحَةِ؟ مَا أَشْقَى رِبَّاتِ الْبَيْتِ عِنْدَمَا يَكُونُ رَبُّ الْبَيْتِ أَبَا لَمَّةَ كَبِيرَةَ وَمَلَادًا لِلْمُسْتَضْعَفِينَ وَاللَّاجَئِينَ وَنَاسِدِيِّ الْعَوْنَ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، إِنَّهُ يُؤْثِرُ غَيْرَهُ بِمَا لَدِيهِ وَبِيَتِهِ هُوَ وَاللَّاتِي مَعَهُ - عَلَى الطَّوِيِّ..

روى البخارى ومسلم عن عائشة قالت: ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .. وعند مسلم قالت عائشة: لقد مات رسول الله وما شبع من خبز وزيت فى يوم واحد مرتين.. وعند الترمذى، قال مسروق: دخلت على عائشة فدعت لى بطعم وقالت: ما أشبع فأشاء أن أبكي إلا بكى! قلت: لم؟! قالت: أذكر الحال التى فارق عليها رسول الله الدنيا! والله ما شبع من خبز ولحم مرتين فى يوم! وعند البيهقى قالت: ما شبع رسول الله ثلاثة أيام متتالية، ولو شئنا لشبعنا، ولكنه كان يؤثر على نفسه! وعند الطبرانى ما كان يبقى على مائدة رسول الله شيء من خبز الشعير قليل ولا كثيرا! قال الحسن: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يواسى الناس بنفسه، حتى جعل يرقد إزاره بالأدم` ما أكثر العفاة الطارقين، يلتمسون المطعم والملبس!! وكان الناس ربما اقتحموا البيت النبوى قبل إعداد الطعام بوقت طويل، أو جلسوا بعد الفراغ منه وقتا طويلا، ولا ريب أن ذلك كان يشق على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويجد منه الحرج فم يكن بد من تنزل الوحى الإلهى يضع نظاما صارما لهذا التسبيب قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتكم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستئذنين لحديث إن ذلکم كان يؤذى النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق..). إن زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - تعين معه طويلا فى خدمة المجتمع وتعليم الناس ومساعدة الضعفاء واستقبال الوفود. وكان مأولا أن يصحو النبي للصلوة، ويصلى بالناس فى المسجد ثم يعود إلى بيته ليسأل عن شيء يفطر به فلا يجده فينوى الصيام.. وربما وجد بعض الخل فلا يضجر ولا يشقى بل يقبل عليه راضيا قائلا: نعم الأدم الخل..!! هذا هو نهج الحياة التى يزعم

الأوربيون أنها كانت تلذا بالنساء واستمتعوا بالدنيا بين أحضانهن.. أين هذه الدنيا الناعمة؟؟ وقد ذكر كتاب السيرة جمِيعاً كيف صاقت الزوجات بهذا الشطف، وكيف اجتمعن على المطالبة بتغييره، وكيف تطلعن إلى حياة أهداً وأهناً.. فلما بوغتن بالرد الصارم: هذا أو الفراق! ثابت إلى نفوسهن مشاعر الإيمان وآثرن انتظار الآخرة، والعيش في ظل النبوة المكافحة على استعمال الطيبات في هذه الدنيا... كان مفروضاً على بيت الوحي أن يعيش كأضعف بيته في الدنيا، وأن يتحمل المقيمات به كل ما يتحمله المهاجرون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وعاشوا من بعد على ما تيسر... وكافأهن الله سبحانه على هذا البذل، بأن صرن أمهات للمؤمنين، وهو لقب - كما رأيت - فيه من التكليف مثل ما فيه من التشريف... أكانت هناك ديانة أرضية أو سماوية تنهى عن تعدد الزوجات؟ أو ترى فيه أدق شائبة؟ لا، بل إن الأنبياء العهد القديم ألغوا التعدد دون حدود! والمذكور عن سليمان وحده أنه تزوج بثلاثمائة امرأة. وليس في النصرانية نهي عن التعدد، وقد حكى ويل ديورانت في قصة الحضارة عن آثار الأخبار والرهبان ما يثير الشمئزازاً فلترى الدين إلى الفلسفة!. ولتنظر إلى فلاسفة الإغريق لنرى كيف يعيش قادة الفكر القديم...! وقد كنت راغباً عن ذكر هذه الدنيا، ولكنني رأيت الطاعنين في محمد يجمعون بين قلة الحياة وكثرة الافتراء فقلت: ما بد من حمل العصا... كتب ماجد نصر الدين في صحيفة اللواء الأردنية مقالاً عنوانه `لماذا ينهل المثقفون من تراث موبوء بالشذوذ؟` نقتطف منه هذه الجملة `إن الفلاسفة الذين يعتبرهم البعض مثله الأعلى هم لواطيون، شاذون جنسياً، يفخرون بشذوذهم، ويتباهون بمضاجعة الغلمان!! وقد كرهت امرأة سocrates رجلها وعافت عشرته لتعلقه بأحد تلاميذه، وقس

على ذلك إفلاطون الذى تعرف على سocrates وهو صغير، وسocrates مشهور بهذا الداء ومتهم بإفساد الشباب.. ويزعم أرسطو أن نسبة الشواد فى عصره تعادل نسبة الطبيعين وقد جرت على لسانه عبارات لا نجرؤ على نقلها هنا. وتقول مؤلفة *الجنس فى التاريخ*: إن معظم المجتمعات حرمت اللواط، أو تجاهلتـه إلا اليونان، فإن البغاء المذكر كان شائعاً، ويمكن استئجار الغلمان!ـ . والحضارة الغربية الحديثة ورثت عن اليونان والرومان مبادل وضعية مخزية، ومع ذلك فهى تتغافل بخبث عن عللها، وتتناسى الدنس الذى تصبح فيه وتمسى، وتبسط لسانها بالأذى فى سيرة أمير الأنبياء، ومعلم المأم الطهر والعفاف!! وهل تنتظر من بيئـة *الإيدز*ـ إلا هذا التدنى؟.

زوجات الرسول (2) قال لى متعجبا: كيف تم زواج عائشة، وهى فى الصبا الباكر بمن زاد عمره على الخمسين؟ فقلت له: سؤال وارد لا غرابة فيه! ولكن دهشتك سوف تزول يقينا عندما تعلم أن عائشة قد تقدم لها قبل محمد أحد الخاطبين ! . قال - وقد فغر فاه وحملق عينيه - كيف كان ذلك؟ قلت: ذكر بعض المؤرخين أن جبير بن المطعم بن عدى تقدم لخطبة عائشة، وحدث بذلك أبويه فقبلًا بادئ ذى بدء وذهبا إلى أبي بكر راغبين فى إتمام الزواج.. غير أنهما خشيا بعد قليل أن يترك ابنهما دين آبائهما، ويعتنق الإسلام متاثرا بأصهاره، فترىنا فى الأمر، وبدأ لهما أن يرجئاه.. وهنا جاءت خولة بنت حكيم إلى أبي بكر تذكر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يتوجه إلى طلب عائشة، وذهب أبو بكر إلى المطعم يسأله: أهـو باق على رغبته فى خطبتها لابنه؟ فاعتذر إليه، وترك له حرية التصرف. وعندئذ لم يبق هنالك وعد ولا عهد، وتم زواج محمد من بنت أبي بكر! إن هناك فتيات ينضجن فى سن مبكرة، وقد أخبرنى أحد الأطباء أن القضاء عرض عليه فتاة لمعرفة عمرها، فقدر لها سن سبعة عشر عاما، ثم تبين من شهادة الميلاد أنها فى الثالثة عشرة. إن عائشة يوم بنتى بها الرسول كانت أهلاً للزواج يقيناً، وما نشك فى أن الدافع الأول لهذا الزواج كان توثيق العلائق بين النبي الكريم وصاحبـه الأول، وهو الدافع لتزوجه من حفصة بنت عمر بن الخطاب لما آمت من زوجها! ولم تكن حفصة امرأة ذات جمال، ولكن هذا العنصر لم يكن المانع من هذه، ولا الدافع إلى تلك!

لقد كانت هناك أسباب اجتماعية وسياسية أوجت بتعزيز الروابط حيناً، وجبر الكسور حيناً، ومد الجسور بين صاحب الدعوة وأشتات من الأتباع والأسر التي تزحم جزيرة العرب في أيام مليئة بالازمات والمحرجات... ربما قال قائل: آمنا بأن تعدد الزوجات كان مألوفاً في الديانات الأرضية والسماوية حتى جاء الإسلام فوضع عليه القيود، فلماذا لم يلتزم نبى الإسلام بالعدد الذي وقف المسلمين عنده؟ ألم يجئ في الأحاديث الصحاح أنه أمر رجلاً لديه عشر زوجات أن يمسك أربعاً ويسرح الباقيات؟ قلت: سؤال صحيح! فلتتدارس الإجابة عليه! إن النسوة الست التي طلقهن صاحب العشرة سيترکن بيته ويجدن بيوتاً أخرى، فلهم حق الزواج من أحبابهن، ولا حرج على أحد في التزوج منهن! لكن ماذا عسى يفعل زوجات الرسول إذا كان الوحي قد نزل من قبل يقول للمسلمين: ` وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً` . لقد صرّن أمهات للمؤمنين وفق النص القائل: `النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم` وما كان لمؤمن أن يتزوج أمه! فهل يسوغ بعد هذا تسريحهن ليعشن في وحدة وإياس؟ ولنفرض زوراً أن تسريحهن مطلوب فهل هذا هو الجزاء الإلهي لنسوة تحملن مع صاحب الرسالة شظف العيش ومشقات الحصار المضروب على أمته؟ لقد اخترن البقاء معه عندما خيرهن، وأبین العودة إلى أهلهن في بيوت أملأ بالسمن والعسل، وحملهن الإيمان على البقاء في جو التهجد والصيام والكفاح مع النبي الذي انتصب لمقاومة الضلال في العالمين، فهل يكون الجزاء بعد هذا الوفاء الخلاص منهن؟ إن الله أذن ببقاءهن، والاقتدار عليهن، وصدر لهن تشريع خاص

(لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا). وإنى أسائل الهاجمين على محمد من خلال هذه التغرة المزعومة في حياته: أهى محاكمة خاصة لهذا الإنسان الشريف؟ ومحاولة متعمدة للنيل منه وحده؟ أعرف أن مسائات كثيرة وجهت لأنبياء من قبيله، وتعرض الرجال الصالحون لأقبح التهم! ألم يتهم النبي الطاهر لوط بأنه زنى بابنته كلتيهما بعد ما أفقدته الخمر وعيه وأنجب منهما؟ ألم يتهم النبي يعقوب بأنه سرق منصب النبوة من أخيه الأكبر عيسو بعد عملية احتيال ماكرة على أبيه الذي كف بصره؟ ألم يتهم سليمان بأنه انطلق في شوارع القدس يبحث عن الحبيب المجهول ليأخذه إلى فراشه، مع أن عنده ألف امرأة؟ إن هذا البحث الماجن استغرق عدة صفحات مليئة بحمل طائفة تحت عنوان نشيد الإنساد الذي لسليمان! من شاء قرأه في العهد القديم.. ومع جنون الاتهام الذي سيطر على كاتبى هذه الصحف، فإن المتهمين بقوا أنبياء مكرمين! أما سليمان فقد جعله اليهود ملكا، ولكن أى ملك؟ إنه باني الهيكل الذي يجب أن يعاد بناؤه ليكون مسكنًا للرب يتجلى فيه بهاوه ويحكم العالم كله من سدته بوساطة شعبه المختار من بنى إسرائيل ! أما محمد الصوام القوام الكادح لله طوال حياته، والذي جمع آخر عمره بضع نسوة من الأرامل والمصابات عشن معه على مستويات الضرورة، وتمحضن لله والدار الآخرة فهو وحده الذي يستباح وترتوات الضغائن عليه، ويتجمع حول الأطلسي لحماية شاتميه!! ومن أولئك الشاتمون الغاضبون؟ أهم رهبان وقدتهم العبادة وكبتو حب النساء في دمائهم فهم يشتهون ويميتون شهواتهم ابتغاء رضوان الله كما يزعمون؟ كلا، إنهم أفراد وشعوب شربوا كؤوس الشهوات حتى الثمالة، ولم يتركوا بابا للذلة إلا افتتحوه دون تهيب أو حياء.

وحضارة أوروبا تميزت بأنها يسرت للدهماء من المتع ما كان حكرا على الملوك والرؤساء فأضحت الصعلوك قادرا على الاتصال بسبعين امرأة كلما ذاق جديدا طلب مزيدا ما تحجزه عن دنayah تقاليد ولا قوانين، وفي هذا الوسط من الدنس يذمون محمدا وبنالون منه! أى منطق هذا المنطق الجائر الظلوم؟ إن الإسلام لم يأمر بتعدد الزوجات، فإن الزواج ليس نشادانا للذلة فقط وإنما هو قدرة على التربية ورعاية الأسرة، فمن عجز عن ذلك كلفه الإسلام بالصوم، ونحن نوجه للأوربيين سؤالا لا مهرب منه: هل التعدد الذي أذن الإسلام به أفضل أم الزنى. إننى أسئل كل منصف صادق: هل المجتمعات الأوروبية تكتفى بالواحدة أم أن التععدد قانون غير مكتوب يخضع له الكثيرون؟ وثم سؤال آخر: هل الضرورات هي التي تدفع إلى التععدد الحرام أم أن الإثارات المتعتمدة في الاختلاط المطلق وفي تقاليد الرقص التي لا آخر لها من وراء هذا الفيضان من العلاقات الآثمة؟؟ وأختتم هذا القول بسؤال حاسم: هل وعى التاريخ الجاد سيرة رجل أعف خلقا وأشرف ثوبا وأغير على الحرمات وأبعد عن الشبهات من محمد؟..؟ هل حكى عن أحفال في بيته رصت فيها الموائد وعليها زجاجات الخمور، وأطابيب الأطعمة، وأنواع المشهيات والمهواضيم؟ لقد كانت عيدان الحصير تنطبع على جلده وهو نائم، أو جالس، فإذا ظفر مع أصحابه بالخبز واللحم عد ذلك من النعيم الذي يسأل الناس عنه يوم القيمة!! فهل هذا النبي الفارس المخشنوشن الجلد يوصف بأنه من أصحاب الشهوات ومن الذي يصفه؟ الذين ابتلاهم الله بالإيدز ` بعد ما ابتلاهم بالزهري وغيره من أمراض الإسفاف والإسراف والسقوط!! وطاولت الأرض السماء سفاهة وعيرت الشعب الحصا والجنادل! وقال السها للشمس أنت ضئيلة وقال الدجى للصبح: لونك حائل! فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدى إن دهرك هازل

ماذا تفعل نساؤنا؟ من أيام العرب المشهورة في جاهليتهم الأولى يوم `ذى قار` عندما أغاد الفرس على أرض الجزيرة بجيش كبير، وتناسى العرب خلافاتهم لمواجهة هذا الغزو، والتقت القبائل في جبهة واحدة للوقوف أمامه. يقول التاريخ: إن القائد العربي `حنظلة بن ثعلبة` أمر بقطع أحزمة الهوادج الموضوعة فوق ظهور الإبل، وأنزل النساء كى يمشين على الأرض وراء المقاتلين، ثم نادى في الرجال بصوت سمعه قلب الجيش وجناحاه: فليقاتل كل منكم عن حليته!! وكانت هذه الصيحة كفيلة بإشعال الحماس وقتل كل تردد، فانهزم الفرس هزيمة نكراء وولوا مدبرين.. وفي معركة أحد خرج نساء المشركين وراء الجيش الذي يطلب التأمين هزيمتهم في بدر وهن ينشدن حاثات الرجال على الحرب: إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق! أو تدبوا نفارق فراق غير وامق! كان للنساء دور كما ترى في كسب المعارك وكانت لهن دراية بقضايا المجتمع كبراهها وصغراهها! وقد ظهر ذلك في بدء الوحي، فإن أبا لهب عم النبي - عليه الصلاة والسلام - كان مع امرأته في تكذيب الوحي ومقاومة الإسلام بضراوة وحقد!

وكانت المرأة تسمى الرسول ` مذمماً لا مهلاً !! وتقول ` مذمماً أبينا. ودينه قلينا. وأمره عصينا` . ومشت بهذا الهجاء المسحور في مجالس قريش تسفه وتطاول وتثبت الفتنة وتؤيد الكفر فنزل قوله تعالى فيها ` و امرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد ` والمرأة كانت من كبراء قريش، لا تشتبه بالاحتطاب وإنما شبه سعيها بالواقعية والبذاءة وإيقاد العداوات ضد الإسلام بمن تحمل الحطب للوقود!! قلت في نفسي: إذا رزق الصلال نسوة ينصرنه بهذه الحمية، ويتبنين قضايا بهذه القوة فلماذا يحرم الإيمان نسائنا معارضاً له، واقفاً ضده؟ إن الذي أسقط آخر معاقل الإسلام في الأندلس هما ` فردیناد و إیزابیلا` رجل وامرأة تكادا على إسقاط علم التوحيد! وفي النساء المسلمات آلاف وآلاف يستطيعن خدمة الإيمان كما استطاعت المشرفات خدمة الصلال فلماذا يحال بينهن وبين هذه الخدمة؟ في العام الماضي كانت امرأة المرشح الديمقراطي لرئاسة الولايات المتحدة تسعى بجبروت لنصرة زوجها، وطن الناس أنه كاسب المعركة! ولما كانت المرأة يهودية فقد قيل: إن ملكة البيت الأبيض ستكون حليفة إسرائيل! وشاء الله أن ينتصر الحزب الجمهوري، فإذا الملكة المرتقبة يخامرها الأسى! وحاولت أن تغلب على آلامها بالخمر، وهي الآن في المستشفى تعالج من الإدمان! لأنها تحاول النسيان! لقد تسألت: ما هذا الإخلاص؟ ما هذا الشعور العميق؟ لماذا لا يشغل نساؤنا بخدمة المثل الإسلامية بهذه القدرة؟ من يمنعهن؟ ما يمنعهن إلا جاهلون بالإسلام. ما أجمل أن يتطاوع الزوجان، وأن يتعاونا على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم! كان سعد بن ناشر رجلاً حاد الطبع قاسى اللفظ، فم ترض بذلك امرأته، ولامته على شراسة خلقه وقساوة كلماته! فقال يدافع عن سيرته ويشرح حقيقة نفسه: تفندنى فيما ترى من شراستى وشدة نفسى أم عمرو وما تدرى!

فقلت لها : إن الكريم وإن حلا ليلفى على حال أمر من الصبر! وما بي على من لان لى من فطاطة ولكننى فظ أبي على القسر! وهذا اعتذار جميل! ولكن المهم فيما قصصنا نصح الزوجة لرجلها ورغبتها فى خيره وسلامته! وهذا رجل آخر سخى اليد واسع العطاء يتصدق بالجمل من إبله الكثيرة على من جاء يسأله عطاء، ويقول لامرأته: هيئى حبلا للسائل يقود به جمله الذى وهبته له، وينهاها عن لومه: لا تعذلىنى فى العطاء ويسرى لكل بغير جاء طالبه حبلا... فلم أر مثل الإبل مالا لمقتن ولا مثل أيام الحقوق لها سبلا... وتجبيه امرأته ليلى إجابة لها وزنها عند أهل السخاء والفضل تقول: حلفت يمينا بابن `قحفان` بالذى تكفل بالأرزاق فى السهل والجبل تزال جبال محصدات أعدها لها ما مشى منها على خفه جمل.. فأعط ولا تبخل لمن جاء طالبا فعندي لها خطم وقد زاحت العلل إن هذه النماذج من المجتمع العربى الأول تصور فضائل الإيثار والسماحة التى شاعت فيه والتى حفظت توازنه، وجعلت الأسرة مصدر استقراره وسنائه، ولا عجب فالأسرة القوية هى الدعامة للمجتمع القوى، والحافظ الأول لتقاليده.. وجاء الإسلام فشجع المرأة على الجود من مال البيت - بما لا يضره بداهة - فعن عائشة أم المؤمنين، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : `إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها كان لها أجرها، وله مثله بما كسب! ولها بما أنفقت! وللخازن مثل ذلك من غير أن ينقص من أجورهم شيء` وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها قالت: يا رسول الله ليس لى شيء إلا ما أدخل على الزبیر - أى ما جاء من ماله الخاص به - فهل على جناح أن أرضخ - أن أعطى - مما

أدخل على؟ فقال: ارضخى - أعطى - ما استطعت ولا توکى تخلی فيوکى الله عليك ! .
ونحن نتساءل عن الأسرة العربية الآن: هل بقيت فيها تقاليد العطاء والإفضال على طلاب
الصدقات والمعونات؟ أم غلبتها التقاليد الوافدة من الغرب وهي تقاليد تقوم على الأثره
والكرازة!! هل ظل الرجال يশمخون بأنوفهم اعتزازا بحماية العرض وصيانة الأهل أم تسلىت
برودة التقاليد الأوروبية والأمريكية وأنشأت جيلا آخر له منطق آخر؟ لقد لاحظت أن المرأة
الآن تفخر بأن لديها عشرات الفساتين، الموافقة لآخر صيحة في عالم الأزياء، ذاك إلى جانب
ألوان الزينة وأدوات الترف وأسباب الإغراء.. لقد كان لنا في الجاهلية العربية خلائق أزكى،
يرسم معالمها حاتم الطائى وهو يقول لزوجته: إذا ما صنعت الزاد، فالتمسى له أكيلا! فإني
لست آكله وحدي !! أخا طارقا، أو جار بيت فإني أخاف مذمات الأحاديث من بعدي وإنى
لعبد الضيف ما دام نازلا! وما في إلا تلك من شيمه العبد! ما أجمل أن يكون الزوجان أدبيين،
أو عالمين، أو كريمين، أو شجاعين! فإن قعدت بأحدهما سورة عارضة، أو وسوسه هابطة
أسرع إليه الآخر فأخذ بيده، وسدده على الطريق.

إمرأة بألف رجل! أجيال كبيرة من علماء الأزهر الذين تخرجوا في كلية أصول الدين مدینون أدبياً ومادياً لامرأة محسنة وقفت مالها لله، وأنشأت منه مؤسسات يتفرج الخير منها منذ عشرات السنين، وسيبقى كذلك ما شاء الله. وأنا واحد من هؤلاء الذين نالهم ذلك العطاء الدافق، فقد انتظمت بين طلاب هذه الكلية من نصف قرن أو يزيد، وتلقيت الدروس من أفواه جملة من أكابر علماء الأزهر، وقاده الفكر الإسلامي، أتيحت لهم فرصة التعليم في قاعات المبني الذي أنشأته `الخازنadarة` ملحاً بمسجدها الجامع الفخم كانت الدراسة تبدأ أول العام بحفل مائج في المسجد الكبير نستمع فيه إلى توجيهه أن نطلب العلم لله لا لدنيا نصيبها أو جاه نستحبه، مع تذكير بأئمة العلم الإسلامي وجهادهم الزاكي في تربية الشعوب وحياطة الحق.. ثم يذهب كل منا إلى صفة وفي نفسه قول أبو العلاء في صفة فقيه حنفي: أنفق العمر ناسكاً، يطلب العلم ببحث عن أصله واجتهاداً! لكن من هي الخازنadarة؟ التي بنت كليتها؟ لا ندرى عنها شيئاً! إن البيانات التي عشنا فيها قديماً تواضعت على كتمان أسماء النساء، فلا يجوز أن يذكر اسم الأم ولا اسم الزوجة! فذلك عيب لا يقع فيه أهل الإيمان، لعل الاسم عورة كما أن الصوت عورة..!! هل الدين باعث هذا الشعور؟ كلا، ففي أول البعثة الشريفة صاح النبي الكريم على

الصفا كما ذكرنا من قبل مناديا صفية بنت عبد المطلب، وفاطمة بنت محمد يدعوهما إلى معرفة الله والإيمان به وحده..! ولم يكن ذكر أسماء النساء عيبا ولا موضع لغط! إن التدين الفاسد قد يبعد عن الفطرة مثل أو أبعد مما تفعله الجاهليات الكريهة.. فلنعد إلى كلية ومسجد الخازندارة بعد هذا الاستطراد، كانت الكلية للدراسات التي تؤهل للشهادة العالمية، أما الدراسات الأعلى فكانت تنشأ لها حلق داخل المسجد نفسه، وهي حلقات صغيرة بطبيعتها، ولا أزال أذكر منظر الشيخ أمين خطاب الرئيس الثاني للجماعة الشرعية بمصر، وهو يلقي الدروس في ` علل الحديث ` ، وكان رحمه الله رجلا بكاء شديد الخشية لله يلتف حوله طلبه وكأنهم في صلاة خاشعة!! على أن أعداد الطلبة زادت هنا وهناك، وربا الإحساس بضرورة البحث عن مكان أوسع! وهنا سمعت من يقول: إنهم سوف يضمون مبني الملجأ إلى الكلية، ولم أسمع ما هنالك ثم أدركت أن السيدة المحسنة بنت ملجأ للأيتام يؤويهم ويغذوهم ويكسوهم، وأرصدت لذلك من مالها ما يسع حاجة المحتاجين! ولأمر ما لم تنفذ هذه الوصية! وقال أحد الساخرين: لعله لا يوجد يتامى! وأحسست أنا أن جملة من الأهداف النبيلة تضيع في فوضى التنفيذ، وسوء الرقابة، وفقدان العلاقة بالله... إن الواقفين فعلوا الكثير بيد أن المنفذين فرطوا وحانوا... ولما كانت مصائب قوم فوائد عند قوم فقد انتقلنا نحن إلى مبني الملجأ الحالي، وتلقينا دروسنا في قاعاته الخالية.. وأعتقد أن السيدة التي أسدت الجميل لم ينقص ثوابها ذرة، فقد أدت ما عليها، وتقررت إلى الله جهدها... وما فعله الآخرون بتراثها يلقاءهم يوم اللقاء الأخير ` يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا و ما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا...` . وفي أثناء تلقينا الدروس بمبني الخازندارة، بدأنا نسمع ضجيج بناء عمارة كبيرة فتساءلنا: ما هذا؟ قالوا: مستشفى الخازندارة! الحق أنى دعوت من أعماق قلبي للمرأة الصالحة! تبنى معهدا ومسجدًا وملجأ

ومستشفى؟ تنشر العلم وتحمى العبادة وتربي اليتامى وتداوي المرضى؟ أى قلب زكي فى صدر هذه المرأة التى أقرضت الله قرضا حسنا، وادخرت عنده ما ينضر وجهها ` يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهاres . الواقع أن النساء الصالحات كثر فى تاريخنا، ما بخلن بمال ولا وقت فى سبيل الله، وقد أدين فى صمت ما يعجز عنه الكثيرون، ويستطيع الباحثون فى بطون التواريخ أن يجدوا أسماء متوارية محرومة من الشهرة لها عند الله مكانة رفيعة لا ينالها غيرهم.. وفي أحد الأيام بلغ أسماعنا أن المسجد العظيم سوف يذهب نصفه توسيعة لشارع شبرا، وقع ذلك فى العهد الجمهورى أيام السيد عبد اللطيف البغدادى، وشعرت الجماهير أن شعائر الله تداش، وأن المسجد العظيم سوف يقصم ويتلاشى، وتنادت فلول المسلمين الصائعين أن الموت أهون، وقرروا أن يهلكوا قبل أن يضيع المسجد، وكانت يومها موظفا بوزارة الأوقاف، وذهبت إلى الشيخ الباورى فى مكتبه أتعرف الأنبياء. الحق أن الرجل كان متجمما الوجه بادى الكآبة، كان يرى العدوان على المسجد عدوا على شخصه وعلى الإسلام معا، وقد أنعشه تحرك الجماهير وترجح الموقف.. وأخيرا منع الرئيس عبد الناصر هدم المسجد، واتقى غضب الناس، والغبار الكثيف الذى ستتسود به وجوه الثوار..! لكن المستشفى الذى بنته السيدة الفضلى لخدمة المسلمين انتقل بقرار ثوري من الدائرة الإسلامية إلى دائرة أوسع، فجعله عبد الناصر لخدمة أهل الأديان كلها، أو لخدمة المتدینين وغير المتدینين من الشيوعيين والوجوديين.. إلخ. كان المراد حرمان الإسلام من مؤسسات خاصة به تسدى الخير لأهله، وتحفظ حاضره ومستقبله، وقد تم ذلك بالنسبة إلى المستشفى والملجأ أما مبنى الكلية فقد انتقل إلى دراسات لعلوم القرآن، وظل المسجد إلى اليوم مثابة للناس وإن كان البلى قد أزرى

بجدرانه وأثاثه فغاض الرونق، وأمسى ذكرى... رحم الله الخازنارة التى استودعت الله مالها،
وحاجدت فى سبيله بتقديم الدواء للمرضى والزاد للجياع، والعلم لطلابه، وألهم الرجال
والنساء أن يتأسوا بها.

امرأتان نادرتان كانت أم المؤمنين خديجة سيدة ثاقبة البصيرة، خبيرة بأغوار الرجال، تعرف طبائعهم فلا يخفى عليها معدن نفيس، ولا يخدعها طلاء مزور! ولعل اشتغالها بالتجارة كون لديها هذه الملكة فالتجار من أعرف الناس بطوابيا النفوس! وفي ميدان عملها التجارى عرفت خديجة مهدا - عليه الصلاة والسلام- وخطبته لنفسها، ولم يكن محمد مجهولا لدى جمهور العرب، كانت خلائقه الراكية موضع إجماع وحب، كثيراً ما تكون زكاة الباطن كصباحة الوجه أساساً لتقدير عام أو عنواناً لا يختلف فيه اثنان.. لكن خديجة بعد زواجهما ازدادت خبرة برحلها وأدركت أى أفق من الكمال قد بلغه! فلما أخبرها بما عرض له في غار حراء قاست المستقبل على الماضي، وأقسمت أن مثله لا يضيع، وأنه يستحيل أن يخذل الله رجلاً قد أفاء عليه خلال النبل والشرف كلها، قالت: **وَاللَّهِ لَا يخزِيكَ اللَّهُ أَبْدًا، إِنَّكَ لتصدقُ الْحَدِيثَ** وتصل الرحمة وتحمل الكل وتكسب المدعوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق وتؤدي الأمانة **إِنَّ اللَّهَ لَا يخزِي فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ صَاحِبُ هَذِهِ السِّيرَةِ!** ذاك إنسان ممحض من عدوان الشيطان **إِنْ عَبَادِي لَيْسَ لِكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفِيْ بِرِبِّكَ وَكَيْلًا** .. وخدية من سروات قريش، أى من قمة المجتمع العربي، وهي أول من آمن من النساء، لكن الإسلام دين عام ينتظم البشر أكابرهم وأصغرهم، فإذا كانت أفئدة بعض الأغنياء تهوى إليه، فإن جماهير من الفقراء تدخل فيه وتستبشر به، السادة والعبيد

جميعا لهم مكان واحد فيه، فأبو بكر المرموق يعتنقه، وبلال المملوك يعتنقه، ثم يجيئ عمر العظيم فيقول: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا!! لا طبقات في هذا الدين، ولكن أخوة عامة، وإذا كانت خديجة أول من آمن، وهي من البيوتات الرفيعة، فإن أول من استشهد ^ـ سمية ^ـ أم عمار وهي من البيوتات المستضعفة التي لا يؤبه لها. واختبار الله لعباده فنون، إنه يختبر بالشهرة والحمول وبالثروة والعدم وبالصحة والسقام، والمهم هو الآخرة، عن عثمان بن عفان - وهو من قمة قريش - قال بينما أنا أمشي مع رسول الله بالبطحاء إذ بعمار وأبيه وأمه يعذبون في الشمس ليرتدوا عن الإسلام! قال أبو عمار: يا رسول الله، الدهر هكذا؟ فقال: صبرا يا آل ياسر، اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت! ^ـ وجاء قادة الجاهلية ليسلروا بمنظر التعذيب، وكان بينهم أبو جهل الذي غاظه تجلد المرأة، وصبرها على ما ينزل بها، فطعنها بحربته في أسفل بطنها طعنة مزقت رحمها وأودت بحياتها فكانت أول شهيدة في الإسلام.. وطال المدى على توقع العقاب الإلهي حتى كانت غزوة بدر، وخرج الفرعون الصغير ليقاتل المؤمنين وهناك وكل القدر به اثنين من فتيان الإسلام ظلا يناوشانه بسيفيهما حتى صر ^ـ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذناه وبيلا ^ـ. كم أشعر بالإعجاب لأول امرأة أسلمت، ولأول امرأة استشهدت.

الصديقة الأديبة كانت أم المؤمنين عائشة ذواقة للأدب العربي، شعره ونشره، سريعة الاستشهاد به فيما يمر بها من أحداث، ولم أر هذه القدرة لغيرها من النساء، فعندما قتل على بن أبي طالب قالت: فألقت عصاها واستقرز بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر! ولما احضر أبوها أبو بكر قالت: لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر فقال الصديق لافتا نظرها إلى ما هو أفضل، ليس هكذا تقولين! قولي: (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد). وعندما قتل أخوها محمد بن أبي بكر بمصر قالت: وكنا كندمانى جزيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا...! فلما تفرقنا كأنى ومالكا! لطول اجتماع لمن نبت ليلة معا...! قال الرواية: وأرسلت عائشة أخاها عبد الرحمن إلى مصر فأحضر أولاد أخيها اليتامي، واحتضنهم حتى إذا كبروا قالت لعبد الرحمن: لقد ضممتهم إلى لصغر سنهم وخشيتك أن تتأفف نساوك منهم، فكنت أنا ألطف بهم، وأصبر عليهم، فالآن خذهم إليك وكن لهم كما كان حجية بن المضرب لأولاد أخيه معدان! ولحجية هذا قصة طريفة بعد أن مات أخوه معدان! فقد رأى أولاده اليتامي تخرج

إليهم خادمته ببقايا لبن فى قعب مكسور، هو كل ما جادت به زوجته عليهم! فملكه الوجوم والغضب! ثم أمر أن تحلب ماشيتها فى بيت أخيه قبل أن تحلب بيته! وأن يأكل يتاماه من الأصول لا من الفضول، وغضبت لذلك امرأته فقال حجية: تلوم على مال شفاني مكانه إليك فلومى ما بدا لك واغضبى! رأيت اليتامى لا تسد فقرهم هدايا لهم فى كل قعب مشعب! ذكرت بهم عظام من لو أتيته حرباً لأسانى لدى كل مركب! أخي والذى إن أدعه لملمة يجبنى وإن أغضب إلى السيف يغضب! إن الصديقة الأديبة تذكر أخاها بخلال رجل من شعراء الجاهلية! قال عروة بن الزبير: ما رأيت أعلم بطب ولا بفقه ولا بشعر من عائشة. وفي طبقات ابن سعد كانت عائشة أعلم الناس، يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله، وعن أبي سلمة: ما رأيت أعلم بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عائشة، ولا أحداً أفقه في رأي إن احتج إلى رأيه، ولا أعم بآية فيما نزلت ولا فريضة، من عائشة رضى الله عنها. وكانت - رضى الله عنها - تفتى في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت.. وعلم عائشة يتجاوز الفتوى إلى التصحيح، ورد ما يشيع من خطأ، وكان رسوخها في فهم القرآن، وفهمها في السنة النبوية، واطلاعها الواسع على أدب العرب يجعلها المرجع الثقة أبداً. ألا تكون هذه السيرة الناضرة أسوة للنساء المسلمات في شتى الأعصار والأمصار؟ أم نقول للنساء: اقعدن في البيوت لا شعر ولا نثر، ولا دين ولا دنيا!!

المرأة في العلم والأدب مع اضمحلال الفكر الديني في الأعصار المتأخرة هبط المنسوى الإنساني للمرأة هبوطا مخجلا في ميدان العلم والأدب، وعادت الجاهلية الأولى تنشر مآثرها ونزعاتها! بل إننا نقرأ كلمات للنساء الأول يستحيل أن تكون لها نظائر على لسان النساء في أعصار التخلف الأخيرة، تدبر ما تقوله `أم الصريح الكندية` ترثى رجالا من قومها ثبتوها في الميدان حتى تفانوا جميعا: أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم! وأن يرتفعوا من خشية الموت سلما ولو أنهم فروا لكانوا أعزاء! ولكن رأوا صبرا على الموت أكراها! والاعتذار عن فرارهم - لو فروا - إنما وقع لأنهم نفر قليل واجه جيشا كثيفا، وكان يمكن أن يقولوا ما قاله الحارث بن هشام لما ترك المعركة لأنه التقى - وهو فرد - بجيش كبير واعتذر قائلا: وعلمت أنى إن أقاتل واحدا أقتل ولا يضر عدو مشهدى فصدت عنهم والأحبة دونهم طمعا لهم بعقاب يوم مرصد! لكن هذه الفلسفة السياسية لم تعجب المرأة الشجاعة، ورأة أن الصبر على الموت أكرم!! ومثل هذه المرأة يلد أولى الفداء والنجد والرجال الذين يحملون الإيمان بأرواحهم دون تردد. وهذه امرأة أخرى، هي أم صعلوك من صالحيك العرب ذهب ابنها في إحدى الغارات وبقيت هي تنتظره فلم يعد، ولو كانت هذه الأعرابية أما لأحد `اللوردات`

الإنجليز لترجمت كلماتها على أنها من روائع الأدب! إن ابنها ذهب كغيره من الصعاليك يطلب الغنى ويكره الفقر، والمرأة تسمى الفقر هلاكا (!) وهو كذلك في دين الله وفطرة النفوس ولكن الفقر - في التدين الفاسد - منزلة من منازل الصالحين حين يتقررون إلى الله! وهذه قصيدة المرأة: طاف يبغى نجوة من هلاك فهلك ليت شعرى ضلة أى شئ قتلك أمريض لم تعد؟ أم عدو ختلك؟ والمنايا رصد للفتى حيث سلك! أى شئ حسن لفتى لم يك لك كل شئ قاتل حتى تلقى أجلك! طالما قد نلت فى غير كد أملك! إن أمرا فادحا عن جوابى شغلك سأعزى النفس إذ لم تجب من سألك! ليت قلبي ساعة صبرة عنك ملك! ليت نفسي قدمت للمنايا بذلك ... وقالت صفية الباھلية ترثى أخاها، وتذكر أنها كانت معه فرسى رهان فى سباق الأمجاد والمكرمات حتى ذهب وبقيت وحدها.. كنا كغضنين فى جرثومة سanca حينا بأحسن ما يسمو له الشجر! حتى إذا قيل قد طالت فروعهما وطاب فياھما واستنطر الثمر! أخنى على واحدى ريب الزمان وما يبقى الزمان على شيء ولا يذر! كنا كأنجم ليل بينها قمر... يجلو الدجى ، فهوى من بينها القمر! هكذا كان الرجل والمرأة، فهل هما كذلك الآن؟

في مواجهة الكذاب كانت الأسرة الإسلامية كلها تهتم بشئون دينها وبقضاياها السياسية والعسكرية! ولم يكن هذا الاهتمام التقاط أخبار أو تسمع أنباء المعارك في شتى الميادين، بل قد يكون مشاركة شخصية من الأمهات والزوجات ... وأمامي نموذج مثير لقصة وقعت في حرب الردة عندما اشتبك المسلمون في قتال فادح المغارم مع أتباع مسيلمة الكذاب!

ومسيلمة هذا شخص عجيب فإن جنون العظمة قد يدفع أصحابه إلى ما يشكل طباعهم من انحراف `فنيرون` قد يحرق روما و `هولاكو` قد يدمر بغداد، وقد يستطيع مسيلمة أن يكون قاطع طريق فيسبع تطلعه إلى الظهور! أما أن يدعى النبوة فهذا ما لا مساغ له.. لكن سعار العظمة جعله يدعى إليها ويرسل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قسم الأرض نصفين بينهما! وقد تجاوز النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا الهزل، وأرسل حبيب بن زيد يتحدث معه ويستطيع خبره ويحاول رده إلى صوابه، وكان حبيب شاباً مؤمناً جريئاً، فلما رأه مسيلمة قرر قتله! فسأله أولاً: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال نعم. قال: أتشهد أنى رسول الله؟ فتضامم حبيب، وأشار بوجهه لا أسع، وكرر مسيلمة دعواه، وكرر حبيب رفضه الصامت المستهزئ المستكبراً وهنا بدأ مسيلمة يقطع الشاب المؤمن عضواً عضواً، كلما سأله فرفض الإيمان به قطع

جزءا من جسمه، فلما استمرتقطيع الأشلاء، ونرف الدماء فاصلت روح الشاب الجلد وهو يحتقر الباطل ويعز الحق! وعلمت أمه ``نسيبة بنت كعب الانصارية`` بمصرع ولدها على هذا النحو فنذررت ألا تغتسل حتى تثار لولدها وحتى يقتل مسيلمة، وخرجت المرأة مع ابنتها عبد الله واشتركت في معركة اليمامة وقاتلت جيش مسيلمة أشد قتال، وأصابها اثنا عشر جرحا وهي مقدمة شجاعة، وقطعت يدها خلال المعركة الشرسة، لكن خيل الله قتلت مسيلمة ومحت أذنيه بالدم الغزير، وانتصر الحق، وزاح الإفك، وعادت نسيبة بعدما وفت بنذرها...! أكان أحد يستطيع ردها عندما خرجت؟ كلا لقد شهدت من قبل قتال أحد، وشهدت بيعة الرضوان في عمرة الحديبية وشهدت فتح مكة ويوم حنين، ومن قبل ذلك شاركت في بيعة العقبة، إنها مثل عال للمسلمة المجاهدة التي شرفت أسرتها ودينها... وأعلم أن بعض المتفيئقين في عصرنا لو صادف المرأة الصالحة وهي خارجة من بيتها لتقاتل الكذاب وأتباعه لقال لها: أقعدى في بيتك، لا يجوز لك هذا! إن هؤلاء المتفيئقين تعرفهم عصور الاصمحلال العقلى، ولا يمكن أن يظهروا في مجتمع ناضج أو في سلف صالح.

قانون `الحمد` بيت عريق أخذت عليه الأيام فزلت مكانته في المجتمع، وأطمعت من دونه من الناس أن يتقدم خطاباً لبنيته وما كان يجرؤ على ذلك من قبل.. غضب رب البيت لكرامته التي جرحت، وتساءل في أسف: إِذَا عرَضْتَ لَهُ أَرْمَةً عَابِرَةً تطاولَ عَلَيْهِ الصَّغَارِ، وجاءه من يزيد الزواج بابنته وهو ليس لها بكم؟ لذلك طرد بعنف بالغ الخطاب القادر قائلًا له: تريد أن تكون سيداً بأخذ سيدة من بيتها لا ترتفع إلى مستواها؟ اذهب عنا فالبنات كثرن بعد أن منع الإسلام وأد البنات! أما ابنتنا ففي مكانها العالى لن ترخصها أزمة مهما اشتدت!! وهك الأبيات التي تفجرت فيها ثورة رب البيت الجريح..!! تبغي ابن كوز - والسفاهة كاسمها - ليستاد منا أن شتونا ليالياً فما أكبر الأشياء عندى حزارة بأن أبى مزرياً عليك وزارياً وإنما على عض الزمان الذى بنا - نعالج من كوه المخازى الدواهيا فلا تطلبناها يا ابن كوز فإنه غدا الناس مذ قام النبي الجواريا وإن التي حدثها في أنوفنا وأعناقنا من الإباء كما هي وإنما استوقفنى من هذه القصة أمران: أولهما أن الرجل الذي أخرجه الفقر تمسك وتحمل آلاما هائلة حتى لا يلم بدنيئه أو يقترب ما لا يليق به والثانى أنه أعز ابنته وجعل مكانتها في أنفه وعنقه فلن تذل أبداً ما دام حيا! وكل الأربين من خلائق السادة الذين يحترمون أنفسهم وأهليهم، ولا يعنينى غير ذلك في القصة كلها.

والمجتمع العربي قديماً وحديثاً تحكمه تقاليد صارمة بعضها لا يأس به وبعضها فيه نظر، واهتمام العرب ببنسبهم وسمعتهم قد يخالطه غرور وكبر، ولكن الأستاذ أحمد موسى سالم يقول: إن العرب في حياتهم الأولى كان يحكمهم قانون `الحمد` الذي جاء به اسم محمد صلى الله عليه وسلم من مشرق طفولته تأكيداً لمراحل الاصطفاء له من بين محامد العرب لا من بين مساؤهم، فكان هو المحمد بحسب قانونهم وكان كما هو الواقع وكما قال عن نفسه `خيار من خيار من خيار` . وقد شرحت النساء هذا القانون الشريف بقولها: تعرف حق القرى وتنبذ الحمد كنزاً ودحراً! وتقول أم حاتم الطائى - وكانت في سباق المكارم تجود لمن يسألها بكل ما تملك -: لعمري لقدماً عضني الجوع عضة فآليت أن لا أمنع الدهر جائعاً! وما إن تروناليوم إلا طبيعة! فكيف بتركى يا ابن أمى الطبائع؟ فهذه امرأة جاعت مرة فأقسمت ألا ترى جائعاً إلا أعطته ما تملك! وكان من حقها أن تفعل ذلك! ولا يستطيع أحد أن يمنعها.. وكانت إحدى حكيمات النساء قبل الإسلام - وهي جمعة بنت الخس - تصف الصدق وتجعله فوق كل الفضائل فتقول: وخير خلال المرء صدق لسانه! وللصدق فضل يسبّين ويبرزاً وإنجازك الموعود من سبب الغنى فكن موفياً للوعد، تعطى وتنجز! وقانون الحمد الذي أشار إليه الأديب الكبير جدير بالإقرار مع تعليق محدود، فالإسلام يريد منا أن نعمل ابتعاء وجه الله وانتظار مثوبته يوم اللقاء الأخير، فإذا أخلصنا العمل له سبحانه جازانا بالذكر الحميد في الدنيا والآخرة، ولا يجوز أن نعمل طلباً لثناء الناس كما لا يجوز أن نعرض سمعتنا للقيل والقال... وفي العرب ميل للفخر والظهور والمبراهة وهي رذائل تتشوب العمل الصالح وقد تطيح به..

والحق أن المرأة العربية في الجاهلية الأولى بربت شمائلها الحسان في ميادين كثيرة أيام الحرب وأيام السلم على سواء، ولم توضع أمامها العوائق التي وضعت أمام المسلمين في عصور الانحطاط العام للأمة الإسلامية.. وفي صدر الإسلام استطاعت امرأة من الخوارج أن تقود جيشا يهزم الحجاج ويحصره في قصره ويتركه وهو مذعور، حتى عيره أحد الشعراء على هذا الموقف الخزى بقوله: أسد على وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر! هلا بربت إلى غزالة في الوعى بل كان قلبك في جناحى طائر! أما في العهود الإسلامية الأخيرة فإن المرأة ما كانت تدرى وراء جدران بيتها شيئا! وعندما غلبتنا حضارة الغرب المنتصر كان هم المرأة أن تقلد في الثوب الرشيق والمنظر الأنثيق! أما في غزو الفضاء واكتشاف الذرة ودراسة النفوس والآفاق فإن الأمر لا يستحق الاكتراش، لأنه ليس من شأنها ولا من رسالتها...!! إن الإسلام لا يقيم- في سباق الفضائل- وزنا لصفات الذكورة والأنوثة، فالكل سواء في العقائد والعبادات والأخلاق، الكل سواء في مجال العلم والعمل والجد والاجتهاد. لا خشونة الرجل تهب له فضلا من تقوى، ولا نعومة المرأة تنقصها حظا من إحسان. وفي القرآن الكريم `... من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله ولها ولا نصيرا * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا` . وفي عالم الرياضة اليوم يفصل بين مباريات الرجال والنساء، وتوضع مسافات وأرقام لكلا الجنسين على حدة.. ربما صح هذا في دنيا الألعاب لكنه مستحيل في سباق الصالحات، وكسب الآخرة، ربما تقدمت امرأة فسبقت ذوى اللحى دون حرج وربما تأخرت ولو كانت قرينة أحد الأنبياء... ولذلك قلنا: امرأة فرعون خير منه، ومريم أشرف من رجال كثيرين، ونوح ولوط خير من زوجاتهم!!

وأذكر أن أحد الناس قال لي: إن القرآن يرجح الذكورة على الأنوثة! ويسوق لزعمه قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأَنْثَى ۚ وَهُوَ فَهُمْ أَعْوَجُ ۚ ﴾. فالجملة القرآنية وردت على لسان امرأة عمران التي كانت حاملاً، وظنت أنها ستلد رجلاً يكون سادنا للمسجد الأقصى وقائداً للعبادين والدارسين فيه، فلما فوجئت بخلاف ظنها وأنها ولدت أنثى، قالت هذه الكلمة لأن المرأة لا تصلح لهذه القيادة بطبيعتها. وقد قبلت الأمر الواقع لأنه مراد الله! ودعت لابنتها ولذريتها بالصيانة والرعاية فاستجاب الله الدعاء بأن أعلى قدر المولودة فوق ألف مؤلفة من البشر، وأعلى قدر ابنها فجعله من الأنبياء أولى العزم... ولاشك أن هناك وظائف تخص النساء وأخرى تخص الرجال، ولا علاقة لهذه التخصصات بموازين العدل أو الفضل الإلهي.

الباب الثالث من البيت نبدأ 1 - الزواج عبادة. 2 - `تخيروا لنطفكم` . 3 - قواعد ضرورية للزواج.
4 - الزواج وسيلة لا غاية. 5 - الكهف الوحيد للرجل والمرأة. 6 - ثواب الإنفاق على البيت. 7 -
لا تهونوا من وظيفة ربة البيت. 8 - التي فقدت زوجها. 9 - للعرض قداسة. 10 - البيوت تبني
على الحب. 11 - تضحيات الرجال والنساء. 12 - أين وظيفة البيت ؟ 13 - الآباء في زماننا. 14 -
صلة الأرحام من الإيمان. 15 - العمل لا العدد. 16 - المسخ الذي أصابنا. 17 - الدين عند
ـ تاتشرـ وعندنا. 18 - الإيدز وحرية التخت. 19 - محنـة المـخدـرات.

الزواج عبادة المحافظة على الحياة وطلب امتدادها إلى قيام الساعة من تعاليم الإسلام، فقد رغب في الزواج لهذا الغرض، واستحب أن يكون الزوجان آباء، وأن يكون لهم بعد الأولاد أحفاد ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرِزْقًا مِّنَ الطَّيِّبَاتِ...﴾. ومن هنا كان رفض الإسلام للرهبانية! فإن حبل الحياة ينقطع عند الراهب أو الراهبة، ويبداً شبح الفناء يلوح، فإذا شاعت هذه العبادة بين الناس، وأقبلوا على الرهبانية التي ابتدعوها فمعنى ذلك أن الإنسانية تنتحر، والعالم يتغافل! فلا يستغربن أحد من الإسلام أن يجعل الزواج عبادة، وأن يجعل قضاء الوطر في ظله قربى يؤجر المرأة عليها وفي الحديث ﴿مَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ طَاهِرًا مَطْهُرًا فَلْيَتَزَوَّجْ حَرَائِرَ﴾ وفي الحديث أيضاً أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة، قلب شاكر، ولسان ذاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة لا تبغيه حوباً في نفسها وماله ﴿وَالحَوْبُ هُوَ الْإِثْمُ، أَمَّا الْبَدْنُ الصَّابِرُ عَلَى الْبَلَاءِ فَهُوَ عِنْدِ الْبَدْنِ الْقَوِيِّ النَّاهِضُ بِالْأَعْبَاءِ وَالْوَاجِبَاتِ، لَا يَكُلُّ وَلَا يَنْهَزِمُ، وَهُوَ الرَّجُولَةُ إِلَّا هَذَا التَّجْلِدُ؟﴾ لكن السؤال الذي يجب الترير في إجابته هو: من التي يتزوجها المسلم؟ يجب أن نعرف أن الزواج ليس التقاء لمزيد من الإنتاج الحيواني ، إن الأسرة في الإسلام امتداد للحياة والفضيلة معاً! امتداد للإيمان والعمان على سواء. ليست الغاية إيجاد أجيال تحسن الأكل والشرب والمتاع، إنما الغاية إيجاد أجيال تحقق

رسالة الوجود، ويتعاون الأبوان فيها على تربية ذرية سليمة الفكر والقلب شريفة السلوك والغاية. وتدبر موقف أبي الأنبياء إبراهيم بعد ما أنعم الله عليه بالأولاد، إنه يقول: ` الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء * رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء). إنه يريد أولاً دار يركعون لله ويسجدون! ما أفح أن ينسى رجل فساقاً ولما حدة، وفي الأرض الآن أم لا تبالى ما تلد! أيحياً أولادها كفاراً أم يحيون مؤمنين؟ المهم رفع مستوى المعيشة، ولن يكونوا بعد حطباً للنار!!.. ونحن المسلمين نأبى هذا التفكير، ونعد أصحابه دواباً مهما كانت سماتهم الظاهرة.. ومن دعاء عباد الرحمن عندما يختارون أزواجهم ويؤسسون بيوتهم ` ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً . إن العين المتنقلة بين شتى الوجوه عين خائنة، تقود صاحبها إلى الضياع! ينبغي أن يكون كلا الزوجين قرة عين لصاحبه، وأن يوطن نفسه على هذا الاستقرار، وأن يتعاونا بعد على تربية أولادهما وصيانته حاضرهم ومستقبلهم. وإذا كان باب التنافس في الخيرات مفتوحاً، فليكن المسلم بعيد الهمة واسع الطموح. ليكن إماماً يقتدى به، ولا يتكاسل حتى يجيء في المرتبة التالية التابعة، إن علو الهمة من الإيمان، وإن الله يحب من يطلب الفردوس الأعلى. وإقامة البيت المسلم يحتاج إلى جهد كبير.

(تخروا لنطفكم) الوراثة حق، ولكن شأنها يدعو للحيرة، فنحن لا ندرى بدقة ماذا ينتقل للغروع من الأصول، وما الذى يظهر فى العقب القريب، وما الذى يكن ليظهر فى الأعقاب التالية! وما الذى يتلاشى إلى الأبد.. ثم إن هذه الموروثات تتفاعل مع البيئة التى تستقبلها تفاعلاً غامضاً، فهناك بيئات تعين وهناك بيئات تعوق، وقد تصادف بعض الخصائص النفسية ما يضاعف نماءها ووهجها، وقد تصادف ما يقفها مكانها لا تتحرك ولا تثمر.. إن ذلك كله من الأقدار التى يستحيل أن نخترق أسوارها، بيد أنه يجب أن نفعل ما يأمرنا الشارع به، ففيه خيرنا العاجل والآجل.. من ذلك ضرورة اختيار زوجة صالحة عند الاتجاه إلى بناء الأسرة، فإن الزواج ليس قضاء وطر، وإراحة بدن ثائر، الأمر أحلى من ذلك. وقد جاءت فى ذلك آثار نذكرها على ما بها **إياكم وحضراء الدمن!** قالوا: وما حضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء فى المنبت السوء **وقال:** (تخروا لنطفكم فإن العرق دساس). وهذه الأحاديث قد تكون ضعيفة، ولكن يجبر ضعفها ما جاء فى الصلاح **الناس معادن** **وما دمنا قد خلقنا من الأرض**، فالأرض نفسها ليست سواء فى نواحيها الكثيرة، هناك الخصب وهناك الجدب، هناك السهل وهناك الوعر!..

وطالب الزواج عليه أن يرتاد لنفسه ويطلب الأزكى والأنقى... ونحن عادة نحب الجمال الباهر! أو نحب الغنى الواسع، أو نحب العزوة القوية ولست أطالب الشباب بتجاهل هذه البواعث! لتكن ثانوية عند البحث، ول يكن الغرض الأول امرأة ذات خلق وتقى! فإن هذا الغرض إذا ضاع لم يبق ما يحرض عليه.. لفت نظرى وأنا أطالع درسا فى عالم البحار منظر السمك الملون، كان إهاب السمكة مليئا بالنقوش الرائعة والزخارف التى تسبى العيون باتساق الألوان وغرابة الرسوم... ثم عرفت أن هذا النوع من الأسماك سام كله! فقلت: يا عجبا المنظر حلو والخبر مؤذ ، ما أكثر هذا بين البشر ` ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ` .. أنصح طالب الزواج ألا تخدعه الظواهر المزيفة، ول يكن همه الباطن الشريف! تقول: ومن يعرف الغيوب؟ وأجيب البيوت أمارة مصدقة، ويغلب أن تكون البنت مثل أبيها أو أمها، وعلينا أن نستشير وأن نستخير. ولذلك أرشدت منظمة الصحة العالمية طالبى الزواج أن يختاروا زوجات ترعرعن فى بيئه صالحة، وتتأسلن من نطفة انحدرت عن أصل كريم. وقد أوصى عثمان بن أبي العاص الشقفى أولاده فى تخيير النطف وتجنب عرق السوء فقال لهم: ` يابنى الناكح مفترس - زارع - فلينظر امرأ حيث يضع غرسه، والعرق السوء قلما ينجب، فتخيروا ولو بعد حين ` . وأجاب عمر بن الخطاب أحد أبنائه لما سأله: ما حق الولد على أبيه؟ بقوله: ` أن ينتقى أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن ` . إن السعادة الزوجية من مطالب المؤمنين، فالمؤمن يكره أن يعيش مستوحشا قلقا لا قرار له، ومن ثم جاء فى دعاء عباد الرحمن ` ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ` أى قدوة، ولنذكر ما روتة عائشة رضى الله عنها مرفوعا ` تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء ` .

قواعد ضرورية للزواج لضمان ذرية شريفة نظيفة وضع الإسلام قواعد لعقد الزواج لابد من رعايتها، فلا يجوز الزواج من ملحدة تكفر بالله واليوم الآخر، ولا من وثنية تؤمن ببعض الآلهة، فإن امرأة من هذا الصنف لن يقفها حد من حدود الله، ولن تفرق بين الإحسان والإباحة ولا بين العفاف والخنا ! . وأمة موحدة خير من أميرة مشركة، وامرأة مؤمنة من سواد الناس خير من أستاذة ملحدة في إحدى الجامعات، إننا ننشد سيدة ترضع أولادها التقوى والخلق والركوع لله والاستعلاء على الدنيا. لهذا يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تنکحوا المشرکات حتیٰ یؤمنن وَلَمَّا ۝ مُؤمنة خیر من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنکحوا المشرکین حتیٰ یؤمنوا ولعید مؤمن خیر من مشرك ولو أعجبكم أولئک یدعون إلى النار والله یدعو إلى الجنة والمغفرة بیاذنه... ﴾ . هل الأوروبيات والأمريكيات من هذا النوع؟ إنهن یدعین المسيحية! ولیتهن صادقات! إن المجتمع الغربي غارق في الآثام إلى أذنيه، وما أحسب لقاء الله يخطر على قلبه ساعة من نهار، العهر هو القانون السائد، وقلما تزول بكاره في زواج شرعى!. وأعتقد أن التاريخ لم یعرف مدنية كرعت من الشهوات الحرام كما يحدث الآن في أقطار الغرب التي افتنت في تزويق الأجساد واستفزاز الغرائز إلى أبعد الحدود.. ويستحيل أن ینسل المسلم أولاداً أنقياء من زواج بهؤلاء اللعوبات الضائعات

(الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) صحيح أن الإسلام أباح الزواج من الكتابيات، ولكن أين هن؟ ربما وجدت نسوة لديهن بقايا وحى وعفاف ومعرفة بالله الواحد. وقد يكون زواج المسلم منهن بابا إلى أن يعرفن الإسلام ويدخلن فيه، والأساس فى مثل هذا الزواج أن يشب الولد على دين أبيه وعباداته وفضائله، بيد أن ما يقع غير ذلك. وقد رأيت فى مشاهد غريبة أن الإسلام يفقد الوالد وما ولد! وأن الزواج من أجنبية ينتهى بمحنة، وأن المدنية المنتصرة المستعلية تجرف الكل إلى القاع.. وحرم الإسلام تحريمًا قاطعاً أن تقرن مسلمة بغير مسلم، بل ذلك الاقتران نظام جديد للزنا، وقد ثار سؤال: لماذا أباح الإسلام الزواج من كتابية ولم يبح مسلمة لكتابي؟ والجواب أن رب البيت المسلم يستحيل أن يمر بخاطره أن يهين موسى أو عيسى، إنه يحترمهما كما يحترم نبيه محمدا، ويصفهما بالوجاهة والرسالة وقوه العزم وصدق البلاغ ! وهذا معنى يلقى السكينة فى نفوس أتباعهما. أما اليهود والنصارى فإن ضغائنهم على محمد أعيت الأولين والآخرين، وقد استباحوا قذفه بكل نقيصة. وفى عصراً هذا منحت إنجلترا أعظم جائزة أدبية لكاتب نكرة كل بضاعته شتم محمد والولوغ فى عرضه والتهجم على حرمته! فكيف تعيش مسلمة فى بيت تلك بعض معالمه؟ إن الزواج ليس عشق ذكر لمفاتن أنشى...!! إنه إقامة بيت على السكينة النفسية والآداب الاجتماعية، فى إطار محكم من الإيمان بالله والعيش وفق هدaiاته، والعمل على إعلاء كلمته وإبلاغ رسالاته.

الزواج وسيلة لا غاية وظيفة البيت الأولى الحفاظ على الإيمان والعبادة والخلق الشريف والسلوك القويم والتقاليد الراسدة والمثل العالية! والأبوان شركاء في أداء هذه الوظيفة، ونصيب الأم منها ضخم ثقيل... وعلى الرجل وهو يفكر في الزواج أن يعرف هذه الحقيقة، ومن المجنون أن يكون الزواج انحصارا في إدراك الشهوات، وطلب المتعة.. إن هناك من يعيش ليأكل! أشرف منه بداعه من يأكل ليعيش! ونحن نعرف عرام الغريزة وحده صوتها ! إن التنفيذ عنها مطلوب وسوف يتم على عجل أو على مهل، وتجئ آثاره المحتملة ذرية بعد ذرية فإن لم نحسن التربية والعنابة فلن نحرز من الكمال البشري سهما، وسنعقب أولاً كثرين يكونون علفاً لمدافعي الأعداء أو هشيميا تحت دباباتهم وطائراتهم.. المهم إنشاء أجيال زاكية ذكية ناشطة قوية تقود ولا تقود، تهوى الصلاح وتكره الفساد. وأول اللبنات في هذا البناء انتقاء الأمهات من بيوت متدينة معروفة بالتقوى، فإن ذلك أدنى إلى ارتقاب ثمر ناضج طيب قال تعالى ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ﴾ . وارتقاب الخير من البيوت الشريفة معروف من قديم، وهو سر دهشة الناس عندما رأوا مريم حملت من غير زواج فقالوا ﴿ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيما ﴾

أمك بغيًا ولم يعرف أن هناك خارقا للعادات حتى نطق الطفل المعجزة قال: إنى عبد الله آتاني الكتاب وجعلنى نبياً . وفي الحديث الصحيح الناس معادن والشعور بهذه الحقيقة جعلنا نقبل حديثين ضعيفين في الموضوع الذي نشرحه هما تخروا لنطفكم فإن العرق دساس إياكم وخضراء الدمن! قالوا وما خضراء الدمن؟ قال المرأة الجميلة في المنبت السوء وقديما قال الشاعر: على وجه مى مسحة من ملاحة وتحت الثياب الخزى لو كان باديا ألم تر أن الماء يكدر طعمه! وإن كان لون الماء أبيض صافيا! وجاء في الحديث تنكر المرأة لأربع لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك . والناس اليوم يتطلعون إلى ذات الغنى، وقد يتنافسون وراء ملكة جمال تبيع جسدها في ميدان الفن أو ميادين عرض الأزياء، وما قيمة امرأة لا ترد يد لامس، وما قيمة بيت يبني على هذا الجرف المنهار؟ إن الزواج وسيلة لا غاية! وسيلة لامتداد النوع الإنساني العالى، وليس مقرأ فقط لإشباع النهمة، وتحصيل المتعة. وبيت متوسط الدخل تعمره امرأة صالحة أسعد وأرشد من بيت واسع الثراء تسكنه امرأة هابطة، وفي ذلك يقول الرسول الكريم الدنيا متاع وخير متعاعها المرأة الصالحة وفصل ذلك في حديث آخر ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعتة، وإن نظر إليها سرتة، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله . أترى هذه الزوجة تنبت في المجتمع من غير إعداد وعناية؟ أيمكن أن تكون نبتا يطلع من تلقاء نفسه في بيئة يسودها الجهل والتخلف؟ وتحرم عليها الثقافة الواسعة ؟

الكهف الوحيد للرجل والمرأة هناك مسار قد - لا مسار غيره - يسمح فيه للغريرة الجنسية أن تطلق: هذا المسار هو الزواج، وكل ما عداه حظرته شرائع الله في جميع الأديان، وعدته من المسالك المنكراة! وقد لخص القرآن الكريم هذه القاعدة في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لفِرْوَاهُمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾. بيت الزوجية هو وحده الذي يجمع بين الذكر والأئم، وكل وطر يقضى بعيدا عنه فهو عصيان لله واعتداء على حدوده، لا خلاف في ذلك بين موسى وعيسى ومحمد! والتسبيب الواقع الآن في أرجاء العالم يستحيل أن يقبله ذو دين. ورجال الكهنوت استولى عليهم بروز شديد تجاه عواصف الإثم التي تجتاح العالم، بل إن بعضهم أساء في سن القوانين التي تنظم الفاحشة وترسم دائرة! وليس ذلك. بمستغرب على أناس زحزحthem تيارات شتى عن أصول الاعتقاد ومنطق الإيمان. الأسرة هي الكهف الوحيد الذي يجمع بين رجل وامرأة، ومن ثم فإن تكوينها دين، والحفظ عليها إيمان، ومكافحة الأوبئة التي تهددها جهاد، ورعاية ثمراتها من بنين وبنات جزء من شعائر الله... وفي عصرنا هذا استغنى الماجنون والفاجرون عن جو الأسرة بعوضين لعيينين، الزنا واللواط، وتدخل القانون الزائف فأباح تطلعات الجسد في هذين المجالين، ما دام الأمر بعيدا عن الإكراه! ثم ضم إلى ذلك المراقصات العابثة وأنواع الخلاعة الأخرى..

وقد لفت أنظارنا أن الحرب المضنية ضد مرض `الإيدز` يقصد بها تأمين الشواذ أو تحصينهم ضد هذا البلاء الماحق!. وهذا غرض خسيس، وسعي غير مبارك، والذى يشفى مريضا `بالإيدز` ليتمكنه من العودة إلى فسوقه لا يقل عنه انحرافا.. وقد أجمع الإخصائيون على أن الوقاية من هذا المرض تكون بالبعد عن سببه الأهم، تكون بالاستعفاف عن الحرام واللجوء إلى الحلال! ومع ذلك فلا رجال الدين، ولا رجال التربية، ولا رجال الإعلام دقوا الطبول لعودة الفضيلة ويشروا بما يكون فى كنفها من عافية ورضا..!! وددت لو تكونت فى كل قطر من أقطار الأرض وزارة للأسرة تهتم بتكوينها وحمايتها، لقد قرأت فى تصريح روى لأحد المسؤولين فى إنجلترا أن البلاد ستتكلف مليارا من الجنيهات فى محاربة الإيدز وإحصاء حاملى جرثومته، ووقاية الآخرين منه، وذلك فى عام واحد! لقد قلت: ما أغلى الحرام وأكثر مغارمه، وما أرخص الحلال وأيسر تكاليفه! إن التزام الصراط المستقيم لا يجسم شيئا من هذا كله! ومع ذلك فكثير من الناس يزهد

ثواب الإنفاق على البيت نفقة رب البيت على بيته زكاة مضاعفة الأجر مباركة المثوبة!! لقد شعرت بغير قليل من الدهشة وأنا أتدبر الأسلوب الذى قرر الإسلام به هذه الحقيقة. عندما يكون معى مال فأجعله للجهاد فى سبيل الله، أو أجعله فى تحرير الرقاب أو أجعله فى إغاثة مسكين، أو أسد به حاجات بيته، فأى هذه الأبواب خير؟ أيها أفضل من الآخر؟ لذا ذكر الأحاديث النبوية الواردة هذه القضية: عن أبي هريرة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدق به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك ... وعن ثوبان مولى رسول الله قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله! ودينار ينفقه على فرسه - المربوط - فى سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله .. قال الراوى : بدأ بالعيال.. وعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله قال له: إنك لن تنفق نفقة تتبعى بها وجه الله إلا أجزت عليها حتى ما تجعل فى فم امرأتك! .. وعن أبي مسعود البدرى رضى الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة .. وعن المقدام بن معد يكرب قال رسول الله: ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة،

وما أطعمنت ولدك، فهو لك صدقة، وما أطعمنت زوجتك فهو لك صدقة! وما أطعمنت خادمك، فهو لك صدقة! والأحاديث كثيرة نكتفى منها بما ذكرنا!. ماذا يعني هذا كله؟ كنت أرى أن ما يصرف في البيت مال مستهلك، وأن نفقات الأسرة على الإجمال من الضرورات التي نخرج منها وكل ما نرجوه ألا يكون لنا ولا علينا!.. أما أن تكون حسناً توضع في الميزان، ويزيد بها الثواب، بل قد تسبق في مضمار الخير ما ينفق في ميدان الجهاد وتحرير الرقاب، فذاك ما يدعو إلى التأمل. قلت: لعل ذلك لأن البيت المسلم هو الذي يبني العقائد وينشئ الفضائل داخل حجره الواسعة أو الضيقة؟ إن النبع الذي يسيل بالحياة للبنيان والبنات وللأم والأب نبع مبارك بلا ريب، إن الإنفاق في هذا البيت أدرك مشروع استثماري. من قديم توارث المسلمين هذه الحقائق الاجتماعية، فأمسى شرف الرجل أن يكسب وأن يعول أهله حتى يكبر الصغير ويستغنى الكبير، وكان يرى ذلك عبادة لا يستكثر فيها وقت ولا جهد، إنها دين ودنيا معاً. ولنتجاوز الآن تقاليد المدنية الحديثة التي ألفت أن يقول الأب لابنه أو ابنته عند البلوغ: هيا التمسوا الرزق في خبايا الأرض! بل لعل الرجل يستكثر إطعام زوجته! إن تماسك الأسرة وفق تقاليد الوفاء والشرف والبر جعلتها مجتمعاً يشد بعضه ببعض، ويد الله على الكل! كذلك كانت أمتنا وكذلك يجب أن تبقى. ومن حق راعي الأسرة وكاسبها أن يجد من زوجته تقديرًا لكده، وأن يستجدها في ظلها بعد تعب، وأن يكون لسان الحال والمقال شرحاً لصدره، وتطبيقاً لنفسه... أما الكنود والتجاهل فهما طريق الوحشة والقطيعة، وفي الحديث: ﴿لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغنى عنه﴾! وجاءت امرأة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال لها أذات زوج أنت؟ قالت: نعم! قال: فأين أنت منه؟ قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه!! - تعنى أنها تبذل طاقتها في مرضاته، أما ما غالب طاقتها فلا قبل لها به - فأجابها الرسول الكريم بهذه العبارة

الموجزة الجامعة: ﴿فكيف أنت له فإنه جنتك، أو نارك!﴾ وقد شرح ذلك حديث آخر ﴿المرأة لا تؤدي حق الله حتى تؤدي حق زوجها﴾. وقرأت حديثا طريفا لمعاذ بن جبل فيه وصف لبعض النساء ﴿الفتوات﴾ التي تحل مشكلاتها أحيانا بيدها (!) وتريد أن تبسط إرادتها في البيت غير مكترثة بشيء.. وقد استمعت إلى نصيحة النبي الكريم لهذه المرأة وأنا أغالب الابتسام! وهكذا الحديث: ﴿لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن - لأحد - في بيته زوجها وهو كاره! ولا تخرج وهو كاره! ولا تطيع فيه أحدا، ولا تعزل فراشه، ولا تضره!!﴾ قلت في نفسي: كيف تضره؟ هل استنونق الجمل إلى هذا الحد؟ أم أن المرأة من هواة الملاكمه، والمصارعة اليابانية؟ وعدت إلى الحديث الشريف أكمل قراءته بعد نهي الزوجة عن هذا التطاول والجحود قال: ﴿فإن كان هو - يعني الزوج - أظلم، فلتأنه حتى ترضيه! فإن قبل منها فيها ونعمت، وقبل الله عذرها، وأفلج حجتها - أظهرها - ولا إثم عليها، وإن هو لم يرض فقد أبلغت عند الله عذرها﴾. ويستحيل ألا تمر بالبيوت أزمات، بيد أن الخلق العالى كفيل بتفریج الضائق وحل المشكلات، وما أصدق قول الشاعر: لعمرك ما صافت بلاد أهلهما ولكن أخلاق الرجال تضيق! أقول: وأخلاق النساء أيضا!! وقد رأيت أن فساد ذات البين في الحياة الزوجية يمتد إلى الأولاد، ويعرضهم لأسوأ الخلال وأو中最 العواقب.. ما أجمل أن يكون الحب المتبادل والاحترام المتبادل قوام العلاقة بين الزوجين أو الأبوين! إن أثر ذلك في الذريعة عميق، وهو سياج متين لرسالة البيت في الداخل والخارج. وهناك حديث نبوى يذكره البعض في هذا الصدد يحتاج إلى شرح: قدم معاذ بن جبل من الشام، وذهب إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - يزوره بعد

مقدمه، ففوجئ الرسول الكريم بمعاذ يسجد له!! فقال له: ما هذا؟ ف قال معاذ قدمت إلى الشام فوجدت الناس يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم فأردت أن أفعل ذلك بك! الواقع أن التحية التي رأيتها أنا كانت احناء يشبه الركوع، ولا يزال هذا الانحناء الراکع تحية لإمبراطور اليابان، وكان كذلك تحية لإمبراطور الحبشه، وربما تحول في بعض الأحيان إلى سجود تام!! والعرب لا تعرف هذا في تقدير الكبار وتقديم التحية لهم، فلما نقل معاذ هذا التقليد إلى المدينة المنورة رفضه الرسول كل الرفض، وقال - كما جاء في بعض الروايات - لا تفعل فلو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها . وتنتمي المعنى ولكنى لا أمر أحداً أن يسجد لآخر، ولا للمرأة أن تسجد لزوجها.. والمراد كما جاء في تتمة الحديث ... والذى نفسى بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها . إن الزوج والزوجة إنسانان متكافئان في الحقوق والواجبات، ومع صدق العاطفة يكون الرجل ملكاً مطاعاً نافذاً الكلمة، ووسيلته في ذلك الوفاء والإخلاص والحب.

لا تهونوا من وظيفة ربة البيت هل دور الحضانة تغنى عن جو البيت، وصدر الأم، واستقرار الأسرة؟ ذلك بعيد، وما نقبل هذه الدور إلا لضرورات ملحة، وطبيعة الضرورة التوقيت، حتى تعود المياه إلى مجاريها، وتنبت الزروع في مغارسها.. والإسلام عندما أوجب على الرجل نفقة البيت، كان في الحقيقة يعطى المرأة عوضاً عن تفرغها لحسن تبعله، وتنشئة أولاده، واتجاهها الكامل إلى أداء رسالتها الطبيعية.. والذين يزدرون وظيفة ربة البيت `جهال بخطورة هذا المنصب وآثاره البعيدة في حاضر الأمم ومستقبلها الأخلاقي والاجتماعي. وأعباء هذا المنصب داخل البيت تكافئ أعمال الرجل الشاقة خارجه، وقد وجهت الشريعة كلا الجنسين إلى ما يليق به، ويتفوق فيه... والقدرات الخاصة لبعض النساء لا تلغى هذا التخصص. إن صفية بنت عبد المطلب نزلت من الحصن الذي أوى إليه النساء لأنها رأت يهودياً يطيف به وقد يدل الأعداء عليه، فهاجمته وقتلت! فهل نجد النساء كلهن لمثل هذه الحادثة؟ كلا! يقول الأطباء: كل واحد من الجنسين له دوره في الحياة الذي يتافق أحياناً مع دور الطرف الآخر، أو يختلف عنه. ولا ريب أن كيان المرأة النفسي والجسدي قد خلقه الله على هيئة تخالف تكوين الرجل، فقد بنى جسم المرأة على نحو يتلاءم ووظيفة الأمومة تلاؤماً كاملاً، كما أن نفسيتها قد هيئت لتكون ربة الأسرة وسيدة البيت، وبالجملة فإن أعضاء المرأة الظاهرة والخفية،

وعضلاتها وعظامها، وكثيراً من وظائفها العضوية، مختلفة إلى حد كبير عن مثيلاتها في الرجل. وليس هذا البناء الهيكلي والعضو المختلف عبئاً، إذ ليس في جسم الإنسان ولا في الكون كله شيء إلا له حكمة، وهيكل الرجل قد بني ليخرج إلى ميدان العمل كادحاً مكافحاً، أما المرأة فلها وظيفة عظمى هي الحمل والولادة، و التربية الأطفال، وتهيئة عيش الزوجية لسكن إليها الرجل بعد الكدح والشقاء. يقول الأستاذ عباس محمود العقاد - رحمة الله - : ومن الطبيعي أن يكون للمرأة تكوين عاطفي خاص لا يشبه تكوين الرجل، لأن ملازمته الطفل الوليد لا تنتهي بمناولة الثدي وإرضاعه، بل لابد معها من تعهد دائم ومجاورة شعورية تستدعي شيئاً كثيراً من التناسب بين مزاجها ومزاجه، وبين فهمها وفهمه ومدارج حسه وعطفه، وهذه حالة من حالات الأنوثة شوهدت كثيراً في أطوار حياتها، من صباها الباكر إلى شيخوختها العالية، فلا تخلو من مشابهة للطفل في الرضا والغضب، وفي التدليل والمجافاة، وفي حب الولاية والحدب من يعاملها، ولو كان في مثل سنها أو سن أبنائها، وليس هذا الخلق مما تصننه المرأة أو تتركه باختيارها، إذ كانت حضانة الأطفال تتم للرضاع تقتربن فيها أدواته النفسية بأدواته الجسدية. ولاشك أن الخلائق الضرورية للحضانة وتعهد الأطفال أصل من أصول اللين الأنثوي الذي جعل المرأة سريعة الانقياد للحس والاستجابة للعاطفة، ويصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكيم العقل وتقليل الرأي وصلابة العزيمة. فهما، ولاشك؟ مختلفان في هذا المزاج اختلافاً لا سبيلاً إلى المماراة فيه... ونعود إلى حديث الأطباء في هذه القضية - نقلًا عن نشرة مؤسسة الصحة العالمية - التي تقول: لا ريب أن أجمل أدوار المرأة في الحياة هو دور الأمومة وتربية النشء، وهي في هذا الدور تمد المجتمع بكل عناصر البناء والتقدم، وبقدر إخلاصها في هذه المهمة يكون المردود جيداً على الأمة وأسرها.

إن هذا الدور يكلفها كثيراً من العنااء والمشقة دون سائر المخلوقات الإناث الأخرى، الالاتى يحملن ويملدن، وذلك لأن تلك الإناث لا تفرز بويضاتها إلا في فترة محدودة من العام، بينما تفرز المرأة بويضة كل شهر منذ البلوغ إلى سن اليأس، والمرأة طوال هذه المدة بين حيض وحمل، ونفاس وإرضاع، وناهيك بما يترب على كل فترة من هذه الفترات من آلام ومتاعب. ففي أثناء الحيض الذي يعرض للمرأة في كل شهر - إلا إذا حدث حمل - تتعرض المرأة لآلام ومعاناة يمكن إجمالها فيما يلى: 1 - تصاب أكثر النساء بالآلام وأوجاع في أسفل الظهر وأسفل البطن، مما يضطرها أحياناً إلى مراجعة الطبيب واستخدام العلاج. 2 - يصاب كثير من النساء بحالة من الكآبة والضيق في أثناء الحيض، وعلى الأخص عند بدايته، وتكون المرأة متقلبة المزاج، سريعة الانفعال، قليلة الاحتمال. 3 - تصاب بعض النساء بالصداع النصفي قرب بداية الحيض، وتكون الآلام مبرحة، ويصحبها قيء وأحياناً زوغان في الرؤية. 4 - فقر الدم الذي ينتج عن النزيف، إذ تفقد المرأة كمية من الدم في أثناء حيضها تراوح ما بين 60 - 240 ميلى لتر. 5 - تصاب الغدد الصماء بالتغيير في أثناء الحيض، فتقل إفرازاتها الحيوية المهمة للجسم إلى أدنى مستوى لها. 6 - نتيجة للعوامل السابقة تنخفض حرارة الجسم، وبيطئ النبض، وينخفض ضغط الدم، ويصاب كثير من النساء بالشعور بالدوخة والكسل والفتور. وقد راعت الشريعة هذه الظروف التي تمر بالمرأة فأعفتها من بعض العبادات: كالصلوة أثناء الحيض...، والنهى عن الصوم، وقضائه في أيام آخر... فإذا كان رب العالمين قد أسقط عن النساء واجبات عينية في تلك الحالات فهل تفرض على نفسها أو يفرض عليها المجتمع ما لا تطيق؟

التي فقدت زوجها تربية الأولاد عبء مشترك يحمله الزوجان معا، وإنه لقدر طيب أن يشب الأولاد في حضانة أبويهم مستمتعين بدفع العاطفة وحسن الكفالة. لكن الريح لا تهب رخاء دائما، وطبيعة الحياة الابتلاء بالخير والشر، فقد يفقد الأولاد الكافل الحانى، فتبقى الأم أيماء والأولاد يتامى! وتتوفر الأم على صون أولادها - والحالة هذه - من أجل القربات التي تبلغها أعلى الدرجات! روى أبو داود عن عوف بن مالك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : `أنا وأمرأة سفيعاء الخدين كهاتين يوم القيمة - مثيرا بإصبعيه السبابية والوسطى - امرأة آمنت من زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتابها حتى بانوا أو ماتوا..` . والجميلة التي تهمل زينتها انشغالا بأولادها حتى يتغير وجهها امرأة مقدورة الفضل مرمرة المكانة، لكننا نتساءل: أكل النساء مطالبات بهذه التضحية؟ أظن أن هناك ملابسات كثيرة تحدد موقف الأيم ومصير يتامها! منها سن الزوجة.. وغناها أو فقرها، وأعمار الأولاد، ووضع المتقدم إليها الديني والاجتماعي! فقد يتقدم إليها قريب أو تقي يحسن معاملة الأولاد! ولذلك ترك للزوجة التي فقدت رجلها أن تنتصر بما يحقق لها وأولادها المستقبل الأطيب. عندما قتل جعفر الطيار في معركة مؤته، وكان شابا حول الثلاثين تاركا زوجته وأولاده لم تمض فترة طويلة حتى تزوجت المرأة أبا بكر الصديق، وحسنا فعلت، وقد رعى الله أولادها خير رعاية...`

ويحكى التاريخ أن عاتكة بنت زيد، وكانت صحابية أديبة ذات جمال وكمال ورأى، قتل زوجها عبد الله بن أبي بكر، فتزوجها من بعده عمر بن الخطاب فلما قتل عمر رضى الله عنه تزوجها الزبير بن العوام، فلما قتل الزبير بوادي السبع في الفتنة الكبرى تزوجها الحسين بن علي رضى الله عنه، فلما قتل بكريلاء كانت أول من رفع خده عن التراب ثم ترملت بعده فلم يسع إليها أحد! ومن الطرائف أن عبد الله بن عمر كان يقول: من أراد الاستشهاد فليتزوج عاتكة! لقد قتل أزواجها كلهم، ولا علاقة لها بهذه المصاير، وإنما هي أقدار!! وتحفظ لها كتب الأدب هذه الأبيات في رثاء أول زوج لها، عبد الله بن أبي بكر! آليت لا تنفك عيني حزينة عليك ولا ينفك جلدك أغبرا.. فلله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحمى في الهياج وأصبرا.. إذا أشرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت، حتى يترك الموت أحمراء.. إنها عاطفة صادقة بيد أنها موقوتة، وللحياة تيارها الدافق المطرد، والإسلام لا يقوم جندا أمام غرائز الفطرة وطبع الرجال والنساء. المشكلة أن الناس يريدون إخضاع الدين لتقاليدهم الخاصة، ولو كانت هذه التقاليد في عكس اتجاه السلف الأول وفطرتهم السليمة.

للعرض قد اسستطاعت آثاراً ومتالباً من أعمال أهل الكتاب الأولين أن تتسلل إلى المجتمع الإسلامي وأن تعرك صفاءه وتلوى مساره! بعضها في الروابط المقررة بين الرجال والنساء، بل في سلوك المرأة نفسها وميلها إلى التبرج!. والتبرج شيء غير التجمل، فالتجمل صون الجسد واستبقاء محاسنه الطبيعية واستبعاد ما يشينها أو يشوّهها، وذلك لا حرج فيه، بل هو مطلوب.. أما التبرج فهو الإثارة المتعتمدة بإضافات مفتعلة للفت الأنظار واستفزاز الرغبات، وهذا مرفوض، ويزداد الرفض عندما تكون المرأة خارجة للصلوة فإنها بذلك التبرج تفسد جو العبادة، وما ينبغي لها من طهر وتجرد، إن المساجد ليست معارض للفتنة ولا ميدان سباق بين الجميلات، ويجب إعادة المرأة المتبرجة إلى بيتها! وقد فعلت نساء بني إسرائيل هذا المحظور قديماً، وحذر الإسلام منه حديثاً، وشدد أن يخرج النساء إلى المساجد تفلات أى ليس في هيئاتها تبرج ولا إثارة. إن الإسلام حريص على طهر العلاقات بين الرجال والنساء في الأسواق والمجامع والبيوت والشوارع، ومن حقه أن يطمئن إلى سلامة النبات وبراءة الملتقيات، ومن حقه تحصين المعاملات من دسائس الغرائز الجنسية، حتى لا تجد متنفسها إلا في بيوت الزوجية.. وبعض الرجال طلعة! يحب أن يتجاوز ما لديه إلى غيره، وأن يستكشف من فنون

الجمال ما يزيد رغبته حدة! ومن ثم يلجاً إلى التطلع والتلصص فما يزيده ذلك إلا جمaha
وهبوطا، ويعجبنى قول الشاعر: . و كنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوماً أتعيئك المناظرا
رأيت الذى لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر! إن غض البصر أدب ربيع، وحصانة
من الانزلاق إلى مهاوى الرذيلة، وعلى المجتمع كله أن يتذكر حدود الله، وأن يحرسها بذكاء
وتلطف، وأن يضع نصب عينيه تيسير الزواج فإذا مهد الطريق إليه انتصب ماردا جبارا يحيى
البيوت ويحفظ الأسر الناشئة، ويوفر لها كل أسباب الازدهار.. والعرب يسمون الزوجة حرما،
وهي تسمية تشير إلى أن للعرض قداسة وأن صونه واجب قد تسترخص فيه الدماء.. إلا أن
كلمة حريم نقلت إلينا عنوانا على موضوع آخر، موضوع رجل مقتدر واسع الجاه، جمع حوله
عدها قل أو كثر من النساء وعاش يتقلب بينهن في حياة حالمه باسمه، فإذا حاول أحد
الاقتراب من سياج هذا الحريم الغريب فالويل له، ربما فقد حياته.. وتستطيع الاطلاع على
صور هذه الحياة الذهبية في قصص ألف ليلة، وفي حكايات التاريخ عن بعض الحكام الأولين،
الذين كانت قصورهم مخازن للمنتع كما عبر بعض الأدباء، وما أعجبها مخازن، وأجدرها
بالإنكار! . وعندى أن بني إسرائيل أول من رسم صورة هذه المهزلة الإنسانية أو الحيوانية إن
شئت، فقد زعموا في العهد القديم أن سليمان كانت له ثلاثة زوجة وسبعمائة جارية، أى
أنه جمع في قصوره ألف امرأة! ماذا يفعل رجل بهذا الجيش؟ وكيف يستطيع الدوران بينهن؟
قالوا : إنه ليس نبيا بل كان ملكا! ولنفرض - كذبا - أنه ملك على رأسه التاج فأنى لملك فى
الأولين أو الآخرين الطاقة على مصاحبة ألف امرأة؟ إن الغريزة الجنسية فى أعنى أطوارها
محدودة، وقد يخيل للصائم عند سورة الجوع أنه سياكل أصنافا شتى فإذا أفطر فما

هـى إـلا سـاعة حـتـى تـفـنـى شـهـوـتـهـ، وـيـعـزـزـ عـنـ الـأـكـلـ.. وـهـذـهـ القـصـصـ وـأـشـبـاهـهـاـ فـىـ تـارـيخـ السـلاـطـينـ مـنـ نـسـيـجـ الـخـيـالـ، الـأـفـهـاـ وـضـاعـونـ يـغـلـبـ عـلـيـهـمـ الشـبـقـ!ـ وـهـنـاـ وـقـفـةـ نـذـكـرـ فـيـهـاـ الـحـقـ فـىـ شـأـنـ النـسـاءـ الـمـسـمـيـاتـ بـالـجـوـارـىـ، إـنـهـنـ حـرـائـرـ مـخـتـطـفـاتـ فـىـ أـغـلـبـ الـأـحـوـالـ. وـفـىـ التـارـيخـ الـبـشـرـىـ سـنـوـاتـ طـوـلـةـ كـالـحـةـ كـانـتـ الـعـصـابـاتـ الـمـسـلـحةـ تـغـيـرـ عـلـىـ الـمـدـنـ وـالـقـرـىـ وـتـقـهـرـ الـفـتـيـاتـ الـمـسـتـضـعـفـاتـ عـلـىـ الـهـرـبـ مـعـهـاـ، ثـمـ تـبـعـهـنـ فـىـ أـسـوـاقـ الـنـخـاسـةـ أـوـ تـسـتـمـتـعـ بـهـنـ!ـ وـكـانـ يـقـعـ ذـلـكـ بـيـنـ الـعـرـبـ فـىـ الـجـاهـلـيـةـ. وـرـبـمـاـ وـقـعـتـ فـىـ الـأـسـرـ أـوـ فـىـ حـبـائـلـ الـقـنـاصـينـ. نـسـاءـ هـنـ فـىـ الـذـرـوـةـ مـنـ الـشـرـفـ وـالـكـرـامـةـ!ـ أـغـارـ عـرـوـةـ بـنـ الـوـرـدـ عـلـىـ قـبـيـلـةـ غـفارـ. وـعـرـوـةـ مـنـ صـعـالـيـكـ الـعـرـبـ الشـجـعـانـ الـأـجـوـادـ (!)ـ وـأـسـرـ فـتـاةـ اـسـمـهـاـ سـلـمـىـ، وـتـزـوـجـهـاـ وـاـسـتـولـدـهـاـ وـكـانـتـ الـمـرـأـةـ تـحـيـاـ مـعـهـ شـاعـرـةـ بـالـغـضـاضـةـ وـالـمـذـلـةـ، فـلـمـ أـتـاحـتـ لـهـ فـرـصـةـ الـفـرـارـ عـادـتـ إـلـىـ قـبـيـلـتـهـ، وـعـاـشـتـ بـيـنـ أـهـلـهـاـ.. وـلـحـقـ بـهـاـ عـرـوـةـ الـذـىـ أـحـبـهـاـ وـكـرـمـهـاـ يـطـلـبـ مـنـهـاـ أـنـ تـعـودـ لـأـلـاـدـهـاـ فـقـالـتـ لـهـ هـذـهـ الـعـبـارـاتـ النـاضـحةـ بـالـشـرـفـ وـالـإـبـاءـ وـعـزـةـ الـنـفـسـ:ـ يـاـ عـرـوـةـ إـنـىـ أـقـولـ فـيـكــ.ـ وـإـنـ فـارـقـتـكــ الـحـقـ.. وـالـلـهـ مـاـ أـعـلـمـ اـمـرـأـةـ مـنـ الـعـرـبـ أـلـقـتـ سـتـرـهـاـ عـلـىـ بـعـلـ خـيـرـ مـنـكـ!ـ وـأـغـضـ طـرـفـاـ، وـأـقـلـ فـحـشـاـ، وـأـجـودـ يـداـ، وـأـحـمـىـ لـحـقـيـقـةـ!ـ لـكـ مـاـ مـرـ عـلـىـ يـوـمـ مـنـذـ كـنـتـ عـنـدـكـ إـلاـ وـالـمـوـتـ فـيـهـ أـحـبـ إـلـىـ مـنـ الـحـيـاـةـ بـيـنـ قـوـمـكـ، طـالـمـاـ سـمـعـتـ الـمـرـأـةـ مـنـ قـوـمـكـ تـتـحـدـثـ عـنـىـ فـتـقـوـلـ:ـ قـالـتـ جـارـيـةـ عـرـوـةـ كـذـاـ وـكـذـاـ. وـالـلـهـ لـاـ أـنـظـرـ فـىـ وـجـهـ إـحـدـاهـنـ بـعـدـ الـيـوـمـ!ـ مـنـ كـرـهـهـاـ لـلـعـبـودـيـةـ.ـ اـرـجـعـ رـاـشـداـ إـلـىـ وـلـدـكـ وـأـحـسـنـ إـلـيـهـمـ!ـ أـهـذـهـ أـمـةـ مـنـ إـلـمـاءـ؟ـ فـمـاـ تـكـوـنـ الـحـرـائـرـ الشـرـيفـاتـ؟ـ لـكـ الـحـيـاـةـ قـسـتـ عـلـىـ رـجـالـ شـرـفـاءـ فـبـيـعـوـاـ مـمـالـيـكـ، وـقـسـتـ عـلـىـ نـسـاءـ كـرـيمـاتـ فـتـدـاـولـهـنـ الـأـيـديـ فـيـ الـأـسـوـاقـ ثـمـ اـحـتـبـسـنـ وـرـاءـ أـسـوـارـ الـحـرـيمـ عـشـرـاتـ أـوـ مـئـاتـ يـدـورـ بـيـنـهـنـ فـحـلـ طـامـحـ الـعـيـنـ طـافـحـ الـشـهـوـةـ!ـ وـفـىـ هـذـاـ الـعـصـرـ وـجـدـ طـورـ آخـرـ لـنـزـوـانـ الـشـهـوـاتـ، فـالـرـجـلـ السـكـرـانـ الـغـرـيـزـةـ يـسـتـطـيـعـ

الاتصال بآلف امرأة إذا شاء، لم يجتمعن له كما كان يصنع قديما للسلاطين والأباطرة، بل يطير وراءهن في أماكن البغاء أو في زوايا الشوارع أو في ساحات المراقص أو في أحفال المجون ومبازل الحضارة الميسرة هنا وهناك. إن ما كان حكرا على الملوك أمسى متاحا لأى صعلوك، بالثمن البخس أو الغالى وإنه لمن المحزن أن تتردى البشرية في هذه الهاوية والأسلوب الأمثل في العلاقة بين الرجال والنساء هو الزواج الذى يضم سكينة الروح إلى متعة الجسد، وتجاوب الفكر إلى جيشان العاطفة... والذى يضم قبل ذلك وبعده المهاجر الطهور لما ينشأ من أجيال. وقد تحدث الإسلام طوبلا عن الأسرة، ولكن الحديث شابه فهم سيئ وتطبيق أسوأ، ولست أكترث لحديث الأوربيين التافه عن التعدد، فالقوم يعددون في الحرام ما لا يحصر ويشغبون على الأديان كلها، وهى تبيح تعدادا له ملابساته ودعائيه.. وأحسب أنه عندما يحسن المسلمون تطبيق ما لديهم فإن نموذجا معيما للعلاقات الإنسانية سوف ينال الرضا ويسارع الآخرون إلى تقليله أو الاقتباس منه.

البيوت تبني على الحب هناك معالم ثلاثة ينبغي أن تتوفر في البيت المسلم، أو أن تظهر في كيانه المعنوي ليؤدي رسالته ويحقق وظيفته هذه الثلاثة هي السكينة والمودة والترابط.. وأعني بالسكينة الاستقرار النفسي، فتكون الزوجة قرة عين لرجلها لا يغدوها إلى أخرى كما يكون الزوج قرة عين لامرأته لا تفكر في غيره.. أما المودة فهي شعور متبادل بالحب يجعل العلاقة قائمة على الرضا والسعادة.. ويجيء دور الرحمة لتعلم أن هذه الصفة أساس الأخلاق العظيمة في الرجال والنساء على سواء، فالله سبحانه يقول لنبيه ﷺ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فطا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴿فليست الرحمة لونا من الشفقة العارضة، وإنما هي نبع للرقة الدائمة ودماثة الأخلاق وشرف السيرة.. وعندما تقوم البيوت على السكن المستقر، والود المتصل، والترابط الحانى فإن الزواج يكون أشرف النعم، وأبركها أثرا.. وسوف يتغلب على عقبات كثيرة، وما تكون منه إلا الذريات الجيدة! لقد شعرت أن أغلب ما يكون بين الأولاد من عقد وتناكر يرجع إلى اعتلال العلاقة الزوجية، وفساد ذات البين! فهل المعنويات تغنى عن الماديات؟ إن هناك عناصر أخرى تحف بالبيت أو تخرج منه لها أثر في سعادته. ولننظر إلى هذا الحديث النبوي، عن سعد بن أبي وقاص قال رسول الله -

صلى الله عليه وسلم . : ثلث من السعادة المرأة تراها فتعجبك، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك 3- والدار تكون واسعة كثيرة المرافق. وثلاث من الشقاء المرأة تراها فتسوءك وتحمل لسانها عليك، وإن غبت لم تأمنها على نفسها ومالك والدابة تكون قطوفا - بليدة - فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك 3- والدار تكون ضيقة قليلة المرافق . كل امرئ يميل إلى ما يسعده ويتبعه عما يشققه. وفي الحديث احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز . ومن حق المسلم أن يتطلع إلى بيت مريح واسع المرافق يزود منه بالطاقة النفسية الدافعة إلى العمل المثمر، ومن حقه أن يكره المواصلات الرديئة، وأن يكره قبل ذلك قصور المرافق، وسوء العشرة.. إن الدين لا يكتب مطالب الفطرة، ولا يصدر أشواق النفس إلى الرضا والراحة والبشاشة، وللإنسان عندما يقرر الزواج أن يتحرى عن وجود الخصال التي ينشدها وأظن ذلك حق المرأة أيضا فيمن تختاره بعلا.. فإذا صدق المخبر الخبر صحيح الزواج وبقى، وإن تعرض مستقبله للغيوم. وقد لاحظت أن الخاطب قد يتكلف أخلاقا إلى حين! فإن كان غضوبا تصنع الحلم وإن كان شحيحا تصنع الكرم! حتى إذا زفت إليه امرأته انكشف المخبأ، وبدت خلائقه الطبيعية! وفوجئت المرأة بما لم تكن تعهد فإذا هى تقول مع الشاعر المدهوش.. كل يوم تبدى صروف الليالي خلقا من أبي سعيد عجيبا... وقد يعطى الموافقة على مهر معين يجعله فى ذمته، فإذا تم العقد والدخول نسى الوفاء بما تعقد به. وقد حذر الإسلام من أنواع الغدر التي يلجم إليها ضعاف النفوس. وفي الحديث الشريف أيمما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثري ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها، خدعها فمات ولم يؤدي إليها حقها لقى الله يوم القيمة وهو زان، وأيمما رجل

استدان دينا لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه خدعة حتى أخذ ماله، فمات ولم يؤد دينه، لقى الله وهو سارق . إن الزواج ليس نزوة عابرة! إنه صحبة دائمة وميثاق غليظ وشركة في حياة لا تحمل هزلا ولا عبثا، فما ارتبط به الزوج أو الزوجة من شروط لا يسوغ فيه تحريف ولا تقصير. والوفاء بالمهر ليس إلا مثلاً يذكر لما يجب أن يكتنف الزوجية من صدق وشرف، ولو أن رجلاً عرض نفسه على أنه حليم أو سمح، فليثبت على هذه الخلال التي ادعاهما. ولويتكلفها إن لم تكن فيه! فإن بركات الله تنزل على أهل الصدق، وتجعل المعيشة أحلى وأبقى.. بل إن المرأة قد تتنازل عن حقها المالي كلها أو بعضه عندما ترى زوجها كرم الشمائل نبيل السجايا ! والتي تعطى نفسها لا تضن بمال.. وهناك رجال يحسبون أن لهم حقوقا، وليس عليهم واجبات، فهو يعيش في قوقة من أنايته وماربه وحدها، غير شاعر بالطرف الآخر، وما ينبغي له! والبيت المسلم يقوم على قاعدة عادلة `ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ` وهي درجة القوامة أو رياسته هذه الشركة الحية..! وما تصلح شركة بدون رئيس. وبديه ألا تكون هذه الرياسة ملغية لرأي الزوجة، ومصالحها المنشورة أدبية كانت أو مادية... إن الوظيفة الاجتماعية للبيت المسلم تتطلب مؤهلات معينة، فإذا عز وجودها فلا معنى لعقد الزواج. وهذه المؤهلات مفروضة على الرجل وعلى المرأة معاً فمن شعر بالعجز عنها فلا حق له في الزواج.. إذا كانت المرأة ناضبة الحنان قاسية الفؤاد قوية الشعور بماربها بليدة الإحساس بمطالب غيرها فخير لها أن تظل وحيدة! فلن تصلح ربة بيت! إن الزوج قد يمرض، وقد تبرح به

العفة فتضيق به الممرضة المستأجرة! المفروض أن تكون زوجته أصبر من غيرها وأظهر بشاشة وأملا وداعه له ومن الطرائف ما رواه أبو سعيد الخدري أن رجلا أتى بابنته إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: إن ابنتي هذه أبى أن تتزوج فقال لها رسول الله: أطيعى أباك! فقالت: والذى بعثك بالحق لا أتزوج! حتى تخبرنى : ماحق الزوج على زوجته؟ فحدثها النبي عليه الصلاة والسلام أنه لو كانت به قرحة فعالجتها بفمها ما زادت عن واجبها..! قالت: والذى بعثك بالحق لا أتزوج أبدا... فقال النبي للآب: لا تنحوهن إلا بإذنهن...! إن هذه الفتاة أنصفت نفسها، ولم تتعرض لتكليف يصعب عليها أن تقوم به، وليس لأحد أن يكرهها على ما تأبى وتمريض الرجل لامرأته له هذه المكانة ذاتها، مصدق قوله تعالى: `ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف` .. ولن نفهم أطراف هذه القضية إلا إذا علمنا بأن البيوت تبنى على الحب المتبادل، `هن لباس لكم وأنتم لباس لهن` كما قال تعالى. ومنطق الحب الشريف يعطى من الوفاء والولاء ما لا تعرفه القوانين التجارية والمبادلات المنفعية!! وما أكثر ما يفتدى الرجل بيته ب حياته وتفتدى المرأة بيته ب حياتها.. وما نقوله بالنسبة إلى المرأة نقوله بالنسبة إلى الرجل، فالعجز عن أعباء الأسرة المادية والأدبية لا يجوز له أن يتزوج وليس مع نصيحة الرسول الكريم ` من لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء `أى قاهر لغريزته..`

تضحيات الرجال والنساء المرأة الجبانة تعجز زوجها عن النهوض بواجباته وتحمل المخاطر واقتحام العقبات! المرأة البخلية تمنع رجلها من بذل العون وإكرام الضيف ودعم الضعاف! إن خذلان الداخل يعوق الامتداد في الخارج، ويجعل الرجل خادماً لمطالب بيته ومارب زوجته وأولاده، وهذا طريق لا نهاية له! وقد أمر الله الرجال أن يلبوا نداء التضحية ولو تعلقت نساؤهم بأذىالهم وحذرهم من النكوص وأشار الراحة واجتماع الشمل على حساب المبادئ والعقائد، وهذا معنى الآيات . (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم). العداوة هنا ليست الخصومات المعروفة، وإنما هي انهزام الرجل أمام مطالب أسرته وعوده عن الهجرة والجهاد كى يبقى إلى جوارهم.. وقد تدبرت تاريخ السلف الأول فوجدت تعاوناً فريداً بين أعضاء الأسرة على خدمة الإسلام والوفاء بحقه واقتسام المغامر في نصرته بين الأزواج والزوجات. تقول أم سلمة رضي الله عنها لما أجمع أبو سلمة على الهجرة. أعد لى بعيري وحملنى عليه مع ابنتنا سلمة ثم خرجنا إلى المدينة، فتبغه رجال من أهلى معرضين طريقه قائلين: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد، ونزعوا خطام البعير من يده وأخذذونى منه! وغضب عند ذلك رهط بنى سلمة، وقالوا : والله لا نترك ابنتنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا! قالت: فتجاذبوا الولد بينهم حتى كادوا

يخلعون يده، ثم انطلقوا به، وذهب زوجى إلى المدينة وحده، ففرقوا بينى وبين ابني وزوجى.. فكنت أخرج كل غداة فأجلس فى الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسى، ومكثت على ذلك نحو عام، حتى مربى رجل من بنى عمومتى فرأى ما بى ورق قلبه لى ، فقال لأهلى : ألا تتركون هذه المسكينة تلحق بزوجها؟ فقالوا لى: إلحق بزوجك إن شئت، فاسترددت ابني وارتحلت بعيرى وخرجت أريد المدينة وما معى أحد من خلق الله. حتى إذا كنت بالتنعيم - قربا من مكة - لقيت عثمان بن طلحة ، فسألنى إلى أين؟ قلت أريد زوجى بالمدينة! قال: وما معك أحد؟ قلت: ما معى إلا الله وابنى هذا. فأخذ بزمام البعير وهو يقول: والله مالك من مترك، وانطلق مسرعا بى.. فوالله ما صحيت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا نزل محطة أنماخ بى ثم تأخر عنى حتى أنزل، ثم قيد بعيرى إلى شجرة ثم ذهب بعيدا إلى شجرة أخرى فاضطجع تحتها.. حتى إذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فأعده، ثم استأخر عنى حتى أركب، فإذا استويت عليه أخذ بالزمام يقودنا، ومازلنا كذلك حتى أقدمنى المدينة، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف قال: هنا يقيم أبو سلمة، فادخلت على بركة الله، ثم انصرف قافلا إلى مكة بعدما أدى واجبه الشريف الرائع. واجتمع الشمل مرة أخرى في دار الهجرة بعد شتات وأحزان، لكن أبا سلمة واصل كفاحه في نصرة الإسلام، وشاء الله أن يكون من شهداء أحد، وأن تبقى أمر سلمة وحيدة مستوحشة حتى قدر الرسول جهادها ومصابها فبني بها وأعز جانبها. إن صرح الإسلام قام على تضحيات ثقال، قامت بها أسر شجاعة، تواصى رجالها ونساؤها بالحق وبالصبر.

أين وظيفة البيت؟ للبيت أثر بعيد في تنشئة الأولاد وإحكام سيرتهم، بل لعله الأصل الأول في وراثة الدين واللغة، وقد قرر علماء الأخلاق أن العنصرين الحاكمين في التربية والسلوك هما: الوراثة والبيئة، وإن اختلفوا في أيهما أقوى وأنفذ. ويقول الشاعر العربي: وينشا ناشئ الفتى فينا على ما كان عوده أبوه! فهل الأب وحده غارس العادات في نفوس الأولاد؟ كلاماً أثراها في المواريث البدنية والمعنوية، وعندما جاءت مريم بوليدها النبي العظيم من غير أب معروف قيل لها: يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً إن أثر الآبين معاً يرتفع في ذريتها ويلتمس في الأولاد، بل في الأحفاد.* ومن ثم فنحن نعد البيت مسؤولاً عن نتاجه، ونطلب من الأم والأب معاً العناية التامة بحاضر الأولاد ومستقبلهم، ويستحيل بناء مجتمع سليم على بيوت خربة، إن فقدان التربية إذان بأن الأمة لا مستقبل لها.. وقد طلب الإسلام من الأب أن يصلى النوافل في بيته حتى يألف أبناؤه الركوع والسجود! كما طلب أن يتلى القرآن في البيت ليتعطر جوه بمعانى الوحى، وفي الحديث أجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً أى أن البيت الذي لا يصلى فيه كالقبر الموحش، وقال رسول الله أيضاً مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت وقال أما صلاة الرجل في بيته فنور، فنوروا بيوتكم.. وجاء الأمر بتعليم الأولاد الصلاة منذ نعومة أظفارهم، وتعويدهم أنواع المكارم حتى

يسبوا شرفاء صالحين. وقد لاحظ المربيون أولو الغيرة أن الاستعمار الثقافي حريص على إنشاء، أجيال فارغة لا تنطلق من مبدأ ولا تنتهي إلى غاية، يكفي أن تحركها الغرائز التي تحرك الحيران، مع قليل أو كثير من المعرف النظرية التي لا تعلو بها همة ولا يتنظر بها جبين.. وأغلب شعوب العالم الثالث من هذا الصنف الهاابط... وقد شكا الأخ الأستاذ أحمد موسى سالم من أن الطفولة في بلادنا مهددة بالضياع القومي، والاغتراب الوطني، والاحتواء المذهبى، أى أننا لا نعرف فضائل قومنا ولا عظمة تاريخنا ولا قيمة رسالتنا ولا جمال لغتنا وروعتها بيانها، ومنذ أن يتحرك الفم نحو النطق والتعبير يبدو شبح اللغات الأجنبية، أو الألفاظ السوقية وتتعرض النفوس الغضة لغزو مشبع بالفكرة الأجنبية، ولصور تنقل إلينا ملامح غيرنا، ولكتب ومجلات متخصصة في تشويه شخصيتنا، وإبعادنا عن منابتنا، وتجهيلنا في ديننا وتعريفنا بالسلوك الأوروبي وحده!!.. وما هي المثل العليا التي ترسم في نفوس أطفالنا، وهم يدرجون نحو اليفاعة والشباب؟ صورة لاعب كرة يتأنق والجماهير تحىي قدمه اللبقة وهو يصلو ويحول! أو نجمة مسرح وهي تمثل دررها باكية أو ضاحكة، مقبلة أو مدبرة؟ إن خريجي هذه المدارس أو هذه المناظر لن يدركوا مجدًا ولن يصعدوا قمة، وهيهات أن تسترد بهم أمتنا شيئاً من خسائرنا الحضارية، وتخلقنا الاقتصادي والاجتماعي.. وأرى أن دور البيت في تربية البنين والبنات لابد أن توضع له سياسة علمية وأدبية جديدة، وإنما نسير إلى منحدر.. !! إذا لم يتعلم الولد الصدق في البيت فأين يتعلم؟ وإذا لم يتدرّب على الوفاء والأمانة والرقابة بين أحضان الآباء والأمهات فأين يتدرّب؟ هل وظيفة البيت توفير العلف لسكانه وحسب؟ ألم نسمع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ إن العقوبة على الانهيار الخلقي لا تنتظر يوم البعث! لقد شاهدنا أن الأمم الذاوية

الفضائل خفيفة الوزن في الميزان العالمي، وأنها تحيا غالباً على التسول الاقتصادي ويلازمها الهوان والعجز. الشباب القوى الذكي ثمرة طفولة نجت من الإهمال والضياع وتعهدتها امرأة واعية وأب يقط. عندما كنت شاباً لاحظت امرأة أجنبية تجمع أولادها في الأصيل وفي أيديهم الكراريس لتشرف على أداء واجباتهم المنزلية، فإذا نزلوا في الشارع للفسحة كانت ترقبهم من النافذة، وكأنها تخشى عليهم أخطار الطريق، أو مشاكلة الرعاع.. من أجل هذا قلت: إن وظيفة ربة بيت ليست وظيفة هينة، إنها منصب آخر فوق مأرب اللذة، ومطالب الشهوات الجنسية.. الأم مدرسة إذا أعددتها أعدت شعباً طيب الأعراق ! والغارقة الاستعمارية على الأمة الإسلامية كان لها هدفان قاتلان: أحدهما استبقاء المرأة جاهلة لا تدرى شيئاً عن نفسها أو عن العالم، والآخر تعليقها - إذا تعلمت - بمحاقر الأمور وأنواع الزينة وأشكال المدنية الحديثة والبعد بها عن اللباب والجد والارتقاء الفردي والجماعي.. وقد استعانت على ذلك بتعليم لا تربية معه، فإذا صرخ أحد يطلب دروساً دينية أمكن إسكاته بمقرر دراسي يحفظ الأولاد فيه سورة الفيل أو سورة الإيلاف، وهكذا يملأ الفراغ!!! وتمضي الغارقة الاستعمارية في طريقها لتقضى على الكبار بعد أن ضللت الصغار، وذلك ما جعلنى أكتب هذه الخاطرة الكئيبة، وأعيد ذكرها لعلها تنبه التائبين.. من شبابي الباكر إلى اليوم كنت إذا قرأت الصحف اليومية أتجاوز باب: أين تذهب هذا المساء؟ لأنني أعرف أين أذهب ! ولأنني لست بحاجة إلى من ينظم لي وقتى! إنني أطلب أبداً المزيد من المعرفة والمزيد من نفع الناس، وقلما أجد فراغاً بعد تلك الواجبات..

إلا أنه بدا لي في أحد أيام الشهر الماضي أن أتعرف كيف يقضى الناس أوقاتهم في المساء. فامسكت إحدى الصحف الكبرى وقرأت أسماء الأفلام التي يقضى معها الناس أمسياتهم وغليتنى الدهشة والحيرة وأنا أطالع هذه العناوين المعلن عنها في مساء يوم واحد : لهيب الشيطان. السفلة المحترفون. ثورة كونج! ولما كنت لا أعرف قائد ثورة اسمه كنج كونج فقد سألت أحد الناس عنه فقال لي: هو قرد هائل يهشم ما يقع تحت يده!. وتابعت قراءة الأسماء. الرجل المدمر. ميراث الغضب. علاء الدين. النمر والأنثى!. رجل في عيون امرأة. جري الوحش. عزبة الصفيح. الملعوب. قسوة الانتقام. قاهر التماسيخ. الننجا الجبار، ولا أعرف هذا الننجا !. الثأر والانتقام. الهجوم الدامي أو القتلة الطائرون. معركة التنين الجبار. سيف الشيطان، بنات من نار. المنتقم بقبضته. وسقوط نيويورك - يعني وضاعة نيويورك وهبوطها، فإن هذا البلد لم يسقط في يد الأعداء كما أعلم - انحراف شهوة الانتقام!! هذه الروايات كلها تعرض في مساء أسود، ولو كان مضاء بالكهرباء، مساء واحد يضم هذا الفكر الخسيس كله، ويتدبره النظارة المسوقون بسياط الدعاية وسماسرة الغزو الثقافي، يقضون معه الساعات الطوال، ويترك في النفوس أسوأ الآثار... هل يخرج أحدهنا بانطباع عال؟ أو بطموح كريم؟ هل هذه العروض تعين على تربية سليمة أو تدعم خلقاً زاكياً؟ إن الجيل الذي يخرج من هذه الدور لا يخرج فارغ العقل والقلب وحسب، ولكنه يخرج مليئاً بالصغار والكبار على سواء. عندي أن سموم الحشيش والهيروبين ليست أكبر ضرراً من سموم هذه المهالك المجلوبة من الخارج، وأن الأمة التي تشهد هذه القصص تضل الطريق إلى مستقبل معقول! وأقبل على المساء ولا تزال عناوين الأفلام المطلوب مشاهدتها ماثلة أمام عيني، فتلوت هذا الدعاء: اللهم اجعل مساءنا هذا مساء صالحاً لا مخزياً ولا فاضحاً. ..

الآباء فى زماننا كنت فى بلد إسلامى كبير فقرأت نبأ إنشاء ملجاً للعجزة به! فسرنى النبأ لأننى آسى للمصابين والضعاف، وأدعوا الله أن يجبر كسورهم ويفرج كروهم..! لكن صديقاً اطلع معى على النبأ وقال: هذا ملجاً لكتاب السن من الآباء والأمهات على نسق ما ينشأ فى العواصم الأوربية يقضى فيه الشيوخ والعلماء بقية أعمارهم..! فشعرت بالتشاؤم والكآبة. وقلت: إن رذائل الحضارة الحديثة قد وصلت إلى حد بعيد فى تدمير العلاقات العائلية، وقطعى ما أمر الله به أن يوصل. أعرف أن الشباب من الجنسين فى أوروبا يعبون من الحياة عبا، ويوجلون فى متاعها إغفالاً وأنهم ينسون آباءهم وأمهاتهم فلا يلتقيون بهم إلا فى أعياد الميلاد أو بين آماد متطاولة، فإذا كبر هؤلاء الآباء لم يجدوا صدوراً مفتوحة ولا دوراً تؤوى! وإذا وجدوا فمع تبرم، وعلى ضيق، وإلى حين! إن ملاجيء العجزة أو بيوت المسنين - بالتعبير الحديث - أولى بهم، ينتقلون إليها ريثما ينتقلون إلى القبور! أما أولادهم فهم بعد العمل المفروض يذهبون إلى المراقص أو المسارح ليستقبلوا الحياة ذلك أحظمى لديهم من قضاء أويقات إلى جانب أمر غضن الدهر جبينها أو أب أحنت السنون ظهره.. ما أقرب هذه الجماعات إلى الحيوانات وإن تعاظم نصيبها من العلم، وادعت مستوى أعلى من الحضارة...

ماذا عرانا؟ لقد كان الوالدان فى مجتمعاتنا برقة، يخرج المرء إلى عمله وهو مطمئن لأن والديه دعوا الله له، فإذا عاد إلى بيته كان السؤال عنهما أول ما يعنيه، ثم يلتفت بعد ذلك إلى زوجته وأولاده! إننا تغيرنا كثيراً، ولكن إلى أدنى...!! في القرآن الكريم يقرن ربنا جل شأنه بين توحيده والإحسان بالوالدين! ` واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ، والسبب في ذلك أن نعماء الوالدين تنهمر على ولدهما وهو في مراحل ضعف الإدراك وقلة الوعي سواء كان طفلاً أو صبياً أو مراهقاً! إنه يحسب ذلك الإغداق يجئ تلقائياً من جهة ملزمة به ليست لها بعد حقوق..! وكذلك يصنع الناس مع ربهم! إنهم يحسبون طعامهم وكساءهم ونماءهم وعافيتهم، وكل ما يقيم حياتهم شيئاً جاء من الهواء! أو من مجھول لا يريد أن يعرف !! ومن ثم فقلماً يحسون الشكر العميق على ما يصيرون فيه ويمسون من أطعية الله وأفضاله.. وقد شاء الله أن يلفتهم إلى فضل الوالدين، وهو عند التأمل القريب حق، وأن يلفتهم في الوقت نفسه إلى حقه الأكبر وامتنانه الأجل ، فهو خالق الوالد وما ولد، والكون وما حوى ` و قضى ربكم ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندكم الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفال ولا تنهرهما وقل لهم قولاً كريماً * و اخفض لهم جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ` فهل يكون الجزاء بعد قوة الولد وضعف الوالد، أن يستقل الشاب ببيت يروي فيه من اللذة، ويذهب الوالدان إلى ملأ العجزة، تخيم عليه العزلة ونذر الفناء؟ رأيت في أدبنا العربي القديم من يشكوا هذا العقوق القبيح، يقول أمية بن أبي الصلت لابنه الذي تنكر له: فلما بلغت السن والغاية التي إليها مدى ما كنت فيك أؤمل جعلت جزائي منك جبها وغلظة لأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك إذ لم ترع حق إبوبتي! فعلت كما الجار المجاور يفعل ! وقال آخر: لرببيه حتى إذا صار شيئاً- عملاً- يكاد يساوى غارب الفحل غاربه فلما رأني أبصر الشخص أشخاصاً قريباً، وذا الشخص بعيد أقاربه! تغمد حقى ظالماً، ولوى يدى لوى يده الله الذى هو غالبه! إن أرعشت كفاً أبيك وأصبحت يداك يدى ليث، فإنك ضاربه ! ولاشك أن بيوت المسنين، أو ملاجىء العجزة على وحشتها أفضل من هذا المصير الكفور أو من هذا العقوق الدنى، ولكن لماذا نختار بين الشررين، ولماذا لا تكون مظلة الوفاء والترابط مخيمه علينا، مؤدين تحتها حق الله وحق الوالدين؟؟ روى عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فاستأذنه في الجهاد، فقال: أحبى والدك؟ قال: نعم! قال: فيهما فجاهد.. وفي رواية أخرى أقبل رجل إلى رسول الله، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله! قال: فهل من والديك أحد حى؟ قال نعم، بل كلاهما حى! قال: فتبتغى الأجر من الله؟ قال نعم! قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما.. وفي رواية أخرى عن معاوية بن جahمة، أن جahمة جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك؟ فقال: هل لك من أم؟ قال نعم! قال فالزمها فإن الجنة عند رجلها و قد جاء في آثار أخرى أن الجنة تحت أقدام الأمهات. على أن البيوت ما تقوم وتصلح ويسودها البشر والتواصل إلا بتقوى الله وحسن الخلق! ولابد من هنات تقع! وأخطاء ترتكب، والتغلب على الأزمات العارضة يحتاج إلى لباقة وذكاء... وذاك سر ما روى عن مالك بن أنس أن رجلا جاء شاكيا يقول: أمرني أبي، ونهنتني أمي، فما أفعل؟ قال له: أطع أبيك ولا تعص أمك..!! وذهب أب غاضب إلى أحد الأئمة يقول له: مر ابني فليطلق امرأته! قال له الإمام

لماذا؟ قال: لأنى أكرهها.. فقال الإمام: كراهيتك لها لا تبيح طلاقها! فقال الرجل: ألم يأمر الرسول عبد الله بن عمر أن يطلق امرأته لأن أباها يكرهها؟ فقال الإمام: عندما تكون فى دين عمر وتقواه وعدها أكلف ابنك بما تريده! إن الحماة أحياناً تريد أن تبسيط سلطانها على الابن وزوجته. والزوجة تريد أن تستأثر ب الرجلها على والديه! وهذا المسلك الأناني يخلف آثاراً مميتة، وغيوماً معكراً، وعندما نلوذ بتعاليم الدين ونشتت بمكارم الأخلاق نجتاز مضائق صعبة ويبقى الشمل مجموعاً.

صلة الأرحام من الإيمان بئس الرجل يعيش لنفسه وحسب! لا يهتم إلا بما فيه، ولا يغتم إلا لمتابعيه، ولا يعرف إلا من يقرب له مصلحة، ولا يجفو إلا من لا حاجة له عنده . إن هذا النوع من البشر أدنى إلى الحيوان منه إلى الإنسان، ذلك أن الإنسان يفضل الحيوان بأمرين أولهما عقله المتحرك الجواب في الأرض والسماء، والثاني عاطفته الرحمة التي تشغله بأمر نفسه وأمر الآخرين . إن الدابة لا تحس إلا كيانها وما تهوى وما تخشى! وقد تمتد عاطفتها إلى ذريتها حيناً من الزمن ثم ينسى كلاهما الآخر وينطلق كما يشاء.. وفي الناس من يصبحون ويمسون لا يخرجون من القوقة التي يحيون داخلها، وهي أنايتها المطلقة المطبقة! والإسلام شديد الحرص على إيقاظ المسلم إلى غيره، وتعريفه بحقه، وإيصاله برعايته، وأول أولئك - بعد الوالدين - ذوي الأرحام.. ومن حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم - من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ` من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره - يطال في عمره - فليصل رحمه . ومن حكم النبوة ولطائفها ما رواه أبو ذر : ` أوصاني خليلي - صلى الله عليه وسلم - بخصال من الخير . . . أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقى، وأن أنظر إلى من هو دونى..

وأوصانى بحب المساكين والدنو منهم، وأوصانى أن أصل رحمى وإن أدبرت وأوصانى ألا أخاف فى الله لومة لائم وأوصانى أن أقول الحق ولو كان مرا، وأوصانى أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة . والأقارب ليسوا سواء، ففيهم السيئين والخلق القريب للشر، وفيهم الودود المقر بالجميل الناشر للمعروف.. عن أبي هريرة ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لى قرابة أصلهم ويقطعوننى، وأحسن إليهم ويسئون إلى، وأحلم عليهم ويجهلون على، فقال له: إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل - الرماد الحار - ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك ـ . وقد كان العرب يفخر بتحمله أذى الأقارب إبقاء على صلة الرحم، ولا يحمل الضغينة على قريب. وإنى لأنسى عند كل حفيظة إذا قيل: مولاك! احتمال الضغائن وإن كان مولى ليس مما ينوبنى من الأمر، بالكافى، ولا بالمعاون! يعني أنه قريب قليل الخير، ولكنه يعينه، وإن كان قليل العون، لا يسد ثغرة!!! ونريد أن ننظر إلى دائرة ـ الأرحام ـ كما رسمها الإسلام فإنها أوسع كثيراً مما يظنها المرء لأول وهلة، إنها تمتد وتنداح حتى تتجاوز الأعمام والأحوال وأبناء الأعمام والأحوال، والقرابات من الدرجة الأولى والثانية حتى تشمل الكثيرين!. الأساس - في نظر الإسلام - أن الناس جمیعاً أخوة لأب وأم، وأن هذه الصلة المشتركة لا يجوز أن تهمل وإن طال الزمان وكثرت الفروع وزاد البنون والبنات، والأخوة والأخوات، وفي هذا يقول الله تعالى: ـ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجalaً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به و الأرحام إن الله كان عليكم رقيباً . الناس كلهم ينتميهم أب واحد وأم واحدة، وهم - رضوا أم كرهوا - أخوة تجري في

عروقهم دماء مشتركة فعلام التقاطع والتناحر والاستكبار والاحتقار؟ إن النزعات العرقية قسمت البشر قديماً وحديثاً، ولا تزال الفروق القومية تجعل أبناء آدم كأنه لا رحم بينهم ولا قرابة.. والأوربيون يسررون ويعلنون أن الجنس الأبيض، أو سكان الشمال هم الأرقى والأذكى.. والمعلوم أن القوم لم يرز لهم تاريخ متوفوق إلا من بضعة قرون.. وهناك الاختلافات الدينية، فهي من قديم أساس عراك دموي طلوم أرخص الأرواح والأموال وورث الأحقاد والشارات. وقد أهدر القرآن الكريم كل ما توهنه الناس مبعث انقسام وشجار عندما قال: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله علیم خبير) إنني باسم الإسلام أقول لغيري من لا يدينون ديني، لكم عندي المبرة والعدالة، ولكم عندي حقوق الرحم الإنسانية الجامعة! وغاية ما أنشده أن تتركوني وما اقتنعت به، وأن تزكوا غيري حراً في اتباعي إذا شاء،.. نحن نؤمن بالله الواحد، وبجميع الرسل الذين أرسلهم، وندعو إلى وحدة دينية تحقق الوحدة الإنسانية وتصح مسيرتها في هذه الحياة. فمن صدقنا فهو منا، ومن كذبنا فليترکنا وشأننا ولا يلجهننا إلى مقاتلته دفاعاً عن أنفسنا. قال عبد الله بن عباس في شرح قوله تعالى: (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق * والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) يريد الإيمان بجميع الكتب والرسل، يعني يصل بينهم بالإيمان ولا يفرق بين أحد منهم.. هذا هو الإيمان الجامع للكلمة، المحقق للوحدة، الواثل لما بين الأنبياء من رحم وبين أتباعهم من إخاء...

ومن السهل رؤية الأطماء البشرية وهي تتخفى تحت رداء الوطنية والطائفية قاطعة الأرحام وسافكة الدماء قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تُولِّيْتُمْ أَنْ تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعْنَهُمُ اللَّهُ فَأَصْمَمَهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ ! وهنا مبحث لغوى طريف ثار عند شرح الحديث: ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ، قَامَتِ الرَّحْمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطْعِيَّةِ! قَالَ نَعَمْ، أَمَا تَرَضِينَ أَنْ أَصْلِكَ وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ؟ قَالَتْ: بَلَى! قَالَ: فَذَاكَ لِكَ! وَهُوَ مَعْنَى آيَةٍ ﴾ فَهَلْ عَسِيْتُمْ... ﴾ الْخ. قال القاضى عياض: الرحمن الذى توصل وقطع وتبر أو تعق إنما هى معنى من المعانى كالعلم، والعدل، والرحمة.. وغير ذلك، إنها ليست جسما، إنما هى قرابة ونسب، يجمعه رحم والده، فيتصل بعضه ببعض. والمعانى لا يتأتى منها القيام ولا الكلام، فكيف يفسر الحديث؟ قال: إنما هو ضرب مثل جرى على عادة العرب فى المجاز والاستعارة.. والمراد تعظيم شأن الرحمن وبيان إثمه قاطعها... وقيل بل المراد قيام ملك من الملائكة بهذا الموقف يتعلق بالعرش ويتكلم بلسان الرحمن... وأيا ما كان الأمر، فصلة الرحمن من أبرز شعب الإيمان ومن أعظم القربات لدى الرحمن...

العمل لا العدد قرأت بحثاً لعالم في الجغرافيا البشرية تحدث فيه عن سكان الأرض منذ تمهدت لأدم وبنيه حتى اليوم، ثم أتبع كلامه ببحث آخر عن سكان الأرض في عالمنا المعاصر وعن أعدادهم وأديانهم، وختم البحث بنبذة علمية عن الصبغة الدينية التي ستعمل على العالم في العصر القادم. يرى الباحث أن الأرض سكنتها من بدء الخليقة إلى الآن ثمانون ملياراً من البشر، ولست أعرف المقدمات التي انتهت به إلى هذه النتيجة! ولم أستكثِر العدد ولم أستقله. كل ما أحسسته أن هذه المليارات الثمانين موجودة لم يلتحقها فناء، وأننا سنلحق بها حتماً لنزيد عددها على نحو ما قال الشاعر العربي. لكل أنس مقبر بفناهم فهم ينقصون، والقبور تزيد! ويستيقظ السابقون واللاحقون يوماً ليواجهوا مستقبلاً متفاوت الألوان والدرجات كما جاء في الكتاب الكريم: *ربنا إنك جامِع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد*. إن القشرة رقيقة جداً بين الموت والحياة، وفي كل طرفة عين يستخفى من بيننا أقرباء وغرباء كانوا ملء السمع والبصر، والمدهش أننا نكترث لذلك قليلاً ثم يخطفنا تيار الحياة بعيداً فننسى كل شيء! لأنك هذا التفكير، ولأعد إلى ما يقوله الباحث في الجغرافيا البشرية عن الأحياء من

سكن الأرض إنهم نحو خمسة مليارات الآن موزعة على الإسلام والنصرانية والوثنية والشيوخية واليهودية. ويرى الباحث أن المسيحيين يزيدون على المليار، وأن المسلمين يقاربونه، ومع أنى أعلم أن عبئاً كبيراً يقع في إحصاء المسلمين إلا أنى لم أهتم به، وإنما اهتممت بالنبؤة التي سجلها الباحث الجغرافي - ولعله كتب مقالة من أجلها - فقد قال: إن هناك حرصاً على تقليل النسل في أوروبا وأمريكا، وأن تعداد السكان في أغلب الدول الغربية ثابت، وقد ينقص قليلاً أو يزيد، أما في العالم الإسلامي فالنوع في صعود.. ولا أدرى أنسى الكاتب أم أنه تناهى بقایا العفة والطهر في العلاقات الجنسية بين المسلمين، وطوفان العهر والتسيب بين جماهير من الأمريكان والأوربيين!.. إن الناس لا يزيدون مع انتشار الإيدز وغیره من العلل النتنة! وقد استخدم غزو الفضاء لبحث جرثومة الإيدز ومحاولات استكشاف علاج يقضي عليها، أى أن التقدم العلمي يستغل في تغطية آثار الجريمة الشاذة. أما كان أقرب من ذلك كله تحكيم وحى الله وتحريم المنكر من العمل والقول؟.. وأعلن بعد ذلك إخوانى المسلمين بأن زيادة عددهم إلى ملاريين لا يفرجنا! فالملهم كثرة العمل لا كثرة العدد.

المسخ الذى أصابنا أتسمع الإذاعات الأجنبية لأعرف أحوال سائر الخلق بعد أن أعرف أحوال قومى، وقد وقفت أسفًا دهشا وأنا أتابع ما طلبه المستمعون من الموسيقى والغناء الغربى. ناس فيهم الذكران وفيهم النسوان، من أحياط وطنية، وأماكن بدوية، هذا يتطلب سماع المغنية الفرنسية فلانة وهذا يريد أن يسمع المغنى الإنجليزى فلان، وتلك تهدى الألحان لحبيبها وذاك يهدى لحبيبته الغالية جداً!.. وبلغ الضياع القاع عندما عرضت رواية عايدة باللغة الإيطالية قريباً من أهرام الجيزة، وحضر الألوف وانصرفوا وهم بحمد الله لم يفهموا شيئاً غير ب GAM يعلو ويهبط!!.. وتذكرت ما حكى عن المغنى الزنجى المحققور مايكل جاكسون الذى يكره العرب أشد الكراهية، فقد قيل له: إن العرب يحبون أن يسمعوا أغانيك! فقال: لو علمت ذلك ما غنيت!!.. قلت: هذا المغنى يخدم اليهود، وكان جديراً أن يسقط من عين العرب ولكن عشاق الطرف لا دين لهم ولا غيره!.. لقد فكرت طويلاً فى هذا المسخ الذى أصاب طوائف من أمتنا فأصابها ما أصاب اليهود قديماً عندما جعلهم الله قردة وخنازير... إن هذا المسخ بدأ بين المثقفين الذين احتقروا لغتهم، وأهانوا تراثهم الأدبى، وشعروا ألا كيان لهم إلا إذا تحدثوا بلسان أجنبى، وتعاملوا بتقاليد مستوردة.. وأخذت شخصية الأمة تنفت، حتى شعرت أنها كالإسفنجية التى تمتص كل ما حولها لأنها خاوية خالية تجذب ما يعرض لها..

إن الشعر العربي العامر بالجمال والحكمة اختفى من لغة التخاطب.. وكنا قدימה نحارب الغزو اللغوى فأمسينااليوم ننشئ للأطفال مدارس اللغات التى تؤخر العربية أو تهملها لتبني على أنقاضها اللغات الأخرى.. وما نحارب معرفة اللغات ولكننا نأسى عندما نرى النطق بالعربية رديئا حافلا بالأغلاط الفاضحة بينما نرى الحديث بالإنجليزية أو الفرنسية مضبوطا لاعوج فيه.. ليس للعربية كرامة ولا للحفظ عليها حراس ولا يخزى من الجهل بها رئيس أو مرءوس.. والآن أسمع شخصا من بولاق فى القاهرة، أو من الباسطة فى بيروت، أو من القصبة فى الجزائر يريد أن يشنف آذانه أو آذان حبيته بسماع أغنية من أغانى `البوب` أو موسيقى `الروك والرول` جدع الله آذانكم وأنوفكم وأصم أسماعكم!!.. إن هناك انحدارا تهوى به أمتنا فى مجال اللغة والأدب والفن، وإذا لم نسارع إلى علاجه سقطنا فى هاوية لا قرار لها..

الدين عند تاتشر وعندنا ألقى السيدة مارجريت تاتشر خطاباً في اسكتلندا شرحت فيه العلاقة الوثيقة بين فلسفتها السياسية وعقيدتها الدينية. وكان خصومها قد اتهموها بأنها أيقظت نوازع الأثرة والطمع في النفوس، وجعلت الجماهير تركض وراء المال ركضاً جامحاً. قالت المرأة الزعيمة: إنها تحب الغنى للجميع، وترجو لكل فرد ثراءً واسعاً، وأنكرت أنها تدفع إلى عبادة المال، وبينت أنها تندى أن يملك كل فرد ما يكفيه ويرثه ثم ما يجعله قادراً على العطاء السمح وسد الثغرات في المجتمع... وفهمت أنا من تلخيص الإذاعة الإنجليزية لخطابها - أنها تشرح الحديث النبوي - نعم المال الصالح للعبد الصالح - والحديث الآخر إن الله يحب التقوى الغنى... وهى بداهة لا تعرف هذه الآثار الإسلامية، إلا بفطرتها وذكائها. المهم أنها رفضت الاتهام بالخروج على الدين وأنها أعلنت تماسكها بال المسيحية! وازنت بين تصريحات رئيسة دولة من أعظم دول الأرض، وبين تصريحات وزير الثقافة عندما ثم شعرت بالخزي، فقد قال: مبادرتي في مواجهة التطرف هي إحلال الخيال المادي مكان الخيال الغيبي! وجعل أنا المادية في مواجهة الغيبية !! ثم زعم وزير الثقافة: أن الهجوم يأتي من الغيبية والصمود يأتي من المادية!! والكلام كله متهافت سقراط، فإن رفض الغيب انسلاخ عن الدين كله، والزعم بأن الدين يهاجم وأن الإلحاد يدافع زعم سقراط، والصورة التي تماسكت بذهن الوزير

الذى يزرى على الغيب صورة دميمة لا علاقه لها بأحكام الدين، ولا بالواقع الذى ثارت من أجله المعركة! وإذا كنا قد رفضنا كلام الفتية الذين يحرمون الغناء كله، فنحن أكثر رفضاً لكلام رجل يتناول الغيب بهذا الأسلوب العجيب.. وبينما أنا في دهشتي لصدور هذا اللغو من مسئول قرأت للأستاذ الكبير مصطفى أمين هذه العبارات : ` نتمنى عندما نعيين وزيراً جديداً أن نقول للشعب: من هو هذا الوزير؟ فكثيراً ما يفاجأ الناس بتعيين وزير لا يعرفون عنه شيئاً. كأنما انشقت الأرض فجأة وخرج منها هذا الوزير.. فإذا كان الوزير في الماضي عضواً في جماعة `حدتو الشيوعية قلنا ذلك في صراحة حتى يعرف الجمهور سر القرارات التي تصدر والقوانين التي تفرض.. فإذا كان الوزير من التنظيم الطبيعي قيل للشعب إنه كان عضواً في هذا التنظيم الذي حكم مصر يوماً ما . أقول: حكم مصر في أيام نحسات! أليس غريباً أن إحدى الدول العظمى كإنجلترا تؤكد صلتها بالغيب، وتصطلح مع تراثها الثقافي والروحي، وأن مصر المتخنة بالجراح المثقلة بالديون تتندر بالغيب - على لسان وزير ثقافتها - إننا نخاصم أسباب الأرض وبركات السماء في وقت واحد، فمن أين يجئ الإنقاذ؟.

الإيدز وحرية التختن تتسع الدائرة التي ينتشر فيها مرض ` الإيدز ` وتزيد الأموال المرصدة لمحاربته وتتواء الدول الفقيرة - في أوربا وأمريكا - بمحاربته هذه الحرب التي لا تبدو لها نهاية.

ويقول الدكتور ` ليونارد مانا ` ممثل ` كوستاريكا ` في أحد المؤتمرات الطبية: إن وزارات الصحة في دول أمريكا الوسطى لا تستطيع تطويق هذا المرض ومنع انتشاره! وشكرا من أن المرض اللعين أصبح متوطنا لا مستوردا! وذلك لعجز الشعوب عن مطاردة الشذوذ الجنسي، والبغاء، اللذين يمثلان بؤرتين أساسيتين لهذا الداء الخبيث!! ونحن نعلم أن الولايات المتحدة مهددة بهذا الوباء، ومهتمة باستكشاف دواء له، وقد بلغ من اكتراحتها بمكافحته أنها سخرت إحدى مركباتها الفضائية لحمل جرثومة المرض في خلية مصابة لتعرف ما يعروها في طبقات الجو العليا! فقد تجد وسيلة للتغلب عليها!! وقد يسرنا أن يفلح العلماء في اختراع ما يشفى من هذه العلة، فنحن نرحم كل مصاب - ونحاول أن نحمل الجرحي في ميدان الاستقامة حتى نجد لهم المأمن والعافية، داعين لمرضى الأرواح والأجسام أن يمن الله عليهم بالعافية حتى يعودوا إليه تائبين. إن مرض الإيدز من أمراض الحضارة التي تضخم كيانها المادي، وضمر كيانها الروحي ضميرا شديدا. والبلاد الإسلامية أقل البلاد تعرضا لهذه المصيبة المثيرة للسخط والاشمئزاز، وذلك لبقاء الإسلام في جنابتها، والنفور الشديد من جريمتي اللواط والزنا، وهاتان الجريمتان

تجدان مرتعًا خصبا في أقطار الغرب حيث عجز أهل الكتاب بإمكاناتهم القليلة ومواريثهم الضعيفة أن يقاوموا نزوات الغرائز، وانحرافاتها الشائنة.. ونحن - عشر الدعاة - نشعر بقلق عندما نشعر بمطارق الغزو الثقافي المسعور تنهال على بلادنا، ت يريد الإجهاز على بقايا الدين في أرضنا واحتياج ما بقى من طهر لدينا!! ولقد وقفت ضائق الصدر أمام عنوان في صحيفة كبيرة جداً تتحدث عن مرض الإيدز فتقول: إنه مشكلة عالمية لها أبعادها المتعلقة بالحرية الفردية وسلامة المواطن واستقراره.. الخ. أهذه أخطار المرض الخسيس؟ أية حرية فردية يتحدث عنها الكاتب الماجن؟ حرية العهر والتختن وتحول الرجال إلى نساء؟. إن الأقلام التي تنسى الله، والدار الآخرة، ومدارج الكمال الإنساني آن لها أن تحتجب أو تنكسر، فإن بقاءها ذريعة فناء ماحق لكل ما في العالم من خير.

محنة المخدرات تشغل المفكرين محنـة انتشار المـسـكـرات والمـخـدرـات وأنـواع التـبغ والـهـواـيات القـبيـحةـ الأخرىـ! ورأـواـ فيهاـ تـهـديـداـ حـقـيقـياـ لأـمـتـناـ وـقـضـاءـ سـهـلاـ عـلـىـ يـومـهاـ وـغـدـهاـ.. وـقـدـ فـكـرـتـ فـىـ أـسـبـابـ هـذـهـ المـحـنـةـ، فـرـأـيـتـ أـنـهـاـ إـنـ لـمـ تـقـعـ وـقـعـ مـثـلـهـاـ أـوـ قـرـيبـ مـنـهـ! ذـلـكـ أـنـ الـأـمـمـ قـدـ تـصـابـ بـمـرـضـ فـقـدانـ الـمـنـاعـةـ الـخـلـقـيةـ كـمـاـ تـصـابـ الـأـجـسـامـ بـمـرـضـ فـقـدانـ الـمـنـاعـةـ الـصـحـيـةـ! وـفـىـ كـلـتـاـ الـحـالـتـيـنـ يـمـسـىـ الـكـيـانـ الـبـشـرـىـ مـفـتوـحـ الـأـقـطـارـ لـكـلـ الـبـلـاـيـاـ الـتـىـ تـعـجـلـ بـحـتـفـهـ! وـفـقـدانـ الـمـنـاعـةـ الـنـفـسـيـةـ أـوـ الـخـلـقـيـةـ يـعـودـ إـلـىـ ضـعـفـ التـرـبـيـةـ أـوـ سـوـءـ التـنـشـيـةـ وـنـمـوـ الـطـفـلـ وـهـوـ مـحـرـومـ مـنـ ضـوـابـطـ الـخـلـقـ الـزـاكـىـ وـالـعـبـادـةـ السـامـيـةـ وـالـعـادـاتـ وـالـتـقـالـيدـ الـتـىـ تـحـرـسـ عـقـلـهـ وـتـصـونـ مـسـلـكـهـ وـتـشـعـرـهـ بـأـنـ هـذـاـ حـسـنـ يـسـتـمـسـكـ بـهـ، وـهـذـاـ رـدـىـ يـبـتـعـدـ عـنـهـ، وـهـذـاـ اـمـرـأـ فـاضـلـ يـحـتـرـمـ وـهـذـاـ اـمـرـأـ فـاشـلـ بـزـدـرـىـ... وـالـأـسـرـةـ بـلـاـ رـيبـ هـىـ الـمـهـادـ الـأـوـلـ لـهـذـاـ التـكـوـيـنـ الـأـدـبـيـ، إـنـ الـإـنـجـابـ الـمـجـرـدـ لـيـسـ وـظـيـفـةـ الـأـسـرـةـ، فـإـنـ الـدـوـابـ وـالـطـيـورـ وـالـزـواـحـفـ تـتـنـاسـلـ وـتـتـكـاثـرـ، وـمـيـزةـ الـبـشـرـ أـنـهـمـ يـلـدـونـ وـيـعـلـمـونـ وـيـرـبـونـ، وـعـنـدـمـاـ تـفـقـدـ الـأـسـرـةـ قـدـرـتـهـاـ عـلـىـ حـمـاـيـةـ الـطـفـولـةـ وـتـزـوـيـدـهـاـ بـالـخـصـائـصـ الـرـفـيـعـةـ فـلـاـ قـيـمـةـ لـنـتـاجـهـاـ. قـالـ لـىـ صـدـيقـ: هـذـاـ صـحـيـحـ، وـلـكـنـ لـمـاـ تـفـتـرـضـ أـسـرـةـ ذـاتـ رـسـالـةـ فـىـ أـمـةـ نـسـيـتـ رـسـالـتـهـاـ؟ عـلـىـ الـأـمـةـ أـوـلـاـ أـنـ تـحـرـمـ لـغـتـهـاـ وـصـلـاتـهـاـ وـأـنـتـمـاـهـاـ الـدـيـنـىـ الـصـرـيـحـ وـشـارـتـهـاـ الـتـىـ تـتـمـيـزـ بـهـاـ بـيـنـ شـعـوبـ الـأـرـضـ، وـنـحـنـ أـمـةـ نـسـيـنـاـ لـغـتـنـاـ وـآـدـابـهـاـ، وـنـذـكـرـ الـإـسـلـامـ فـىـ ذـيـلـ

القائمة إن ذكرناه بعد الانتماء الإفريقي أو الآسيوي أو... فقاطعت صديقى على عجل قائلاً: لا أريد البت فى قضية هل الدجاجة من البيضة أو البيضة من الدجاجة! إننى مصدقك فى أن الاضطراب العام يلقى ظلاله السود على البيت وتأديب الأولاد.. ينبغى أن نذكر الدولة بما عليها وقبل ذلك يقوم الآباء والأمهات بواجبهم داخل البيت، فإذا عرض التلفاز قصة سخيفة أو منظراً خليعاً قام الأب أو الأم بإطفائه للفور، واستنكار ما حدث.. والأب المدخن لا يلومن إلا نفسه إذا قلده أولاده فى تناول سموم الدخان.. ومن الخير أن تكون الكلمات المتبادلة نظيفة عالية المستوى فإذا هبطت فلا يستغرين الآباء أن تجرى على أفواه أولادهم كلمات نابية.. إننا إلى اليوم نتواضع على إنفاق مال كثير فى فستان فاخر أوفى وليمة تكون موضوع الإعجاب، أما فى إنشاء مكتبة منزلية ثمينة فأمر لا يخطر بالبال. ونحن ندع للطريق العام ولأصدقاء السوء فلذات أكبادنا كأن مستقبلهم لا يعنيها، وقد كنت أرافق أقوال الشباب المدمن فراعنى أن كل واحد منهم ذكر أن الذى جره إلى تناول المخدرات صديق خدعاً بكلمة ثم دفعه بعدها إلى الهاوية المشئومة... والمقلق أن اليهود يربون أولادهم على نحو آخر، فالتاريخ العبرى، وأحداث العهد القديم، والذكريات التى كبرت عليها عشرات القرون، واللغة التى نزعت عنها الأكفان وعادت إلى الحياة، والحماس الدينى الملتهب، والتعاون الوثيق بين الزوجين فى الحقل أو فى المصنع أو فى الإداره، وتحديد ساعات اللهو لتكون عوناً على ساعات مضاعفة من العمل الشاق المثمر... كل ذلك يكتنف التربية المنزلية والمدرسية، ويعد بنى إسرائيل ليوم حاسم مع العرب التائهين..

الباب الرابع مفاهيم يجب أن تصحح 1- القوامة لا تعنى القهر. 2- المرأة حرة في اختيار زوجها. 3- سفر المرأة. 4- الوجه ليس عورة. 5- حرمة صوت المرأة.. إشاعة كاذبة. 6- الدين ليس احتفاء بالصغار. 7- الإمام يغنى. 8- النساء بين التجنيد والتدريب. 9- هواة خراب البيوت. 10- في ضرب الزوجات. 11- بيت الطاعة: اجتهاد خاطئ. 2- التشدد في إيقاع الطلاق. 13- الطلاق وقف مؤقت للزوجية. 14- تقاليد لابد من تغييرها. 15- ثياب النساء. 16- تفكير باطل. 17- لا تمنعوهن من المساجد. 8- أفحكم الجاهلية يبغون. 19- الزواج من الأجنبيات. 20- أطفال المستضعفين للبيع. 21- يتامى المسلمين. 22- المؤاخاة بدليل عن التبني 23- عن التحكم في جنس الجنين. 24- الجار له عليك حق. 25- فنانون تائرون.

القوامة لا تعنى القهر هل قوامة الرجل على بيته تعنى منحه حق الاستبداد والقهر؟ بعض الناس يظن ذلك وهو مخطئ ! فإن هناك داخل البيت المسلم ما يسمى `حدود الله` وهي كلمة لاحظت فى تلاوته للقرآن الكريم أنها تكررت ست مرات فى آياتين اثنتين !!! والآياتان فى دعم البيت المسلم حتى لا يتتصد، وفي تدارك صدوعه حتى لا ينهاه.. وهما قوله تعالى `الطلاق مرتان فامساك بمعرف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتتكموهن شيئاً إلا أن يخافوا ألا يقيموا حدود الله فإن خفتم ألا يقيموا حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتقدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون * فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فإن طلقها فلا جناح عليهم أن يتراجعوا إن ظناً أن يقيموا حدود الله وتلك حدود الله يبيّنها لقوم يعلمون . ما هذه الحدود التي تكررت ست مرات خلال بضعة سطور؟ إنها الضوابط التي تمنع الفوضى والاستخفاف والاستضعف، ضوابط الفطرة والعقل والوحى التي تقييم الموازين القسط بين الناس، إن البيت ليس وجاراً تسكنه الشعاليب، أو غاباً يضم بين جذوعه الوحش. لقد وصف الله مكان المرأة من الرجل ومكان الرجل من المرأة بهذه الجملة الوجيزة `هن لباس لكم وأنتم لباس لهن` إن هذا التمازج بين حياتين يكاد يجعلهما كياناً واحداً، وليس الغريزة هي الجامع المشترك، فالنسمة العابرة لا تصنع حياة دائمة! وقد عنى المفسرون الكبار بجو البيت المسلم وهم يشرحون حدود الله التي تكررت كثيراً فيما سقنا من

آيات، وكان أهم ما حذروا منه الظلم! قال صاحب المنار رضى الله عنه: `.... والظلم آفة العمران ومهلك الأمم، وإن ظلم الأزواج أعرق الإفساد وأجل في الإهلاك من ظلم الأمير للرعية، فإن رابطة الزوجية أمن الروابط وأحكامها فتلا في الفطرة الإنسانية! فإذا فسدت الفطرة فسادا انتكث به هذا الفتل، وانقطع ذلك الحبل، فأى رجاء في الأمة من بعده يمنع عنها غضب الله وسخطه.. إن هذا التجاوز لحدود الله يشقى أصحابه في الدنيا كما يشقىهم في الآخرة... وقد بلغ التراخي والانفصال في رابطة الزوجية مبلغا لم يعهد في عصر من العصور الإسلامية، لفساد الفطرة في الزوجين واعتداء حدود الله من الجانبين ` . والواقع أن داخل البيت يتأثر بخارجه، وتيارات المبوعة والجهالة والإسراف إذا عصفت في الخارج تسللت إلى الداخل فلم ينج من بلائها إلا من عصم الله...! إننا نريد أن نتفق أولا على إقامة حدود الله، كما رسمها الكتاب الكريم، وشرحها السنة المطهرة وأرى أن ارتفاع المستوى الفقهي والخلقي والسلوكي لكلا الجنسين سيوطد أركان السلام داخل البيت وخارجه، وسيجعل المرأة تبسط سلطانها في دائرتها كما تتيح للرجل أن يملك الزمام حيث لا يصلح غيره للعمل في زحام الحياة وعراها الموصول... إذا كان البيت مؤسسة تربية أو شركة اقتصادية فلابد له من رئيس، والرياسة لا تلغى البتة الشورى والتفاهم وتبادل الرأي والبحث المخلص عن المصلحة. إن هذا قانون مطرد في شئون الحياة كلها، فلماذا يستثنى منه البيت؟ قوله تعالى في صفة المسلمين ` وأمرهم شورى بينهم ` نزل في مكة قبل أن تكون هناك شئون عسكرية أو دستورية! وعموم الآية يتناول الأسرة والمجتمع، ويقول الأستاذ أحمد موسى سالم : ` إن القوامة للرجل لا تزيد عن أن له بحكم أعيانه الأساسية، وبحكم تفرغه للسعى على أسرته والدفاع عنها ومشاركته في كل ما يصلحها.. أن تكون له الكلمة الأخيرة - بعد المشورة - ما لم يخالف بها شرعا أو ينكر بها معرفا أو يجحد بها حقا أو يجنه إلى سفة أو إسراف، من حق الزوجة إذا انحرف أن تراجعه وألا تأخذ برأيه، وأن تحتكم

في اعترافها عليه بالحق إلى أهلها وأهله أو إلى سلطة المجتمع الذي له وعليه أن يقيم حدود الله وهذا كلام حسن، وأريد هنا إثبات بعض الملاحظات: أولاً: أن النفقه معصوبة بجبن الرجل وحده، وأن إنفاق المرأة في البيت مسلك مؤقت وتطوع غير ملزم، وعليها أن تجعل أثمن أوقاتها لتربيه أولادها والإشراف العلمي والأدبى عليهم. ثانياً: أن دور الحضانة مأوى مؤقت تلجمىء إليه ضرورات عابرة وأن الأساس في الإيواء والتربية هو البيت الأصلى ودفع الأمومة وحنانها! ثالثاً: حرمات الله حولها في الإسلام أسوار عالية يجعلها كل سكران أو ديوث، وتقاليد الغرب التي تتيح لأى امرئ أن يراقص أى امرأة بإذن أو بغير إذن من زوجها يرفضها ديننا كل الرفض، وليس لرجل أو امرأة أى حرية في انتهاك حدود الله واعتداء حرماته.... رابعاً: الأسرة مملكة ذات حدود قائمة تشبه حدود الدول في عصرنا وطبيعة هذه الحدود الحماية والمحافظة، فليست البيوت مبنية على سطح بحر مائج التيارات، وليس باباً مفتوحاً لكل والج وخارج... ولعقد الزواج أبعاد فقهية واجتماعية وتربيوية ينبغي أن تعرف وأن تعرف معها قوامة الرجال.. وكان من السهل أن يتضح ذلك لو سارعنا إلى إنشاء علم اجتماع إسلامي تلتقي فيه قضايا الأسرة كلها إلى جانب ضروب التعاون والتلاقي بين طوائف الناس المختلفة.. ولكننا ما نزال نجبو في هذا المجال مكتفين بالترجمة والتقليد، مع أن العلوم الإنسانية في برامجها الجديدة تمس كيان الأمة من زوايا كثيرة، بل إن علوم التربية والأخلاق والاقتصاد والاجتماع - قبل علم القانون - تتصل بشئون الأمة. وقد غضبت نسوة غيورات لما عرف الفقهاء عقد الزواج بأنه عقد يبيح حل المتعة بالمرأة

وظاهر أن التعريف قاصر عن المعنى الكبير للعلاقة بين الزوجين! إنه تناول الجانب الذى يدخل منه القانون، ولم يتناول الجوانب التى تدخل منها بقية العلوم الإنسانية، والزواج أكبر من أن يكون عقد ارتفاق بجسده امرأة... (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفالباطل يؤمنون وبنعمه الله هم يكفرون) قالت لى امرأة غاضبة: (إذا غضب منى زوجى فى حوار، قد أكون فيه صاحبة حق حرمت رضوان الله، ولعنتنى الملائكة و... و...) فقاطعتها على عجل، وأفهمتها أن الحديث الوارد فى شأن آخر بعيد بعید عما تتوهمين.. الحديث ورد فى امرأة تعرض زوجها للفتنة لأنها تمنعه نفسها، وهو لا يستغنى عنها.. ذاك هو المراد!! إن الإسلام يقوم على حقائق الفطرة والعقل، لأنه فطرة الله التى فطر الناس عليها.

المرأة حرّة في اختيار زوجها هناك سباق قائم بين عدة أديان كى يثبت كل منها أنه أولى بالحياة وأجدر بالبقاء! والغريب أن بعض المنتسبين إلى الإسلام يجعل هذا الواقع ويرتكب حماقات تسيء إلى دينه بل تنفر منه وتصد عنه! ولعله مطمئن - من الناحية النفسية - إلى صدق عقائده وسلامة تعاليمه، فعلى الناس أن يؤمنوا به إذا شاءوا أو يذهبوا إلى حيث ألق! وهذا جهل وطيش، فإن السلعة النفيسة قد تكسد لسوء العرض وقصور الإعلان وتسبّبها سلع أخرى أحسن أصحابها الدعاية لها واجتذاب الأبصار إليها... والحضارة المعاصرة جعلت الإنسانية شعاراً لها، وجعلت من حقوق الإنسان محوراً للعلاقات الدولية، ونوهت بقيمة العدالة الاجتماعية والمستويات الصحية والثقافية العالية.. وقد تكون هذه الحضارة غاشة أو مدعية أو مقصّرة، فإن هذه التهم لا تمحو ما تواضعت عليه المحافل العالمية واتفاقت على احترامه.. فلحساب من يتحدث بعض الناس عن الإسلام ويصورنه بعيداً عن مقررات الفطرة، وأشواق الإنسانية الكاملة؟ ولحساب من يعلو صوت الإسلام في قضايا هامشية ويخفّت خفوّتاً منكراً في قضايا أساسية؟ ولحساب من يرى بعضهم الرأى من الآراء، أو يحترم تقليداً من التقاليد ثم يزعم أن الإسلام الواسع هو رأيه الضيق، وأن تقاليد بيئته هي توجيهات الوحي، وبقايا التعاليم السماوية على الأرض؟ قلت لنفر من أولئك الم المتحدثين: إن وجه الإسلام جميل ولكن من خلال كلماتكم

يبدو دمياً متوجهماً، وإنه لمن حسن العبادة أن تسكتوا فلا يسمع لكم صوت! إن أى كلام يفيد منه الاستبداد السياسي، أو التظالم الاجتماعي أو العطن الثقافي أو التخلف الحضاري لا يمكن أن يكون ديناً، إنه مرض نفسي أو فكري والإسلام صحة نفسية وعقلية.. كنت أناقش رجلاً كندياً يسائلني بضيق عن موقف الإسلام من المرأة، فجاء في حواري: المرأة حرة في اختيار زوجها، ولا يمكن إكراهها على قبول من تكره، ولها أن تبادر عقدها أو توكل فيه كما تشاء... وكان هناك من يرقبنا وهو ساخط وحمدت الله أنه لاذ بالصمت! فلما انتهى الحوار اقترب مني المعترض المؤدب قائلاً: لا يجوز أن تبادر المرأة عقدها، بل الدين ضد هذا قلت له: رأيك ضد هذا، قلدت فيه بعض المذاهب الفقهية، ورجحت أنا وجهة النظر الأخرى، واعتقدت أنها أقرب إلى عقول الأوربيين والأمريكيين، والعمل عليها يجري في أقطار إسلامية محترمة، ومن مصلحة الإسلام أن تتسع دائرة هذه الأقطار... إن شرطنا مستطيراً يصيب الإسلام من تقوّع بعض أتباعه في آراء فقهية معينة شجرت في ميدان الفروع، ويراد نقلها من مكانها العتيد لتعتبر عقائده، وقيمه الكبرى. والرجل الذي يخسر السوق كلها لأنه يفضل دكاناً على دكان أو سمساراً على سمسار لا يسمى تاجراً.

سفر المرأة سفر المرأة وحدها يحتاج إلى التروى، ودراسة الرحلة كلها من الذهاب إلى الاستقرار، وليس ذلك من قبيل التطير والتهمة واتباع الظنون ولكنه من قبيل الحيطة والصون والأطمئنان، وقد روى الشیخان أن رجلا قال؟ يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة، وإنى اكتتب في غزوة كذا وكذا؟ قال: انطلق فحج مع امرأتك! وتعطيل رجل عن الجهاد ليصحب امرأته في حجها أمر له دلالته! والقاعدة الشرعية درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وانطلاق امرأة على ناقتها تطوى الطريق بالليل والنهار وحدها مظنة تهجم السفلة وقطع الطريق عليها، ولم تخل الدنيا قديما ولا حديثا من أولئك الأوباش الذين يستضعفون النساء وينتهزون فرصة لاغتصابهن!! هل يتغير هذا الحكم إذا ساد الأمان؟ من الأئمة من رأى جواز سفر الحاجة في رفقة مأمومة فإن القافلة المأمومة تنفي القلق والوسوس، ولعله يشهد لهذا ما صح عن عدى بن حاتم، قال: بينما أنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ أتاه رجل فشكى إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكى إليه قطع السبيل - وكان ذلك قبل أن تستقر دولة الإسلام وتبسط الأمان في أرجاء الجزيرة كلها - فقال الرسول يا عدى، هل رأيت الحيرة؟ قلت لم أرها وقد أبئت عنها! قال: فإن طالت بك حياة لترى الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف الكعبة لا تخاف أحدا إلا الله! . قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيء الذين سعروا البلاد؟ - كأنه يستبعد انقطاع دابر المفسدين - ثم قال الرسول لعدي: ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز

كسرى! قلت: كسرى بن هرمز؟ - استعظاما للخبر - قال كسرى بن هرمز! قال عدى: فرأيت الطعينة ترتحل من الحيرة - على شاطئ الخليج - حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله، و كنت فيم افتح كنوز كسرى بن هرمز . اقتطعت من الحديث النبوى ما يتصل بموضوعنا، وبقى تعليق ما منه بد إن حضارة أوروبا شرقها وغربها واهية العلاقة بالله، ذاهلة كل الذهول عن لقائه، وهي مسحورة وراء مطالب الدنيا ورغبات الجسد، وتکاد تستبعد الحلال والحرام عن ميدان المشهودات الجنسية، ولها منطق مغرق في الإسفاف. وقد رأيت العالم الإسلامي مهزوم الشخصية أمام الحضارة الغازية مفتونا بمبادرتها قبل أن يكون معجبا بتأثيرها، ومن هنا فقد أقررت الجماعات الإسلامية على رفض الرحلات المختلطة التي تنظمها الجامعات للطلاب والطالبات، وتلت: كل جماعة تكون على حدة . وإذا سافرت الطالبات في رحلة كشف واستطلاع وثقافة وجب أن تكون عليهن حراسة قوية من مشرفات يقطنات ذكيات. لقد سمعت شكايات مفزعة لطالبات أمريكيات من ذئاب حاولوا اغتصابهن! كما أنى متشائما من وسائل الإعلام التي تدغدغ الغرائز، وتوقظ الحيوان الرايبض وراء جلود البشر! وديننا يجعل سلام الأعراض من دعائم الإيمان، ويجعل الخنا والقتل والشرك سواء في استنزال المقت الإلهي والعذاب الأليم.

الوجه ليس عورة لقينى رجل فوق الأربعين يتحدث وكأنه يافع غر! قال لى بصوت مهتاج: أنت الذى تفتى بأن وجه المرأة وصوتها ليسا بعورة؟ قلت بهدوء: نعم! قال: أما تتقى الله؟ قلت: أوصيك ونفسى بتقوى الله.. قال: إنك مخطئ فيما تذكره للناس ويجب أن تتوب! قلت له: لست وحدى الملوم، فإن كبار المفسرين سبقونى إلى هذا الخطأ، كما سبقنى إليه رواة عشرة من الأحاديث الصاحح، وشاركتى فى خطئى أيضاً أئمة المذاهب الأربعة، وعدد من المذاهب الفقهية الأخرى. أولئك جمیعاً هم الذين استقیت منهم قولى أو تابعوهم فى غلطهم، ولا أشعر بغضاضة إذا كنا جمیعاً أصحاب تهمة واحدة.. قال الرجل وهو دھش: ماذا تقول، أهؤلاء جمیعاً يفتون بأن وجه المرأة وصوتها ليسا بعورة؟ قلت: نعم! ولكنكم تؤثرون التقاليد السائدة وتشتبتون بآراء مرجوحة.. ولنفرض جدلاً أن فى المسألة قولين اخترت أنا أحدهما فلم الغضب ولم التحامل والشتم؟ هل سمعت حديث سلمان وأبى الدرداء؟ قال: لا! قلت له اسمع: روى البخارى عن أبى جحيفة قال: آخى النبى - صلى الله عليه وسلم - بين سلمان - الفارسى - وأبى الدرداء... فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبدلة - عليها ثياب لا جمال فيها - فقال لها: ما شأنك؟ - لماذا هذا المنظر؟ - قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى النساء! وجاء أبو الدرداء وصنع طعاماً وقال لسلمان كل فإنى صائم فقال: ما أنا باكل حتى

ثاكل! فاكل- أفتر لأداء حق الصيف- فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال له نم فنام! ثم ذهب يقوم فقال له نم فنام، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن فصل يا جميما. وقال سلمان إن لربك عليك حقا وإن لنفسك عليك حقا وإن لأهلك- زوجك- عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه. فأتى- أبو الدرداء- النبي فذكر له ذلك، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- : صدق سلمان. والذى يعنينى من سرد الحديث الحوار الذى جاء فى صدره، فلو أن هذا الحوار وقع فى عصرنا لضرب الزائر، وقتلت المرأة!! ولقيل للرجل: ماذا يعنيك من النظر إلى ملابس الزوجة؟ ولماذا تتغافل بهذه الملاحظة، ولقيل للزوجة: كيف تشكي زوجك وتكشفين للآخرين انصرافه عنك؟ لكن سلامه الفطرة فى عصر الصحابة تنفى كل شبهة ولا تدع لطعنون السوء مكانا، فلما التاثت النفوس جاء قول الشاعر: إذا ساء فعل المرأة ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهם وعلى هذا الأساس وجدنا الطباع المريضة تصف كشف الوجه بأنه فجور، وأنه حرام لأنه فى مشاعرهم المعتلة باب إلى الكبائر والعياذ بالله...

حرمة صوت المرأة.. إشاعة كاذبة هذه قصة رقيقة نقتطف منها ما يتصل بإشاعة علمية كاذبة عن صوت المرأة والزعم بأنه عوره فقد ذكر ابن إسحاق `أن أبو العاص بن الربيع - وكان صهراً لرسول الله - أقام بمكة كافراً بعد أن من عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأطلقه بغير فداء من بين أسرى بدر.. واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارة لقريش إلى الشام فلما قفل عائداً بما معه لقيته إحدى السرايا، فاستولت على القافلة وفر أبو العاص تحت جنح الليل إلى بيت زوجته السابقة زينب محتمياً بها ومستجيراً، فأجارتة! فلما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لصلاة الصبح، وكبر الناس وراءه! صاحت زينب من صفة النساء فقالت: أيها الناس إنني قد أجرت أبو العاص بن الربيع! فلما فرغ المسلمون من صلاتهم أقبل النبي - صلى الله عليه وسلم - عليهم قائلاً: أيها الناس، هل سمعتم الذي سمعت؟ قالوا: نعم فقال رسول الله: أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشئ حتى سمعت ما سمعتم وإنه يجير على المسلمين أدناهم ` ثم انصرف رسول الله فدخل على بنته زينب وقال لها: أى بنية أكرمى مثواه، ولا يخلصن إليك فإنك لا تخلين له ` ! ونهاية القصة معروفة في السيرة النبوية فقد أسلم الرجل، وعاد إلى قريش ليرد إليهم ودائعهم ثم تحول إلى المدينة ليجاهد مع المجاهدين..

والشاهد في القصة حديث زينب إلى الناس، هل قال مسلم: إنه عوره!! وقبل ذلك توبيخ فاطمة لزعماء قريش عندما تصاحكوا لرؤيه وغد يضع فرثا على ظهر الرسول وهو ساجد، لقد سفهت أحلامهم ونحت القذى عن ظهر أبيها وهي تناول منهم، هل قال مسلم: إن صوتها عوره؟. وتعرض موسى لابنتى الرجل الصالح فى مدين قائلا: (ما خطبكمما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير) وبعد قليل جاءت إحداهما تقول لموسى: (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) فهل قال مسلم: إن صوت المرأة عوره؟ وذكرنا من قبل أن أمرا إلهيا صدر بامتحان المؤمنات المهاجرات، وكان عمر يتولى ذلك الامتحان فهل قال أحد: إن صوت المرأة - حين تسأل فتجيب - عوره؟ اللهم إلا أن يزعم متى أن الامتحان كان تحريريا لا شفويا!! كان النساء على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - يروين الأحاديث ويأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، فما زعم أحد أن صوت المرأة عوره. العورة في أصوات النساء - وأصوات الرجال أيضا - أن يكون الكلام مريبا مثيرا له رنين رديء! ولا يوجد بين رجال الفقه من قال: صوت المرأة عوره، إنها إشاعة كاذبة.

الدين ليس احتفاء بالصغرى أخبرنى صديق إن إحدى المجالات الدينية هاجمتنى لأننى قلت: إن الغناء كلام حسنة حسن وقبيحه قبيح! ورأى أن الغناء شر كله! قلت للصديق : قد يكون الخطأ قريبا منى فلست معصوما وعذر هؤلاء أن أغلب الأغانى الشائعة خليع ماجن، وأن البيئة الفنية هابطة المستوى. قال: كأنك تقترب منهم، وددت لو جمعتكم ليزول الخدام! فأجبت على عجل: لا أحب هذا اللقاء! هناك مثل غربى يقول: إن ضعفاء العقول كالنظارات المكبرة تصخّم الأشياء الصغيرة ولا ترى الأشياء الكبيرة. وكان جديرا بأصحابك هؤلاء أن يكتّروا لمصائب المسلمين الداهمة بدل أن يشغلوا الناس بقضية الغناء . إن غول الاستبداد السياسى استهلك شعوبنا من أمد بعيد، ولم نسمع لهؤلاء نواحا على حرية موءودة، ولا بكاء على شورى مفقودة، إن صمّتهم حيث يجب الصياح وصياحهم حيث يجب الصمت يجعلنى أزهد فى رؤيتهم والاستماع إليهم ويجعلنى أدعوا الله أن يريح الإسلام من علومهم ودعواهم... ومن بضعة شهور تواجد على عدد من الرجال والنساء بدا لي من دراسة أحوالهم أن أعصابهم مرهقة وما سببهم ثقيلة وأنهم بحاجة إلى علاج مادى ومعنوى. وزعم لى أكثرهم أن به مسا من الجن، فأنكرت مزاعمه وأشارت عليه بما يجدى فى معافاته! ولكنهم ألحوا فى الزعم بأن الجن خالطتهم! فقلت كلمة شاعت وتناقلتها

الإذاعة: هل الجن تخصصت في ركوبكم وحدكم؟ لماذا لم يشك الناس في العالم الأول من عبث الجن بهم؟ وازدلت شرحا لرأيي في أمرهم، وهنا جاءنى واحد من قراء الكتب الدينية يقول في غضب شديد: أتخالف ابن تيمية؟ فأسرعت أقول له: كلا! إننى أيدته كل التأييد حين خالف الأئمة الأربعة ورفض الطلاق البدعى وأمضى الطلاق السنى وحده! قال: لا أعنى هذا، إنه كان يستخرج الشيطان من جسم الإنسان، ويقول له: اخرج عدو الله! فيهرب! قلت له: ليكن ما تقول صحيحا أو سقينا، مالى أراك محمر الوجه منتفخ الأوداج شديد البأس مستعدا للقتال؟ إن شياطين الإنس احتلوا دار الإسلام عسكريا وسياسيا، فلم يتجرهم وجهك، ولم تطلب نزالا ولا سمعنا لك ولا لأمثالك مقالا...! إن هناك متدينين ضعفاء العقول! في فقههم ضمور شديد، وفي فكرهم خلل مبين. وصل بعضهم إلى المجالس التشريعية، فكنا نبذل جهودا مضنية لنوارى سوءاتهم العقلية! وأحكامهم الطفولية. ألا فليعلم الناس أن الدين عقل مؤمن، وثقافة محكمة وليس احتفاء بالصغار، وتجسيما للأوهام.

الإمام يغنى لا أعرف أحدا من الفقهاء رفض الغناء الدينى، فمن الذى يكره بواطن الحب لله وتمجيد أسمائه والثناء على آلاته؟ ومن الذى يكره الفرار إليه والبكاء على التفريط في جنبه والإضاعة لحقه؟ إنما رفض الفقهاء ما يسمى بـ حلقات الذكرـ التي يكثر فيها الضجيج والصياح، والمكاء والتصدية والتمايل والاطراح، وهي في الواقع أحفال نسيان لا أحفال ذكر، وحلقات رقص قبيح حافل بالبدع والخرافات، ما يسيغها عاقل. وفي تراثنا المحترم ما يستحق الإشادة والإحياء، حتى أبو الحسن القرافي الصوفى عن الحسن، أن قوماً أتوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين إن لنا إماماً إذا فرغ من صلاته تغنى - والقصة ذكرها الإمام الشاطبى فى الجزء الأول من كتابهـ الاعتصامـ فقال عمر: من هو؟ فذكروا له الرجل، فقال: قوموا بنا إليه، فإننا إن وجهنا إليهـ بالحضورـ يظن أننا تجسستنا عليه أمرهـ انظر احترام حقوق الإنسان ورعاية كرامات الناسـ فقام عمر مع جماعة من أصحاب النبيـ صلى الله عليه وسلمـ حتى أتوا الرجل وهو في المسجد! فلما نظر إلى عمر قام يستقبله وهو يقول يا أمير المؤمنين ما حاجتكـ وما جاء بكـ؟ إذا كانت الحاجة لنا كنا أحق بذلك منكـ أن نأتيكـ، وإن كانت الحاجة لكـ، فأحق من عظمناه خليفة رسول اللهـ صلى الله عليه وسلمـ . قال له عمر: ويحكـ! بلغنى عنكـ أمر ساءنىـ، قالـ ما هو يا أمير المؤمنينـ؟ قالـ

أتمجن فى عبادتك - من المجانة؟ - قال: لا يا أمير المؤمنين، ولكنها عطة أعظ بها نفسي،
قال عمر قلها فإن كانت كلاما حسنا قلته معك! وإن كان قبيحا نهيتك عنه؟ فقال: وفؤاد
كلما عاتبته فى مدى الهجران يبغى تعبي..! لا أراه الدهر إلا لاهيا فى تماديه.. فقد
برح بي..! يا قرين السوء ما هذا الصبا فنى العمر كذا فى اللعب! وشبابى بان عنى،
فمضى قبل أن أقضى منه أربى... ما أرجى بعده إلا الفنا ضيق الشيب على مطلى...
ويح نفسي لا أراها أبدا فى جميل، لا، ولا فى أدب نفسي لا كنت ولا كان الهوى راقبى
المولى! وخافى! وارهبى! قال عمر رضى الله عنه: نفسي لا كنت، ولا كان الهوى راقبى
المولى، وخافى، وارهبى! على هذا، فليغن من غنى.. إنى أعشق المشاعر الصادقة،
واللحن الموحى بالخير الخادم للحق! فمن أبى ذلك فله إباؤه، ولا يعترضن غيره باسم الدين.

النساء بين التجنيد والتدريب أرفض مع كل مسلم أن تؤلف فرق للمجنادات على النحو الذى يقع فى أوربا، فإن هذه الفرق يتم تكوينها لغايات دينية، ومعروف أن الأوربيين ينظرون إلى الشهوات الجنسية نظرة رضا واستباحة كما ينظرون إلى حاجات أجسامهم كلها.. ومن الممكن أن يكون للنساء المؤمنات وجود شريف فى ميدان الجهاد الإسلامى أساسه علاج الجرحى، وإعداد الأدوية ونقل الموتى إلى الجبهات الخلفية. وتهيئة الأطعمة والأشربة. وكتابة بعض الرسائل والنهوض ببعض الأعمال الإدارية... ولا بأس أن يكن مسلحات مديريات فقد تقضى الضرورة بأن يشتبن مع العدو فلا يجوز أن يقعن فى يده لقمة سائفة.. روى مسلم عن أنس أن أم سليم رضى الله عنها اتخذت يوم حنين خنجرًا فكان معها - تحمله باستمرار - فرأها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر! فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما هذا الخنجر؟ فقالت: اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه! فجعل رسول الله يضحك!! وأخرج الطبراني عن مهاجر أن أسماء بنت يزيد - وهي من المبايعات في العقبة - قتلت في معركة اليرموك تسعة من الروم بعمود خيمتها.. !! وروى البخاري عن الريبع بنت معوذ قالت: كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - نغزو، فنسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة. وروى مسلم عن أم عطية الأنبارية، قالت غزوت مع النبي - صلى الله عليه وسلم

سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على الزمنى - أصحاب الأمراض الطويلة .. ومن الممكن لأجهزة الهلال الأحمر أن تضع نظاما إسلاميا دقيقا للانتفاع بجهود المجاهدات المسلمات تلاحظ فيه حدود الله، وترعى آداب العفاف والتقوى التي ينشدتها الدين! ولعل المرأة تكون أصبر وأقدر في مجال التمريض من غيرها.. ونحن نلاحظ أن الإسلام اليوم في معارك دفاع عن وجوده وتعاليمه، وأن جبهة القتال ممتدة في قارات كبيرة، أى أن المسلمين مغزون في عقر دارهم وليسوا غزة.. وقد أباح الرسول العظيم لأم حرام أن تطلب الغزو في البحر، وقد ركبت سفينه مع زوجة معاوية عندما اتجه إلى فتح قسطنطينية. وماتت ودفنت في قبرص.. وجihad النساء عسكريا واجتماعيا معروفة في تاريخ السلف الصالح ولكن البعض يصيغه مس عندما يسمع به! فإذا بقى قياد الإسلام الثقافى في يد هؤلاء المتطهرين القاصرين، فإننا سنلقى هزائم شتى في ميدان الدعوة الإسلامية!. إننا أوفياء لسنة نبينا، ونحب أن نوفر كل الصمامات لتطبيقها على خير وجه، ونأبى كل الإباء أن نأخذ تعاليم الإسلام من جهلة بمصادره عبيد لتقاليدهم...

هواة خراب البيوت طرق بابى رجل مذعور يتحدث حديثاً موتوراً فى أهله وماله، وأحسست أنه يطلب منى النجدة! قلت له فى هدوء: ما بك؟ قال: فى ساعة غضب فقدت وعيى وقلت لامرأتى أنت على حرام.. وأفتى الشيخ بأنى قد فقدتها فلا تحل لى أبداً... قلت للرجل أتصلى الخمس؟ قال: نعم، قلت: وامرأتك؟ فتردد قليلاً، ثم قال: تصلى أحياناً! قلت: وأولادك؟ قال: بعضهم يصلى وبعضهم لا يهتم بالصلاحة! فترىشت طويلاً كأنى أبحث له عن حل ثم قلت له نرد زوجتك إليك على شرط! قال: ما هو؟ قلت: تحافظ أنت وزوجتك على الصلوات، وترافق علاقة أولادك بالمسجد حتى تطمئن إلى أنهم يؤدون الفرائض الخمس، وعليك كفارة يمين، تطعم عشرة مساكين إن كنت غنياً، أو تصوم ثلاثة أيام إن كنت فقيراً.. واستبق زوجتك في بيتك! وخرج الرجل، وبعد أيام جاءنى الشيخ الذين أفتواه بأن امرأته طلقت طلاقاً بائناً، سألونى كيف أفتيت بحل هذه الزوجة؟ إننا هنا مالكية نعد ما وقع بينونة كبرى؟ قلت: مذهبى غير ذلك، نحن نرى تحريم الحلال يميناً وكفارته كفارة يمين. وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: إذا حرم الرجل امرأته فهى يمين يكفرها، وفي رواية أخرى أن رجلاً جاءه وقال له: إنى جعلت امرأتى على حراماً، فقال له ابن عباس: كذبت، ليست عليك بحرام! ثم تلا قوله تعالى: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجهك والله غفور رحيم * قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم...) عليك كفارة يمين!! ويبدو أن كلامى لم يقنع سامعيه فقلت لهم لماذا تتحمسون لخراب بيت، وجعل المرأة

أيما والأولاد يتامى وأبواهم حى؟ إن المذاهب تختلف فى فروع الفقه، وفي الأحكام التي تصدرها على أعمال الناس، علينا أن نختار الأرعى لمصلحة الأسرة ومستقبل الأولاد واستقرار المجتمع! علينا أن نحصن الإسلام من تهم الأعداء، وأحقاد المتربيين!! ومادام هناك رأى إسلامى محترم، فلا ينبغي أن نتعصب لما نألف! إذا كان ما نجهله خيرا وأجدى على الناس... قال لى رجل مريب: لأنك لا تحب مالكا ومذهبة! قلت: أعوذ بالله من كراهية الصالحين، إننى فى صلاتى أتبع مالكا فأصمت فى الجهرية وأقرأ فى السرية مع أن أبا حنيفة الذى تعلمته مذهبة يحرم القراءة فى السرية والجهرية على سواء!! رأيت مالكا هنا أولى بالاتباع!. إننى أكره التتعصب الأعمى، وفيما يتعلق بشئون الأسرة وأحوال المجتمع أوثر كل رأى يحقق المنفعة العامة والخاصة، ويواهم ما تصبو إليه الإنسانية المعاصرة من احترام للفطرة ولحقوق الإنسان! إننى لست مغرما بجر الشبهات إلى سمعة الإسلام.

في ضرب الزوجات؟! يملكتى الغضب والأسى عندما أجد رجال الحديث النبوى ضعفاء الوعى بالقرآن الكريم! يقرؤون على الناس الحديث غير شاعرين بقربه أو بعده من هذه الآيات القرآنية. في الجزء الثالث من تيسير الوصول إلى جامع الأصول جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: لا يسأل الرجل: فيم ضرب امرأته ؟ أخرجه أبو داود. قال الشيخ محمد حامد الفقى فى تعليقه على هذا الحديث: وأخرجه النسائى! أى أنه قوى سند الحديث، وترك المتن وكأنه صحيح لا غبار عليه.. وهذا الظاهر باطل، فالمعنى المذكور مخالف لنصوص الكتاب، ومخالف لأحاديث أخرى كثيرة! وعدوان الرجل على المرأة كعدوان المرأة على الرجل مرفوض عقلا ونقلأ وعدلا ولا أدرى كيف قيل هذا الكلام ونسب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم .. إن من قواعد الجزاء الأخرى قوله تعالى : ` فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * و من يعمل مثقال ذرة شرا يره ` فهل الزوجة وحدها هي التي تخرج عن هذه القاعدة فلا يسأل الرجل ` فيم ضربها؟ ` له أن يضرها لأمر ما في نفسه، أو لرغبة عارضة في الاعتداء؟ فأين قوله تعالى: ` ولهم مثل الذي عليهم بالمعروف ` وقوله : ` فأمسكوهن بمعرف أو سرحوهن بمعرف ` وأين قوله عليه الصلاة والسلام: ` استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم ليس تملكون منها شيئا غير ذلك ..

ما يقع هو النشوز، ومعنى الكلمة الترفع والاستعلاء، أي أن المرأة تستكبر على الزوج و تستنكف من طاعته ويدفعها هذا إلى كراهية الاتصال به في أمس وظائف الزوجية، فيبيت وهو عليها ساخطاً وقد يدفعه هذا إلى ضربها..! وهناك أمر آخر أفحش أن تأذن في دخول بيته لغريب يكرهه مع ما في ذلك من شبّهات تزلزل العلاقة الزوجية وتجعلها مضافة في الأفواه.. ولم أجد في أدلة الشرع ما يسيغ الضرب إلا هذا وذاك.. ومع ذلك فقد اتفقت كلمة المفسرين على أن التأديب يكون بالسواك مثلاً! فلا يكون ضرباً مبرحاً، ولا يكون على الوجه! ففي الحديث: ... ولا تضرب الوجه، ولا تقبح أى لا تقل لها قبحك الله..! ثم قال تعالى في الزوجات المستقرات المؤديات حق الله وحق الأسرة، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً. وختام الآية جدير بالتأمل، فقد تضمن صفتين من صفات الله تعالى هما العلو والكربلاء وهما صفتان تنافيان في الإسفاف في التصرف، والاستئساد على الضعيف، والسلوك بعيد عن الشرف، وفي ذلك كله لفت أنظار الرجال إلى أن تكون سيرتهم مع أهليّهم رفيعة المستوى، متسمة بالرفق والفضل، وليس يتصور مع هذا كله أن يعدو الرجل على امرأته كلما شاء، وأنه لا يسأل عن ذلك أمام الله.. ومن ثم فالحديث الذي رواه أبو داود والنسائي في ضرب النساء لا أصل له، مهما تم حلوا في تأويله.. على أن من احترام الواقع ألا نظن النساء كلهن ملائكة، والرجال جميعاً شياطين، هذا ضرب من السخف، والانحياز في الحكم إلى أحد الجانبين ليس من الإنصاف.. والأولى أن ندرس العلاقات العائلية بتجدد، وأن نحسب آثار الطياع والأزمات والأحداث الطارئة، وألا نترك لسبب تافه القضاة على الحياة الزوجية.. إن انهدام بيت شيء خطير! وقد رأى الإسلام - حتى بعد وقوع طلاق - أن يجعل

كلا الزوجين يواجه الآخر، لعل الذكريات الحلوة تغلب الذكريات المرارة، أو لعل الإيلاف يطرد الفراق على نحو ما قال أبو الطيب: خلقت ألوها، لو رجعت إلى الصبا لفارقتك شيبى موجع القلب باكيا ومن ثم وجب تدخل المجتمع لفض الاشتباك على مهل وإعادة المياه إلى مجاريها، وأولى الناس بأداء هذه المهمة أقارب الزوجين، فهما أرغب فى الصلح وأبصر بالمصلحة وأقدر على التنفيذ، وهذا هو قوله تعالى: ﴿ وَانْ خَفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حِكْمَةً مِنْ أَهْلِهِمَا إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوْفِقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهِمَا خَبِيرًا ﴾ . وقد روى الشافعى بسنده عن على بن أبي طالب - رضى الله عنه - أنه جاءه رجل وامرأة، مع كل واحد منهما فئام من الناس - جماعات - قال: ما شأن هذين؟ قالوا: وقع بينهما شقاق! قال على فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلهما. ثم قال للحكمين: تدريان ما عليكم؟ إن رأيتما أن تجتمعوا جمعتما! وإن رأيتما أن تفرقوا فرقتما، فقالت المرأة: رضيت بكتاب الله بما على فيه و بما لى! . وقال الرجل: أما الفرقة فلا..! قال على كذبت حتى تقر بمثل ما أقرت به.. ومعنى اعتراف الزوج أنه لا يعطى للحكمين حق إيقاع الطلاق باسمه.. أى أن لهما الجمع لا التفريق! ولكن عليا كذبه! مبينا أن للحكمين التوفيق أو التطليق أو المخالعة، وهذا هو كتاب الله.. والفقهاء يختلفون في سلطة الحكمين ومداها، ولا ندرس الموضوع هنا، وإنما نشعر بالغرابة لأن الرجل الذي استفحلا الشقاق بينه وبين زوجته حتى بلغ ما بلغ لم يفرط في عقد الزوجية، ورغم ذلك بقائه.. . وشئ آخر نتوقف عنده، أن المجتمع باسم الله تدخل لجسم النزاع، واستدامة العلاقة العائلية! أما اليوم فقد تطلق المرأة في رطل لحم يعلق الرجل بقاء امرأته على شرائه ! . الحق أن قضايا المرأة تكتنفها أزمات عقلية وخلقية واجتماعية واقتصادية، كما أن

الأمر يحتاج إلى مراجعة ذكية لنصوص وردت، وفتاوي تورثت وعادات سيئة تترك طابعها على أعمال الناس. لابد من دراسة متأنية لما نشكو منه، ودراسة تفرق بين الوحي وما اندس فيه، وبين ما يجب محوه أو إثباته من أحوال الأمة.

بيت الطاعة: اجتهاد خاطئ مع ثبوت الخلع في الكتاب والسنة فقد رأيت جملة من المشتغلين بالفقه يتجاهلونه، ويرفضون إنهاء عقد الزوجية به سواء بالفسخ أو بإيقاع الطلاق. وبعضهم يدخله في الطلاق للضرر! ويأبى أن يكون لمشاعر البغضاء عند المرأة وزن!. وقد عاصرت عهداً كان القضاء الشرعي يأمر بإرسال الشرطة إلى أسرة الزوجة لإرغامها على الذهاب إلى بيت الطاعة كى تعاشر زوجها، وكانت الأسرة تقوم بتهريب الزوجة إلى مكان بعيد فراراً من تنفيذ حكم القضاء..!. وكانت أسأل نفسي: هل هذا هو تفسيرنا لقول الله سبحانه: «فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سُرْحَوْنَ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ»؟ إن من أبغض الأمور عندي تعريض الإسلام كله للرد والجحود بسبب اجتهاد خاطئ أو تعصب مذهبى ضيق!. وإذا كنا في عصر تلتمس العيوب فيه لدينا الحنيف، ويقال عنه: إنه قضى على شخصية المرأة، واجتاز حقوقها المادية والأدبية، فلماذا بالله نستبعد حكم الخلع من شريعتنا - وهو حق - وننزعم أن المرأة يقاضن عليها لتساق إلى بيت هى له مبغضة؟ أعرف أن هناك رجالاً يحتقرن مشاعر النساء، ويأبون تلبيتها أو الوقوف عندها، فهل أولئك الرجال هم الممثلون للوحى الأعلى؟ إنهم أصحاب أمزجة جديرة بالمعالجة!. وقد يرجى القضاء العادل الرحيم إجابة المرأة إلى ما تبغى من خلع إيشارا لمصلحة الأسرة

والأولاد، وقد ينتظر نتيجة تحكيم يتدخل الأهلون فيه ابتعاء الإصلاح! لكن المرأة إذا أبىت إلا الفراق، ورددت ما سبق إليها من مال، فما بد من تسرّيحة والاعتراف بمشاعرها، وليس لنا أن نسأل عن الأسباب الخفية لهذه الرغبة، لنقبلها أو نرفضها! إن النبي- صلى الله عليه وسلم- عندما رق لزوج بريء، وقدر محبته لها، ذهب إليها يحدّثها في أن تعود إليه! فسألته: جئت أمراً أم شافعاً؟ قال: جئت شافعاً! قالت: فلا أعود! ولم يتهمنا النبي- عليه الصلاة والسلام- في دينها، ولا في طاعتها لله ورسوله.. وامرأة ثابت بن قيس لم تتهمن زوجها بأنه يشتمها أو يضرّها أو يضيق عليها، وإنما شكت بأنّها تكرهه كراهية شديدة، وصرحت بأنّها ما تعتب عليه في خلق ولا دين!! إنّها تكرهه وحسب، لها معنى الزوجية والحالة هذه؟ وما دخل رجال الشرطة هنا؟ وكيف يحكم الإسلام باستبقاء الزوجة في بيت تعدد سجناً وتعدد صاحبه شخصاً بغيرها؟ وإذا قدمت ما أخذت من مال فداء لنفسها فلم لا يؤخذ منها وتسطرد حريتها؟ وهل تقام حدود الله في بيت يسوده هذا الجو الخانق؟ وأي شرف للرجل في هذه السيطرة؟ إن الذين يتّجاهلون الخلع لا يفهّمون قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَفْتُمْ أَلَا يَقِيمَا حَدُودَ اللَّهِ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حَدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حَدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ والواقع أن ازدراء عواطف المرأة، واستخدام القسوة لترضيتها بما لا ترضى ليسا من الإسلام، ولا من الفقه...! إن الإسلام دين العدالة والرحمة، ومن تصور أنه يأمر باسترقاء الزوجة والإطاحة بكرامتها فهو يكذب على الله ورسوله. ويؤسفني أن بعض الناس يتحدث عن الإسلام وهو شأنه الفطرة قاصر النّظر، والأدهى أنه يتطاول على أهل الذكر والاستنبط، ومصيبة الإسلام في هذا العصر من أولئك الأدعياء..

ولا يجوز للرجل أن يخرج امرأته ليكرهها على طلب الخلع، أى يسىء عشرتها لطلب الفكاك من أسره بأى ثمن، قال الشيخ سيد سابق فى كتابه الجليل ` فقه السنة ` : يحرم على الرجل أن يؤذى زوجته بمنع بعض حقوقها حتى تضجر وتخليع نفسها، فإن فعل ذلك فالخلع باطل والبدل مردود ولو حكم به قضاء ! وإنما حرم ذلك حتى لا تجمع على المرأة فراق الزوج والغرامة المالية، قال الله تعالى: ` يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعصلوهن - العضل التضيق والمنع - لتدھبوا ببعض ما آتتكموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ` . ويرى الإمام مالك أن الخلع ينفذ على أنه طلاق، ويجب على الزوج أن يرد البطل الذى أخذه من زوجته .. على أن الإسلام الذى صان كرامة المرأة وأعلى مكانتها يرفض رفضا شديدا أن تستغل المرأة ذلك العبث والنشوز، فإن البيت المسلم لا ينهض برسالته التربوية والاجتماعية إلا بالتعاون والترابط وتبادل الحقوق والواجبات .. وإذا كان الرجل يكدر سحابة يومه ليقوم بأسرته، فإن على أهله توفير السكن النفسي الذى يريح الأعصاب، ويسعى المتابع ! أما أن تطلب الزوجة الخلع لغير علة إلا البطر والأثرة فهذه جريمة وفي الحديث ` أيمما امرأة اختلعت من زوجها من غير بأس لم تر رائحة الجنة ` وفي رواية لأبي هريرة: ` إن المختلعت هن المنافقات ` ! فلنعرف طبيعة شريعتنا، ول يكن وعيينا بأحكامها صونا لحياتنا الخاصة وال العامة .

التشدد فى إيقاع الطلاق لا أكثر طويلا لاختلاف الفقهاء فى العادات الشخصية! من شاء قرأ وراء إمامه ومن شاء صمت، لكل منهما أجره، وإن كنت أضيق باللغط الذى يحدثه الشافعية عندما يبدأون قراءة الفاتحة حال ما يقرأ الإمام السورة بعدها.. إننا نكثر للخلاف الواقع فى الدماء والأعراض! فهو خلاف لابد أن تتدخل الدولة لجسمه، تبني مذهب محدد فيه !! هناك من يرى فسخ الزواج بين عربية وأعجمى (!) وهناك من يرى القصاص بين مسلم وغير مسلم، بل هناك شئون دولية خاض فيها الفقهاء تتصل بالحرب والسلام.. وأعتقد أن هذه القضايا هي مجال الاجتهاد الجماعى لا الفردى، وهى كذلك مجال الاجتهاد المفتوح أمام وجهات النظر المختلفة، وأظن هذا الخلاف لن تنقضى أسبابه.. وعندى أن شئون الأسرة من هذه المجالات المفتوحة، وأن الاختيار الحر من شتى المذاهب الاجتهادية أدنى إلى الحق، وأعود بالنفع على الأمة. وإذا كان الطلاق أبغض الحلال إلى الله فأفضل ما نفعل أن نضيق الخناق على الآراء التى توقعه لأدنى شبهة. هناك فقهاء تحسبهم متربصين لكلمة الطلاق تقال أو تفهم أو تتوهם فإذا هم يحكمون على الحياة الزوجية بالموت كأنما يشتهون تمزيق الشمل وبعثرة الكيان الجميع!. وقد سرني من ابن تيمية رده لطلاق البدعة، وبصره الذكى بالنصوص وحكمتها، واستغربت من أتباعه أن يتوجهوا لهذا الجانب الذكى من فقه الرجل.

وكان استبخار ابن حزم في حفظ المرويات وراء رفضه لكتير من أحكام الطلاق التي أفتى بها غيره بيد أن ظاهريته المفرطة أوقعته في ورطات مضحكة، وأظنهما حالت دون الانتفاع بعلمه الغزير، وقدرته المعجبة.. إنه رفض الطلقة الواحدة في الحيض مثلا، والطلقتين، ولكنه أوقع الطلاق الثلاث، وذاك في غاية العجب والثقافى والمخالفة لظواهر النصوص وفحواها. إنه يرفض طعنة وطعنتين ويقبل ثلاث طعنات إـ. الإسلام يريد الترثـ في معالجة ما ينشـب بينـ الرجل وامرأته لـلـلـمـيـاه تـعـود إـلـى مـجـارـيـها، وهذا ما يفهمـه كلـ عـاقـلـ منـ خـتـامـ آيـةـ الطـلاقـ لا تـدـرـي لـلـلـهـ يـحـدـثـ بـعـدـ ذـلـكـ أـمـرـاـ.ـ وقدـ قـالـ تـعـالـىـ فـيـ سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ:ـ الطـلاقـ مـرـتـانـ فـإـمـسـاكـ بـمـعـرـوفـ أـوـ تـسـرـيـحـ بـإـحـسـانـ هـنـاكـ ثـلـاثـ إـمـسـاكـاتـ بـمـعـرـوفـ،ـ وهـنـاكـ ثـلـاثـ تـسـرـيـحـاتـ بـإـحـسـانـ،ـ وـالـتـسـرـيـحـ الـأـخـيـرـ هوـ الـحـاسـمـ لـعـلـاقـةـ الـزـوـجـيـةـ أـوـ ماـ يـسـمـونـ الـبـيـنـوـنـةـ الـكـبـرـيـ.ـ وماـ يـقـعـ الطـلاقـ بـهـذـهـ الصـورـةـ إـلـاـ بـعـدـ أـيـامـ مـتـطـاـوـلـةـ أـوـ مـحاـوـلـاتـ فـاشـلـةـ،ـ أـمـاـ إـمـضـاءـ الـثـلـاثـ بـلـفـظـ وـاحـدـ فـيـ وـقـتـ وـاحـدـ فـلـوـنـ مـنـ الـلـلـعـبـ بـدـيـنـ اللـهـ دـفـعـ الـمـؤـمـنـوـنـ ثـمـنـهـ غـالـيـاـ مـنـ سـعـادـتـهـمـ وـاسـتـقـرـارـهـمـ.ـ وقدـ جـادـلـ ابنـ حـزمـ طـوـيـلاـ فـيـ إـمـضـاءـ الطـلاقـ الـثـلـاثـ،ـ وـلـكـ ابنـ تـيـمـيـةـ كـانـ أـوـلـىـ منهـ بـالـحـقـ وـأـبـصـرـ بـمـصـلـحةـ الـأـمـةـ.ـ وـيـعـجـبـنـىـ الـحـدـيـثـ الـمـرـسـلـ الـذـىـ رـدـهـ ابنـ حـزمـ أـخـبـرـ رـسـولـ اللـهــ صـلـىـ اللـهــ عـلـيـهـ وـسـلـمــ عـنـ رـجـلـ طـلـقـ اـمـرـأـتـهـ ثـلـاثـ تـطـلـيـقـاتـ جـمـيـعـاـ،ـ فـقـامـ غـضـبـانـ!ـ ثـمـ قـالـ:ـ أـيـلـعـبـ بـكـتـابـ اللـهــ وـأـنـاـ بـيـنـ أـظـهـرـكـمـ؟ـ؟ـ فـقـامـ رـجـلـ فـقـالـ يـاـ رـسـولـ اللـهــ أـلـاـ أـقـتـلـهـ؟ـ؟ـ وـعـنـ أـنـسـ بـنـ مـالـكـ كـانـ عـمـرـ إـذـاـ ظـفـرـ بـمـنـ طـلـقـ ثـلـاثـ أـوـجـعـ رـأـسـهـ!!ـ وـمـعـ ذـكـرـنـاـ عـنـ ابنـ حـزمـ فـإـنـ الرـجـلـ خـالـفـ جـمـهـرـةـ مـنـ الـفـقـهـاءـ أـوـقـعـواـ الطـلاقـ بـطـرـقـ مـلـتـوـيـةـ،ـ وـأـسـالـيـبـ غـامـضـةـ،ـ وـاقـرـأـ مـعـ قـوـلـهـ:ـ مـنـ خـيـرـ اـمـرـأـتـهـ فـاخـتـارـتـ نـفـسـهـاـ،ـ أـوـ

اختارت الطلاق، أو اختارت زوجها، أو لم تختار شيئاً فكل ذلك سواء، لا شيء فيه، ولا تحرم عليه، ولو اختارت الطلاق ألف مرة.. وكذلك لو ملكها أمر نفسها أو جعل أمرها بيدها.. الخ.

ويقول ابن حزم... ` ومن قال لأمرأته أنت على حرام، أو زاد على ذلك كالميته والخنزير، فهذا كله باطل وكذب ولا تكون عليه حراما. وهى امرأته كما كانت نوى بذلك طلاقاً أو لم ينوى!

ونتساءل علام اعتمد الرجل فى هذا الحكم؟ يجيب ابن حزم: إن الله يقول لنبيه: ` يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ ` فأنكر الله تعالى عليه تحريم ما أحله له ! . وفي الآية الأخرى: ` ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ` .

ـ فمن قال لأمرأته الحلال له بحكم الله هي حرام فقد كذب وافترى، ولا تكون عليه حراما.. وللتحريم طرق حدها الشارع فلا نقبل طرقاً أخرى اخترעהها الناس لقول النبي عليه الصلاة والسلام ` من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ` أى فهو مردود عليه، قال: وتحريم الحلال إحداث حدث ليس في أمر الله عز وجل فيجب أن يزد.. الخ. قال: ` ولا يقع الطلاق إلا بلفظ من ثلاثة ألفاظ: هي الطلاق، أو السراح، أو الفراق، وما يشتق من هذه المصادر! .

وهذا التحديد حسن! كل قيد يوضع لاستبقاء الزوجية فنحن نرحب به وقد توسع العلماء في ألفاظ حقيقة أو مجازية للإجهاز على عقد الزوجية. وهذا التوسيع ينافي اتجاه الشارع إلى إعطاء فرص للإصلاح، ولا مساغ لتلقيف كلمة من هنا أو من هناك لهدم البيت وتشريد من فيه... من المتناقضات الباعثة على الحزن، أن المسلم ينفق أوقاتاً وأموالاً في الخطبة والمهر والأثاث والهدايا والعرس قد تكون ألف الجنيهات في أيام طوال. ثم بعد ذلك كله يقول عليه الطلاق إن عاد إلى التدخين، ثم يدخن وتذهب امرأته

فى سيجارة وبنها ربيت أنفق فى إقامته الكثير!!.. لقد رفض ابن حزم جميع أنواع الطلاق المعلىق، واضطر المشرع فى مصر من ستين سنة خلت إلى التدخل لوقف هذا البلاء، فوضع هذه المادة: ` لا يقع الطلاق غير المنجز إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه لا غير` . وجاء فى المذكرة الإيضاحية لهذه المادة ` إن المشرع أخذ فى إلغاء اليمين بالطلاق برأى بعض علماء الحنفية والمالكية والشافعية، وأنه أخذ فى إلغاء المعلىق الذى فى معنى اليمين برأى على بن أبي طالب وشريح القاضى وداود الظاهرى وأصحابه ` . وأستطيع أن أضم إلى ذلك رفض الطلاق الذى ليس عليه إشهاد، فالشاهدان لابد منهما لقبول العقد، والرجعة، والطلاق، على سواء.. وخير لنا نحن المسلمين أن نقتبس من تراثنا ما يصون مجتمعنا، ويحمىء من نزوات الأفراد. أما الزهد فى هذا التراث كله فهو الذى فتح الطريق لمحاولات تنصير قوانين الأسرة.

الطلاق وقف مؤقت للزوجية قد يرى الفقيه أن يأخذ الحكم من الظاهر القريب للنص، وقد يتجاوز هذا الظاهر لأسباب تلوح له من أدلة أخرى لها وزن أرجح!. غير أنها نشعر بالدهشة عندما نرى حكماً فقيها يترك النص الظاهر القريب دون نظر إلى مصلحة أرجح أو دليل أقوى!. وقد رأيت ذلك في كثير من قضايا المرأة، ولأضرب مثلاً يوضح ما أريد! إنهاء الحياة الزوجية لا يتم بضرر قاضية - كما يقال في ألعاب الملاكمه - وكلمة الطلاق في نظر الإسلام هي وقف مؤقت لعلاقة تحتاج إلى إعادة نظر، وليس حسماً صارماً لهذه العلاقة.. ومن هنا لا يرضي الإسلام هذه الكلمة في كل وقت بل جعل لها أوقاتاً خاصة. وبعد وقوعها كما رسم، استبقي الحياة الزوجية داخل البيت مدة طويلة لعل المياه تعود إلى مجاريها، لعل مشاعر الجفاء تبرد وعواطف الحنان تغلب. واستنفر الإسلام أقارب الزوجين ليمنعوا تفاقم الأزمة ووفاة الحياة الزوجية!! وأيات القرآن في هذا الصدد كثيرة، وأنقل هنا أول آية في سورة الطلاق : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطْلَقُوهُنَّ لَعْدَهُنَّ - لَا فِي أَىٰ وَقْتٍ - وَأَحْصُوا الْعُدَةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِّن بَيْوْتَهُنَّ وَلَا يُخْرِجُنَّ - تَحْرِمُ خُرُوجَ الْزَوْجَةِ مِن بَيْتِهَا أَوْ إِخْرَاجُهَا مِنْهُ عِنْدِ سَمَاعِ الطَّلاقِ - إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَتَلَكَ حَدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حَدَّوْدَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَعْلَ اللَّهُ يَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾

والجملة الأخيرة تشير إلى حكمة بقاء المرأة في البيت، فهو لا يزال بعد الطلاق بيتها، كما تشير إلى سبب جعل الطلاق في وقت محدد، فهو لا يحل وقت الحيض، ولا يحل في طهر تم فيه الاتصال بين الزوجين! إن له زمانا محددا يحل فيه. والتزام هذه المعالم عبرت عنه الآية بهذه الجملة **ـ تلك حدود الله ..** وهذه الجملة في بيان الأسلوب الذي ينهى الحياة الزوجية تشبه الختام الذي تمت به آيات المواريث **ـ تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله** يدخله جنات تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها **وذلك الفوز العظيم *** ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها **ـ**. وقد أجمع المسلمون على أنه ليس لبشر أن يغير شيئا من أنصبة المواريث، وأن من فعل ذلك حكمنا ببطلان تصرفه، وأمضينا التقسيم الإلهي كما جاء به النص وكما عبر عنه بأنه حدود الله **!!**. وأما حدود الله في أحكام الطلاق فقد واجهت موقفا آخر، فإن العلماء اتفقوا على أن الطلاق قسمان: سنى وبدعى! فاما الطلاق المشروع الذي جاءت به السنة ودل عليه القرآن فهو أن يطلق المرأة طلقة واحدة في طهر لم يمسسها فيه، وتبقى المرأة في بيتها طوال أيام عدتها.. وأما الطلاق البدعى فهو أن يطلق في أثناء الحيض، أو في طهر مسها فيه، أو يوقع أكثر من طلقة في طهر واحد ! وهذا المسلك حرام باتفاق العلماء، وهو بدعة لا يعرفها الدين! وكان المفروض أن يرمي هذا الطلاق في سلة المهملات، وأن ينظر إليه كما ينظر إلى مسلك رجل غير نظام المواريث ووضع أنصبة جديدة من عنده، فهذه وتلك حدود الله التي لا يسوغ إهدارها.. لكن الذي وقع للأسف غير ذلك! فإن عددا من الفقهاء قبل الطلاق البدعى وأمضاه وأنفذ جميع آثاره، إنه عدد كبير! والذى صد بالحق في هذه القضية من أهل السنة هو ابن تيمية وابن القيم وابن حزم - تقريرا - وثلة من الآخرين تمردوا على تيار الخطأ وقاوموا الانحراف معه.

وقد تصدعت أركان الأسرة عقب الاعتراف بطلاق البدعة، ووقدت مهازل تثير الغثيان والأسى، فهذا رجل ينفق عند زواجه عشرات الألوف ليبنى بامرأته، ثم تسممه في السوق يحلف بالطلاق صادقاً أو كاذباً على رطل من اللحم يساوى دراهم معدودات! وتنهدم الأسرة! وهذا فقيه يكتب في تأليف مدرسي لطلاب العلم الديني: من قال لامرأته أنت طالقة نصف تطليقة، وقعت طلقة واحدة!! أى عبث هذا؟ هذه مسالك حشاشين . روى ابن حزم في المحلي أن رجلاً جعل امرأته عليه حراماً، فسأل عن ذلك حميد بن عبد الرحمن الحميري؟ فقال له حميد: إن الله قال لنبيه: ﴿إِذَا فرَغْتَ فَانْصِبْ﴾ و إلى ربك فارغب ﴿وَأَنْتَ رَجُلٌ تَلْعَبُ﴾ فاذهب فاللعب.. إن التحليل والتحريم ليسا إلى أهواء الناس وفتاواهم ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصْنَعُونَ كَذَّابٌ هُوَ حَلَالٌ وَهُوَ حَرَامٌ لَتَفَتَّرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذَّابِ﴾ . إنني أريد الرشد والاستقامة للأسرة المسلمة، ولئن ولغيري أن نلقى نظرة فاحصة على أحكام الطلاق، ولن نجئ بشيء من عندنا، ولكننا نختار من أقوال الفقهاء أدناها إلى الكتاب والسنة، وأغيرها على مصلحة الوالدين والأولاد ومستقبلهم.. وأعرف أن هناك من يحمر وجهه غضباً تبقى للطلاق البدعى مكانته العملية! ورضا هؤلاء أو سخطهم لا يعنييني. إن اهتمامي الأول والآخر بتعاليم الإسلام ومصلحة المسلمين.

تقاليد لابد من تغييرها أغلب البيوت يستقبل رمضان بقلق لأن ميدان التجارة يغزوه الكساد، وميدان الزراعة يغزوه الجفاف، والأسعار جائحة إلى الغلاء! وتقاليد المسلمين جعلت شهر الصيام شهر الطعام، وجعلت النفقة فيه أربى من غيرها في سائر الشهور.. ما العمل؟ لكن صرحاء ولنقل: إن على المسلمين تغيير تقاليدهم القائمة على الإسراف! ويجب أن تعود صبغة العبادة لشهر العبادة، وأن يبرز في الصيام معنى الجهاد والقدرة على مقاومة شتى الرغبات !. كنت أحب ممن صرعنهم عادة ` التدخين ` أن ينتهزوا الفرصة فينسلخوا عن هذه العادة إما بإرادة قاهرة ناجحة، وإما بتدرج مقرون بالعزم!!.. كنت أحب ممن يغلبهم الفتور في الدراسة أو في الإنتاج أن يتعودوا القراءة والتدبّر والإجاده المثمرة لكل عمل... إن البيت الإسلامي يقوم على إعداد الطعام لأهله، وليس مهمته أن يكون عادات البطنة والتشبع، أو أن يدخل في منافسات مادية سفيهه لتقديم الأشهى والأغلى. والظروف السياسية والعسكرية التي تمر بأمتنا تفرض علينا ألوانا من التقشف لا ألوانا من اللذات. كان البيت الإسلامي في تاريخه الأول ينشئ الأخلاق الزاكية والعبادات الوضيئة ويرعى أصول الفضائل حتى تزهر كما ترعى الأرض الطيبة البذور الجيدة حتى تصير حبوبا وفواكه.

وكان الفتيان والفتيات يشبون على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقول الحق ورعاية العهود والأمانات فكان البيت- بهذه الوظيفة- الرافد الأول لمجتمع راشد طاهر يأمر بالمعرفة وينهى عن المنكر.. وكان الطفل يتعلم في سنينه الأولى كيف يصلى مؤتماً بأهله، فإذا اشتد عوده بدأ يصوم! والمرحلة الأولى في العمر هي أساس ما بعدها من مراحل، ولذلك يقول الشاعر: إذا المرء أعيته المروءة ناشثا فمطلبها كهلا عليه شديد! وعلم الأخلاق يفيدها أن الصفات الحميدة لا تولد في الإنسان فجأة، ولا توجد كاملة. والبيت المتخصص في تقديم العلف للأجساد إنما يخرج حيوانات، أما البيت الذي يحرس الشرف والطاعة والأدب فهو ينشئ بشرًا سوياً.. ما أجمل أن ترى في الوجه الحياة النبيل وفي الألسنة الأدب الجم، وفي المسالك كلها تقوى الله والتزام حدوده.. وما أجمل أن تلمح الترفع، والابتعاد عن المزالق، كما يقول الشاعر: وأعرض عن مطاعم قد أرهاها فأتركها، وفي بطني انطواء! فلا وأبيك ما في العيش خير! ولا الدنيا إذا ذهب الحياة! يعيش المرء ما استحبي بخير ويبيقى العود ما بقي للحياة! وفي شهر الروحانية والجهاد وتلاوة القرآن أريد أن أذكر بضعة أحاديث في قيام الليل أحتج قبل سردها إلى تمهيد طويل.. كنا ونحن طلاب في المراحل الابتدائية والثانوية نذكرة دروسنا بحماس ورغبة، وتقاضانا ذلك أن نسهر جزءاً من الليل نجدد ما نخاف نسيانه ونؤكد ما استحضرناه، فيما من يخاف الرسوب وفيما من يريد التفوق . ولكن للنوم سلطاناً يميل بالرؤوس بين الحين والحين. فماذا نصنع؟ كان كثيرون

يذهبون تحت صنابير الماء البارد ليطردوا النوم من الجفون، ويعودوا أشد نشاطاً! وأستحضر الآن هذه العهود وأقول: لو وجدت موجهين مهرة لحفظت في تلك الأيام كتاب كذا أو ديوان فلان! إن التحصيل في أيام اليفاعة زاد يبقى طول العمر! وفي عباد الله من يتأهّب للقاء الله بكنوز من الباقيات الصالحة تتحول يوم القيمة إلى نور يسعى بين يديه وعن يمينه ولعل التهجد بالقرآن الكريم في طليعة تلك الصالحة!! وفي حديث سلمان الفارسي قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **عَلَيْكُم بِقِيامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ**، ومقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد .. غير أن قيام الليل يحتاج إلى تعاون بين الزوجين كليهما لا ليتناوبا بل ليتشاركا!! . فعن أبي هريرة وأبي سعيد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلِّا رَكْعَيْنِ جَمِيعاً كَتِباً فِي الْذَّاكِرَاتِ وَالْذَّاكِرَاتِ** . وهذا مسلك لا يحسن إلا بيت مؤمن، سكن اليقين والخشوع قلوب أهله وحفظهم إلى مغالبة النعاس ! إن هذه الركعات قد تحفظ مستقبل الأولاد! فقد كان عبد الله بن مسعود يصلي من الليل، وابنه الصغير نائم، فينظر إليه قائلا: من أحلك يا بني! ويتلوك وهو يبكي قوله تعالى: **وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا** . . . وقد ذكر القرآن الكريم حال أولئك المتهجدين الساهرين وما أعد لهم في بلاد الأفراح فقال: **تَتَجَافِي جَنُوْبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبِّهِمْ خَوْفًا وَطَمْعًا وَمَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَقُونَ** * فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون . على أن هذا القيام المنشود تعترضه صعاب، ولحظات استرخاء وفتور، وقد بين الرسول الكريم أن الزوجين يستطيعان الانتصار على لذة الرقاد ببعض الماء!! . وقيل أن أذكى الحديث أؤكد أن هذا لا يصلح لكل بيت، ولا بين أى زوجين !!

إنه عمل أساسه قبل كل شيء الرغبة السابقة في القيام، والاتفاق في النهار عليه، وعلم كل من الزوجين بأن صاحبه سوف يسر بالصحوة لمناجاة الله، والتضرع إليه.. هل أذكر الحديث بعد هذه المقدمة؟ ليكن، ولو أني أذكره على وجل خوفا من سخط مدمنى النوم! يقول الرسول - عليه الصلاة والسلام - : رحم الله رجلا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فإن أبى نضخ في وجهها الماء! ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضخت في وجهه الماء !. وفي رواية أخرى ما من رجل يستيقظ من الليل فيوقظ امرأته فإن غلبها النوم نضخ في وجهها الماء، فيقومان في بيتهما، فيذكران الله عز وجل ساعة من الليل إلا غفر لهما . هذه البيوت التي صنعتها صاحب الرسالة العظمى هي التي غيرت وجه العالم، ونقلته نقلة هائلة من الحضيض إلى الأوج .. أين من هذه البيوت المنيرة بيوت تسهر على أحفال التلفاز اللاهية الساهية، ثم ترتمي في فرشها كأنها جثث لا حراك بها، فلا تستيقظ إلا لأكل جديد أو سعى بليد؟ إن رمضان يقبل الآن وتقبل معه هموم النفقات المطلوبة للولائم المنصوبة! وأحفال التسلية لحل الغاز البطالة! والتسكع على أفاريز المدنية الصاخبة بالآثام!! إن أمتنا تعانى من هزائم علمية وخلقية وصناعية وتجارية، فهل نصحو من الخدر الذى جمد أفكارنا وأطراافنا، وألقى بنا وراء قواقل الأمم السائرة؟؟

ثياب النساء؟ الملابس لابد منها للإنسان رجلاً كان أو امرأة، فهي كسوة تحتاج إليها صحته، وهي غطاء يوارى ما يستحب أن ينظر الآخرون إليه، ثم هي زينة تستحبها الفطرة دون حرج.

وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا بْنَى آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِيَابَاسًا يَوْارِي سُوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِيَابَاسَ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ۚ فَالرِّيشُ مَا يَكْسِبُ صَاحِبُهُ لَوْنًا مِّنَ الْجَمَالِ، وَكُلُّا الْجِنْسَيْنِ يَسْتَرِّيْحُ وَلَكُنْ مَا قِيمَةُ ثُوبٍ وَسِيمٍ عَلَىٰ خَلْقٍ دَمِيمٍ؟ وَمَا مَعْنَىٰ أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ قَبِيْحَ الْبَاطِنِ جَمِيلَ الظَّاهِرِ؟ لَذَلِكَ أَوْصَى الْقُرْآنُ بِلِيَابَاسِ التَّقْوَىٰ وَنَبَهَ إِلَىٰ أَنَّهُ أَشْرَفُ وَأَزَكَىٰ... وَيَنْصَحُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُسْلِمُ بِهَذِهِ النَّصِيحةِ الْجَدِيرَةِ بِالدِّرَاسَةِ: ﴿ كُلُّ مَا شَئْتُ، وَالْبَسْ مَا شَئْتُ، مَا أَخْطَأْتُكَ خَصْلَتَانِ، سَرْفٌ وَمَخْيِلَةٌ ۚ أَىٰ اجْتَنَبَ الْإِسْرَافَ وَالْخِيَلَاءِ وَكُلُّ مَا تَشَاءُ وَالْبَسْ مَا تَشَاءُ مَمَا أَحْلَلَ اللَّهُ لَكَ... وَالْأَطْبَاءُ يَرْدُونَ أَغْلَبَ الْأَمْرَاضِ إِلَى الْإِسْرَافِ فِي الْمَأْكُولِ، وَالْجَرَاءَةَ عَلَى الْمُحْرَمَاتِ، وَالْوَاقِعُ أَنَّ الْاعْتِدَالَ خَيْرٌ كُلِّهِ، إِنَّمَا تَجَاوِزُنَا مِيدَانُ الطَّعَامِ إِلَى عَالَمِ الْمَلَابِسِ رَأَيْنَا الْإِسْرَافَ وَالْخِيَالَ يَفْتَرِسَانِ نَفَقَاتَ هَائِلَةٍ وَأَمْوَالًا طَائِلَةٍ وَيَخْتَفِيَانِ وَرَاءَ طَائِفَةٍ مِّنَ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ وَالْمَسَالِكِ الشَّائِهَةِ... وَقَدْ فَكَرَتْ فِي الْمَلَابِسِ الْعَسْكَرِيَّةِ فَوَجَدَتْهَا ثَابِتَةً عَلَى اخْتِلَافِ الْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لَا تَكَادْ تَتَغَيِّرُ إِلَّا بِالرَّتْبِ الْمُتَفَوِّتَةِ وَمَا يَصْبِحُهَا مِنْ شَارَاتٍ، أَمَّا الْمَلَابِسُ الْمَدْنِيَّةُ فَقَلِيلًا تَثْبِتُ عَلَىٰ حَالٍ، خَصْوصًا مَلَابِسَ النِّسَاءِ إِنَّ أَشْكَالَهَا وَأَلْوَانَهَا لَا تَنْتَهِي، قَدْ تَطُولُ وَقَدْ تَقْصُرُ، قَدْ تَضْيِيقُ وَقَدْ تَنْسَعُ، وَلِلْفَصُولِ الْأَرْبَعَةِ أَرْيَاؤُهَا مُتَشَابِهَةٌ وَغَيْرُ مُتَشَابِهَةٌ، وَلِلْسَّهْرَاتِ

ملابس - أو شبه ملابس - وهناك سباق مسحور بين مجال الأزياء لتقديم صيحات جديدة تستهوي النساء وترضى غرائزهن، وعند التأمل نجد أن وراء هذا النشاط المحموم الخصلتين الكريهتين: الإسراف والخيال..!! من حق المرأة أن تكون جميلة المظهر، بعد أن تكون تامة العقل كريمة الشمائل، هل السارى الهندي الذى يكشف قدرا من البطن والظهر يكفل هذا الجمال؟ هل الفستان الأوروبي! الذى يكشف أدنى الفخذين، وينحصر - عند الجلوس - عن أواسطها يكفل هذا الجمال؟ الحق يقال أن حائى هذه الملابس لا يوفرون للمرأة كرامتها، ولا يرجون لها وقارا وإنما يهيجون ضدها غرائز السوء.. ويبدو أن الحضارة الحديثة تقصد إلى هذا قصدا، فقد كنت أسير على أحد الشواطئ فوجدت رجلا وامرأة يسيران جنبا إلى جنب! هو يلبس سراويل كاملة بـ بنطلون طويل ` وهى تلبس ما يكشف عن نصف أفخاذها ` شورت ` لماذا هذا الاختلاف؟ أيراد به خير للمرأة؟ إن تعريه المرأة حينا، وحشرها فى ملابس ضيقة حينا آخر، عمل لم يشرف عليه علماء الأخلاق وإنما قام به تجار الرقيق، ولكى نوفر تربية شريفة للجنسين يجب أن نعترض هذا الموكب الساخر من الكاسيات العاريات.. وقد قلنا: إن من حق المرأة أن تتجمل، ولكن ليس من حقها أن تتبرج! ولا أن ترتدى ثوب سهرة تختال فيه و تستلتفت الأنظار بل إن الإسلام رفض ذلك من الرجال والنساء جميا. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا ينظر الله يوم القيمة إلى من جر ثوبه خيلاء ` وإنها لطفولة عقلية سخيفة أن يرى امرؤ ما مكانته فى حذاء لامع أو رداء مطرز بالحرير أو الذهب!. إذا لم يتحصن المرأة فى نصاب كبير من العلم أو الخلق فلن يغنى عنه جمال الثياب ولن الإهاب!! وللملابس وظيفتها المقررة، ولا يسوغ أن تكون وسيلة للإغراء المكروه، أو التطاول المعيب، روت عائشة أم المؤمنين ` أن أختها أسماء دخلت على رسول الله - صلى الله

الله عليه وسلم . وعليها ثياب رقاد فأعرض عنها! وقال: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلاح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه . وهذا الحديث له شواهد كثيرة من سفن صاح وحسان. . ورأى النبي . صلى الله عليه وسلم شابا اسمه ضمرة بن ثعلبة معجبا بنفسه وهو يرتدي حلتين فاخرتين من حلل اليمن، فضاق به وقال له: يا ضمرة أترى ثوبيك هذين مدخليك الجنة؟ فأحس الشاب خطأه، وأسرع يقول لرسول الله لئن استغفرت لي لأقعد حتى أنزعهما..! فقال النبي: اللهم اغفر لضمرة، فانطلق سريعا حتى نزعهما عنه.. . إننا لا نحرم زينة الله التي أخرج لعباده، ومن حق كل إنسان أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، وأن يحافظ على هيئته مصونة، ذلك شيء غير التكلف والإسراف وإثارة الفتنة ومحاولة التسامي بقطعة قماش. وقد شعرت بأن من النساء من تجمع في غرفتها سبعين فستانا، وأخبرت بأن بعضهن في أثناء الأحفال تخرج لتبدل ثوبا بدل ثوب حتى تعرض جسدها في ألوان شتى! هلا عرضت على الناس ثقافتها وفضائلها بدل هذا الإسفاف!! إن النزوع إلى الترف والسرف أحيانا في عواصم الغرب صناعات كثيرة، وكون ثروات ضخمة، وما تزال بلادنا تعافي تخلفا حضاريا مذلا. ومع سيادة الحضارة الحديثة رأيت عادة جديدة لا يقبلها الدين، هي ارتداء النساء ملابس الرجال حتى ليقاد المرأة يعجز عن التفريق بين الجنسين! وهذه أحوال مرضية يبرا منها النساء العظيمات! وقد رأيت رئيسة وزراء إنجلترا في ملابسها النسائية بين قادة العالم، تحمل حقيبة يدها وتحرك راسخة شامخة، تساندها مواهجها وفضائلها وحدها... إن محاولة محو الفروق الطبيعية بين الجنسين لون من العبث، والتفاوت الذي يستحيل محوه هو التفاوت العلمي وما تستند إليه الشخصية الإنسانية من ملكات وقيم، وفي هذا المجال قد تسبق نساء بجدارة وقد يسبق رجال.. ولا علاقة للأقمشة بهذا التفوق.

وقد صح عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قوله: `لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال` وفي رواية أخرى `لعن رسول الله المختشين من الرجال، والمترجلات من النساء` . وظاهر أن هذا عوج في السلوك، ولعله مرض نفسي يستحق العلاج.. أما السباق العام في مرض الله بالإيمان والعمل ميدان مفتوح للرجال والنساء، يتتصدر فيه الأتقي والأذكي ` من عمل صالحـ من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيـنـ حـيـاهـ طـيـبـهـ ولـنـجـيـنـهـ أـجـرـهـ بـأـحـسـنـ ماـ كـانـواـ يـعـمـلـونـ . وأـذـكـرـ أـخـيـرـاـ طـرـفـةـ عـلـمـيـةـ تعـلـيـقاـ علىـ ماـ شـذـتـ بـهـ المـدـنـيـةـ الـحـدـيـثـةـ منـ إـنـشـاءـ نـوـادـ لـلـعـرـاءـ أوـ مـسـتـعـمـرـاتـ لـلـعـرـاءـ يـشـتـرـكـ فـيـهاـ طـلـابـ الـلـذـةـ،ـ أوـ أـصـحـابـ الـأـهـوـاءـ الـمـنـحـرـفـةـ،ـ وـهـىـ مـؤـسـسـاتـ تـتـغـاضـىـ عـنـ سـيـئـاتـهـاـ الـحـكـوـمـاتـ الـتـىـ تـرـحـبـ بـالـسـائـحـينـ وـالـسـائـحـاتـ!ـ .ـ قـالـ لـىـ أـحـدـ الـمـشـتـغـلـيـنـ بـعـلـومـ الـأـحـيـاءـ:ـ إـنـ هـنـاكـ تـنـاقـضاـ كـبـيرـاـ بـيـنـ مـوـاـضـعـ الـتـلـقـيـحـ فـيـ عـالـمـ الـنـبـاتـ وـالـحـيـوانـ!ـ قـلـتـ لـهـ:ـ كـيـفـ؟ـ قـالـ:ـ فـيـ الـحـقـوـلـ وـالـحـدـائقـ تـرـىـ أـمـاـكـنـ الـتـلـقـيـحـ فـيـ ذـوـائـبـ الـشـجـرـ وـأـورـاقـ الـوـرـدـ،ـ وـتـرـىـ الـمـنـاظـرـ رـائـقـةـ،ـ وـالـرـيـاحـ تـمـيلـ بـهـ نـاقـلةـ عـنـاصـرـ الـحـيـاةـ وـالـبـقـاءـ...ـ أـمـاـ فـيـ عـالـمـ الـحـيـوانــ .ـ خـصـوـصـاـ الـبـشـرــ .ـ فـأـمـاـكـنـ الـتـلـقـيـحـ مـطـوـيـةـ مـسـتـخـفـيـةـ يـتـخـطـاـهـاـ النـظـرـ عـلـىـ عـجـلـ وـاسـتـحـيـاءـ،ـ وـرـبـمـاـ كـانـتـ مـمـراـ لـإـفـرـازـاتـ الـأـجـهـزةـ الـدـنـيـاـ فـيـ الـبـدـنـ!!ـ .ـ قـلـتـ:ـ لـعـلـ ذـلـكـ مـاـ جـعـلـ أـبـوـيـنـاـ آـدـمـ وـحـوـاءـ يـسـارـعـانـ إـلـىـ تـغـطـيـتـهـاـ بـمـاـ اـسـتـطـاعـاـ مـنـ الـوـرـقــ .ـ فـلـمـاـ ذـاقـاـ الـشـجـرـةـ بـدـتـ لـهـمـاـ سـوـاـتـهـمـاـ وـطـفـقـاـ يـخـصـفـانـ عـلـيـهـمـاـ مـنـ وـرـقــ الـجـنـةــ .ـ وـقـلـتـ:ـ إـنـ الـمـيـالـيـنـ لـلـعـرـىـ مـنـ شـبـابـ الـيـوـمـ أـقـرـبـ إـلـىـ الـحـيـوانــ مـنـهـمـ إـلـىـ الـإـنـسـانــ .ـ

تفكير باطل منذ افتتاح المسجد النبوى بعد الهجرة إلى أن لحق النبي - عليه الصلاة والسلام - بالرفيق الأعلى والنساء يصلين فيه، والباب المخصص لهن لم يغلق قط! أى أنهن أدين فيه بين سبعة عشر ألف وثمانية عشر ألف صلاة، وهذا من المتواتر المستيقن الذى تتساقط حوله أخبار الآحاد فلا يكترث بها أو يقام لها وزن. قال بعضهم: لقد روى عن عائشة أم المؤمنين: ﴿لَوْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا أَحَدَثَ النِّسَاءَ بَعْدَ لَمْ نَعْهُنَّ مِنَ الْمَسَاجِدِ كَمَا مَنَعْنَا نِسَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فيجب منعهن لهذا الحديث ولغيره ! . ونقول: إن ما وقع على عهد رسول الله امتد أيام الخلافة الراشدة، وبقى المسجد النبوى معمورا بهن دون نكير؟ بل إن عمر بن الخطاب أمر سليمان بن أبي حثمة أن يؤم النساء في مؤخرة المسجد في شهر رمضان، وروى ابن حزم أن على بن أبي طالب كان يأمر الناس بالقيام في رمضان فيجعل للرجال إماما وللنساء إماما، قال عرفجة - الراوى - فأمرني فأممت النساء إ . وروى الزهري أن عاتكة بنت زيد زوجة عمر بن الخطاب كانت تشهد الصلاة في المسجد، وكان عمر يقول لها: والله إنك لتعلمين أن ما أحب هذا!! فقالت: والله لا أنتهى حتى تنهانى! قال عمر: فإنى لا أنهاك!! فلقد طعن عمر يوم طعن وإنها لفى المسجد!! . أما ما روى عن عائشة من رفض صلاة المرأة في المسجد فهو يفتح بابا لإلغاء شعائر

الإسلام خشية الأوهام، ومن الممکن أن يقول أى إنسان: لو علم رسول الله ما تجره إقامة الحدود من تهم للإسلام لألغى الحدود!! . وتلغى الحدود على نحو ما قبل: لو رأى رسول الله ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد... إن هذا القول يعني أن بعض أحكام الإسلام موقوت، يبقى لظروف خاصة، فإذا انتهت تلك الظروف الغيت، والظروف الجديدة الطارئة لا يعلمها صاحب الرسالة في حياته ولذلك لم يحدث لها تشريع... وهذا التفكير باطل كله، فإن الله يعلم ما كان ويكون، وقد أذن للنساء بالصلوة في الجماعات، وأمرهن بالذهب إلى المسجد محتشمات قانتات عابدات.. فإنهن لم يخرجن لأحد مسابقات الجمال، أو أحد عروض الأزياء. ومن خرجمت على حدود الأدب ومطالب الحياة منعت من دخول المسجد، وكان ذلك عقابا لها، أما الحكم على جميع النساء بعدم الصلوة في المساجد لأن إحداهن قد تكون متبرجة فهذا تعميم مرفوض... والغريب أن النساء منعن المسجد وحده! أما غشيان الأسواق والانطلاق في الشوارع، فهذا لا حرج فيه ! إن تحريم المساجد على النساء كما تفعل شعوب إسلامية كثيرة من وراء الانهيار الخلقي وفقدان التربية الذي أودى بأمتنا في هذه الحياة...

لا تمنعوهن من المساجد صلة المسلم بالمسجد تتبع من أعماق ضميره! فهو البيت الذى يرنو إليه ويتרדد صباحاً ومساءً عليه، وفى ساحته الظهور يناجى ربه، وتشرق على روحه أشعة من تكبير الله وتحميدة، ويلتقى ب رجال مثله جمعتهم أخوة الإيمان وطاعة الرحمن... إن الجماعات المتصلة فى المساجد واحات من الحق والخير على ظهر الأرض، ومثابة يأزر المؤمنون إليها هاربين من زحمة الأثرة والشهوة، وسعار المأرب العاجلة، مقبلين على الله راجين الدار الآخرة...! فلا عجب إذا كان بين السبعة الذين يظلمهم الله يوم القيمة رجالٌ قلبه معلق بالمساجد . على أن أعمال الحياة قد تفرض على الناس أن يؤدوا الصلاة فرادى أو جماعات فى البرية إذا كانوا رعاة غنم، أو فى الحقول إذا كانوا فلاحين، أو فى المصالح والدواوين.. ولا بأس عليهم فى هذا الانقطاع عن المسجد؛ لأنهم يقومون بفرائض أخرى، وعندما ينتهيون منها تتجدد علاقتهم بالمسجد كما كانت.. والنساء والرجال سواء فى الارتباط بالمسجد؛ والتعرض لرحمات الله غدوا ورواحا، ليلاً ونهارا.. بيد أن هناك فرقاً لا مانع من شرحه، إن العمل الأول للمرأة فى بيتها وهى أمام الله راعيتها ومسئولة عنه. وهو فرض فى عنقها، أما الجماعة فهى سنة..! ولا يجوز تحت مظلة هذه السنة إهمال

البيت، وتعطيل مصالح الزوج والأولاد، ومن ثم قدم الشارع رعاية الأسرة على شعيرة الجماعة، فإذا أدت المرأة واجبها لزوجها وأولادها، فمن حقها أداء الصلاة في جماعة والحرص على الثواب، ولا يجوز لرب البيت أن يمنعها بعد ما وفت بحقه، وفي ذلك يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا تمنعوا إماء الله مساجد الله !! ولا ريب أن تخففها عن المسجد لمسؤوليات البيت يجعلها أمام الله أهلاً لثواب الجماعة وإن لم تحضرها، فعذرها المقدور يعطيها ثواب الحضور! وقد أخطأ نفر من أهل العلم فظنوا الجماعة للرجال لا للنساء، بل زعم بعضهم أن البيت أفضل للمرأة من المسجد، ونقلوا مرويات تافهة منكرة، موهوا بها على الأغرار، وأخفوا ما تواتر على طريق القطع أيام النبي عليه الصلاة والسلام، وفي عهد الخليفة الراشدة، من احتشاد النساء في المساجد وانتظام صفوهن عشرات السنين..

روى مسلم عن عبد الله بن عمر: قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها . فقال له بلال ابنه: والله لنمنعهن، فأقبل عليه عبد الله بن عمر، فسبه سبا سيئاً ما سمعته سبه بمثله قط! قال: أخبرك عن رسول الله، وتقول: والله لنمنعهن!!!. وروى مسلم كذلك: لا تمنعوا النساء من الخروج بالليل إلى المساجد..! وبديه أن على المجتمع تأمين الطريق من كل شائبة، وجعل العبادة منزهة عن كل ريبة.. وأمر آخر نؤكده! أن الذهاب إلى المسجد ليس ذهاباً إلى معرض أزياء، أو مسابقة جمال، إنه خطوات لإرضاء الله ونشدان الآخرة وقمع الشيطان ولزوم التقوى!. وفي الصحاح عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود، قال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم: إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً.. . والطيب نوعان: نوع مطهر يقتل الجراثيم والروائح الكدرة، وهذا لا حرج فيه، نوع نفاذ الرائحة لافت للأنظار والمشاعر وهذا مرفوض. كما أن المساجد وضعت للعبادة الخالصة لا للقاء المريض، فلا يجوز لامرأة ذهبت

للمسجد أن تتقىم إلى الأمام لترى الرجال أو ليراها الرجال، كما يحرم المسلوك نفسه على الرجال، وقد تكاثرت الأحاديث في هذا المعنى **ـ خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها ـ** إن الله يريد لعباده التقوى والأدب والبعد عن مطان السوء، ولعل من ذلك تخصيص باب للنساء يلجن منه ويخرجن لا يزاحمنهن أحد من الرجال، وقد ورد أن عمر بن الخطاب كان ينهى أن يدخل من باب النساء.. وقد ناقش ابن حزم ما روى أن صلاة النساء في البيوت أفضل، وأبان بأدلة دامجة أنه قول مدخول وأثر مرفوض، وتساءل: لماذا تركهن الرسول في الحر والبرد والليل والنهار يعانين التردد على المسجد إذا كانت بيتهن أفضل؟ هل هذا من نصيحة لأمتة؟ ولماذا أمرهن بالخروج تفلاطـ غير متبرجات؟ أما كان يستطيع منعهن؟ ذلك، وقد أمر النبي **ـ صلى الله عليه وسلم**ـ بإخراج النساء إلى مصلى العيد حتى الحوائض، وأمرمن لا جلباب لها أن تستعير جلبابا من جارتها وتخرج، فكيف يتفق هذا مع بقائهن في البيوت حتما؟ قال بعضهم: لعل أمر رسول الله بخروجهن يوم العيد إنما كان إرهابا للعدو لقلة المسلمين يومئذ وليكثروا في عين من يراهم.. قال ابن حزم: وهذه عظيمة، لأنها كذبة على رسول الله، وقول بلا علم! فقد بين النبي أن أمره بخروجهن ليشهدن الخير ودعوة المسلمين، ويعتزل الحيض المصلى، فأف لم من كذب قول النبي **ـ صلى الله عليه وسلم**ـ وافترى برأيه.. ثم إن هذا القول مع كونه كذبا بحثا فهو بارد سخيف جدا، لأنه **ـ عليه السلام**ـ لم يكن بحضره عسكر فيرهبهم، ولم يكن معه عدو إلا المنافقون ويهدون المدينة الذين يعرفون أن الحاضرات نساء...ـ الحق أن منع المسلمات من المساجد بدعة سيئة، وبلاء نكب المجتمع الإسلامي به، فأورثه الجهل وسوء التربية وشرور التقاليد. ولا شفاء إلا بالعودة إلى سيرة الرسول الكريم وصحابه الأولين.

أف الحكم الجاهلية يبغون ؟ رأيت صورة ظاهرة كبيرة تمر بشوارع باريس، فيها جماهير غفيرة من الرجال والنساء. كان الكل يطلب إعادة عقوبة الإعدام، ويرفع لافتات تستنكر إبقاء الحياة للقتلة والمفسدين!. وتفرست في ملامح امرأة غاضبة تتقدم الصفوف، وقلت: لعلها والدة الطفلة التي اغتصبها أحد الذئاب ثم قتلها بعد ما قضى وطره منها . إنه الآن يعلف في أحد السجون بعدهما حكم عليه القضاء ببضعة عشر عاما!! . وهذا الرجل الذي يلوح بذراعيه! لعله والد الشرطي الذي قتل وهو يطارد لصا يفر بسرقة، إن اللص القاتل يعلف الآن مع زميله في هدوء!. إن القوانين التي وضعها الناس لأنفسهم، والتي رفضت القصاص، وتهاونت مع المجرمين بدأت تؤتي نتائجها المرة.. لأنها قوانين- من الناحية الإنسانية- فقدت التمييز بين الخير والشر والحسن والقبح، والعدل والظلم، ولأنها من الناحية الدينية نسيت الله وحدت حقه في الحكم بين عباده... إذا انحرف مزاج امرئ ما فقتل صاحبه في ساعة غضب فلا قصاص! لأنه مع تعمد القتل لم يرتكبه بعد تفكير طويل!! هذا هو التشريع الذي نقلناه عن أوروبا، ثم ارتفت أوروبا إلى أسفل فقررت إلغاء عقوبة الإعدام!. وقد سمعت بعض صعاليك الفكر من العرب المهزومين يردد الصيحة نفسها!! إنه لا إيمان ولا عقل!.!

لقد حاولت رئيسة وزراء إنجلترا أن تعيد عقوبة الموت للقتلة، ولكن مجلس العموم خذلها، ولا عجب فمجلس العموم ومجلس اللوردات هما اللذان أباحا اللواط مادام بالتراصى!. ومع فساد الفطرة واستبعاد الوحي واستغناة الناس بهواهم فسنرى الأعاجيب... وعندى أن رجال اليهودية والنصرانية فى أوروبا وأمريكا مسئولون عن هذا الارتکاس الخطير، لقد فقدوا البصائر الهادية وأمسى ارتباطهم بالوحى الإلهى أوهى من خيط العنكبوت. لا مكان للوصايا العشر، والناموس الذى قرر عيسى أنه لم يجئ لنقضه، والذى أوجب القصاص والرجم وحارب الفساد والفوضى. هذا الناموس قد صار أثراً بعد عين.. وهذا سر نعى القرآن على من سبقوه من أهل الكتاب ` لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ` . وبدل أن يحيى هؤلاء أمر الله الذى أماتوه يطلبون من المسلمين مشاركتهم فى الإثم، والتواطؤ معهم على ألا يقوم للسماء حكم ! . فإذا طالب أحد بالعودة إلى الأحكام السماوية هاجت أوروبا وماجت، وأنذرت بأن العودة إلى الرجعية ستقابل بالويل والثبور وعظام الامور.. ` أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ` نعم ما يبغون غيره.. !!

الزواج من الأجنبيات نصحته عندما أزمع الهجرة إلى خارج البلاد أن يتزوج قبل سفره من امرأة مسلمة! وقلت له: تحفظ بذلك دينك وتصون مروءتك وتحصن من الفتنة التي تنهمر في مدن أوروبا وأمريكا لا يكاد ينجو منها أحد..! أجابني بفتور: ما على من بأس إذا خرجت وحيدا ثم التقيت هناك بمن تصلح زوجة لي، وهناك مسلمون كثيرون تزوجوا من أجنبيات وعاشوا معهن سعداء! وبعض من هاجر تزوج بأمريكية فاكتسب بهذا الزواج الجنسية، وربح مزاياها الأدبية والمادية!. قلت: ما ربح شيئا، وأحسب أنه خسر دينه ودنياه، وذلك ما أخافه على أمثالك! إن أكثر العرب النازحين، بل إن أكثر المسلمين الضاربين في الأرض طلبا للرزق تملّكهم عقدة الضعفة أو ما يسمى مركب النقص، يرميرون هؤلاء الأجانب من أدق إلى أعلى ويصارعون في هواهم ويترون لغة إلى لغة وعادات إلى عادات وسيرة إلى سيرة، ويتم ذلك كله على حساب الإسلام وشعائره ووصاياته، فلا يمضى أحد بعيد حتى يدع عقيدته وتمسى في نفسه ذكرى خافتة..! قال: هناك مسلمون محافظون نجوا من ذلك المصير الذي وصفت.. ومبّلغ علمي أن الدين يبيح الزواج من أهل الكتاب هودا كانوا أو نصاري، فلا داعى لما تحذر!. قلت: إن الإسلام أباح الزواج من الكتابيات للمسلم الذي يعرف دينه ويعمل به، ووفق صفات لا توجد اليوم بين جمهرة الأوروبيات والأمريكيات..! إنك مسافر تطلب القوت، وأخشى - إذا وجدت من ترضى بك لأمر ما - أن ينشأ

أولادك لا يعرفون صلاة ولا صياما، بل أخشى أن يشبووا غير مؤمنين بالله ولا باليوم الآخر، وستكون زوجتك أقوى منك شخصية وسوف تستعين بسلطان البيئة على إبعادهم كل البعد عن دينك... ثم إن الكلمة أهل الكتاب أبعد ما تكون عن وصف الرجال والنساء في أوروبا وأمريكا، إن التوراة والإنجيل فقدا سلطانهما على الناس! والدين في مظهره العملي لا يعدو أن يكون عطلة الأحد، أو أحفال عيد الميلاد، ثم السخط على الإسلام والنيل من محمد بسفاه غريب.. أما الخمر فسيل لا يغيب وأما الغريزة الجنسية، فإن مجرها في المجتمع ممتد لا يعوقه شئ، وفي الشذوذ متسع لمن سئم الزنا!! ومن يدرى فقد تعود إلينا مصابا بالإيدز..! إن الزواج بالكتابية المحسنة كان جائزًا لمسلم قادر على الإمساك بزمام بيته، وتربية أولاده وفق تعاليم ربه... فأين هذا الآن؟؟ يا بنى إنني أقدر بوعاث الهجرة، وأحترم الرغبة في مستقبل حسن وقديما قال الشاعر: يقيم الرجال المكثرون بأرضهم وترمى النوى بالمقترن المراميا لكن مع وزنك لمطالبك في هذه الحياة لا تنسى دينك، ولا تنس أن سمتك الإسلامية هي شرفك الأول والأخير.

أطفال المستضعفين للبيع على وجه الحضارة الحديثة غشاء ناعم رقيق يخفى قسوتها الدفينه على خصومها في الدين، وعلى جماهير المستضعفين! ولذلك لم أدهش عندما قرأت نبأ تجارة الأطفال التي ظهرت أخيرا في بعض الدول العظمى. والخبر- كما نشرته صحيفة الشعب الجزائرية، تحت عنوان 'أطفال العالم الثالث للبيع' - هو- ت يريد بلدية فرانكفورت اتخاذ الإجراءات لمنع أنشطة مؤسسة تقوم بشراء أطفال من العالم الثالث وبيعهم إلى أسر تتبناهم في ألمانيا الغربية... ويقدر متوسط سعر الطفل من البلد الفقير بـ 7100 دولار! على حين تبلغ قيمة الطفل المجلوب من الشرق الأقصى 8900 دولار، وضعف هذا الثمن للطفل المجلوب من الشرق الأدنى. ويمكن أيضا شراء طفل ألماني بمبلغ 26500 دولار. وتخالف الأسعار حسب ما تطلبه الأمهات تعويضا عن أطفالهن. وصرحت مؤسسة 'هميل وكيلير' لإنشاء الأسر (!) أنها أبرمت إلى الآن عقودا ببيع ثمانية أطفال، وصرح المدير المسؤول أن مؤسسته تقوم بأعمال جد ضرورية وأنه لو لا نشاطها لكان مصير هؤلاء الأطفال الضياع، وأن تهديد البلدية له لن يمنعه من المضي في عمله! ويقبض مدير المؤسسة 200 دولار عن كل طفل يتم بيعه، ويأخذ المبلغ تتقاسمه الأم والمسمار الذي يتم معها الصفقة. إنني أعلم أن القانون الإنجليزي حتى القرن الماضي كان يبيح بيع الزوجات (!) وكل ما صنع أنه حدد سعر البيع حتى يمنع المغالاة..!

هل الفقر من وراء هذه الصفقات المحزنة؟ وهل المتاجرة بالآلام تهبط إلى هذا الدرك؟ أعرف في سنة نبينا - صلى الله عليه وسلم - ما يأبى هذه المسالك كلها، فعن أبي أبيو قال سمعت رسول الله يقول: من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيمة وروى عن أبي موسى لعن رسول الله من فرق بين والدة وولدها وبين الأخ وأخيه . إن الإسلام عندما ظهر في العالم وجد الرق واقعاً ينتظم الحضارات الهندية واليونانية والرومانية وتقره الديانتان اليهودية والنصرانية... وقد بذل جهوداً لتجفيف منابعه وتحجيف أوزاره لكن الدول الأوروبية أبت إلا استبقاءه وترويج تجارتة وإرسال الأساطيل التي تخطف الألوف المؤلفة من شواطئ إفريقيا وترسلها إلى أوروبا وأمريكا. والذى يلفت نظرنا هو الوجه الصفيق الذى يجعل أوروبا تخفي آثامها وتوجه الشتائم المقدعة إلينا! يقول لويس برتران : الشرق؟ إنكم لا تعلمون حقيقته! إنه القذارة والسرقة والانحطاط والاحتيال والقساوة والتعصب والحمامة... نعم إنى أكره الشرق أكره أولئك الذين يرتدون الطرابيش ويعيشون بالسبح . ويقول روبرت دوتراز : الإسلام اليوم نبع جف ماؤه، فماذا باستطاعة المسلمين أن يلقنونا؟ إذا كنا مرضى فهم في حالة النزع! إنهم أصحاب حضارة ساقطة، وديانتهم ولغتهم عقيمتان. الأمثلة الوحيدة التي تأخذها من المسلمين هو أن انحطاطهم يجب أن يعلمنا كيف نتجنب الوصول إلى هذا الدرك!! . ذاك رأيهم فيما عملهم معنا فماذا نقول وكيف نرد ؟؟ وكيف نحمي أنفسنا ونحمي العالم من هذا الاعتداء؟

يتامى المسلمين؟ لم يخل قطر على ظهر الأرض من يتامى فإن الموت يطرق البيوت في كل طرفة عين من ليل أو نهار. ومن الناس من يتوفى دون أن يرى ولده، ومنهم من يخلفهم ذرية ضعفاء أفقر ما يكونون إلى الكافل الرحيم.. وقد كنت أحسب المسلمين أكثر الناس يتامى لأن مغارمهم في حرب العقائد فادحة، والطامعون في فتنهم عن الدين لا ينتهون، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقْاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرْدُوْكُمْ عَنِ الدِّيْنِ إِنْ أَسْتَطَعُوْا... ﴾ . ثم بدا لي أن حروب العدوان في الأرض لا تجف بركتها، وقد قتل في الحرب العالمية الأخيرة خمسون مليونا، وسيل القتلى في الحروب المحلية لا يتوقف، والأيتام يكثرون ولا يقلون.. ثم جاءت كوارث الزلازل والفيضانات فحصدت الأخضر واليابس، وخففت أعدادا من الأرامل واليتامى! فلا عجب إذا حدث الدين على رعاية المستضعفين، وإيواء الأيتام، وترقيق القلوب لهم، وإرصاد الأموال لمساعدتهم. وفي الحديث: ﴿ كافل اليتيم له أو لغيره - أى قريبا أو غريبا - أنا وهو كهاتين في الجنة، وأشار إلى إصبعيه السبابة والوسطى ﴾ . وفي رواية أخرى ﴿ من ضم بيتهما بين مسلمين في طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتة ﴾ .

وعن أبي أمامة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: `من مسح على رأس يتيم - لم يمسحه إلا لله - كان له في كل شعرة مرت عليها يده حسناً` . وجاء أن رجلاً شكا إلى رسول الله قسوة قلبه! فقال له: `امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين` إن مشاركة ذوى الآلام متابعهم والاقتراب منهم يعيده التوازن إلى من أسكنتهم لذات الدنيا، وأذهلهم نعيمها... على أن المسلك الفردى إن أغنى حيناً فهو فاشل في أغلب الأحيان، لا سيما عندما يعم البلاء، وتترافق الآلام... في البلاد التي نكبت بالجفاف تشردت الآلوف المؤلفة، وأجهز الموت على جماهير من الصحايا وفي الحرب بين العراق وإيران مثلاً زهقت أرواح لا حصر لها.. وفي القتال الدائر من بضعة عشر عاماً في لبنان وبين الجبنة وإيرتريا، وبين أقطار شتى في وسط إفريقيا... الخ هنا وهناك يتامى كثيرون، يبلغون مئات الآلوف، أو يتجاوزون المليون، ماذا حدث لهم؟ وماذا يحدث؟ أعرف أن البعثات التنصيرية تلقتهم على عجل، وفتحت لهم المدارس والملاجئ وقامت في صمت بأداء واجبها الذي تكونت من أجله ! بل إن ثريا إيطاليا تبني أكثر من ألف طفل منهم اسمه وماله!! ماذا صنع المسلمين؟ هل تلاوتهم لآيات البر وأحاديث الرحمة تغنى فتيلها، أو تطعم من جوع أو تؤمن من خوف؟ إنه لابد من جهاد جماعي مكثف متصل حتى يمكن إغاثة الملهوفين وتأمين حياتهم وحماية عقائدهم.. إن الفكر البليد والقلب القاسي أقصر طريق إلى الصياع والعار والنار، `وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليرقولوا قولًا سديداً` .

المؤاخاة بديل عن التبني ينظر الناس عادة إلى اللقيط نظرة ازدراء، ويتوهمون أنه لن يكون شخصا طيبا مستقيما في مستقبل عمره! وهذا حكم جائر، وليس له ظهير من نقل أو عقل.. فالدين كشف عن طبائع الناس جميا عندما قال: `كل مولود يولد على الفطرة` فهذا اللقيط برب إلى الدنيا بالحالة النفسية التي يولد بها سائر الناس ليس أحسن منهم معدنا ولا أقل استعدادا للخير!. المهم هو الوسط الذي يتربى فيه، ويتلقى فيه التوجيه الذي ينمي عوده، ويصلح وجوده.. وقد لاحظت قديما وحديثا أن هناك لقطاء وصلوا إلى مناصب رفيعة، وتولوا الحكم فأحسن من أحسن وأساء من أساء !. هل التبني وسيلة لضمان غد أشرف أو أرعد لهؤلاء الذين هرب منهم آباءهم الحقيقيون؟ عند الدراسة نجد أن الأم البديلة أو الأب البديل يؤديان دورا لا يلبث أن يتبخرا أو يزول !. لقد تبنت امرأة العزيز يوسف، بعد ما بيع رقيقا لا تعرف له أهل! فلما نصج شبابه وطابت رجولته تحركت في المرأة أنوثتها، وتلاشت الأمومة المزعومة! ورأت امرأة العزيز أن تكون عشيقة لفتى أغراها خلقه وخلقها.. هل مبيت المتبني مع إخوته المزعومين وأخواته المزعومات ينشئ رحما ماسة أو حرمة طبيعية؟

من الصعب أن يقع ذلك، والذى سيقع أن علاقات أخرى قد تجد... . الواجب أن يجد اللقيط رعاية تصونه مادياً ومعنوياً دون أن تقع مضاعفات غير منظورة لاختلاط مبني على الكذب.. ولا أقبل تصرفات الأوروبيين في الأمور الجنسية فقد عرفت من أيام أن الدانمرك قبلت ما سمي عقد زواج بين شاذين، ونظمت شئون البيت والنفقة وغير ذلك، فلا دين ولا آخرة ولا شرف ولا تقاليد! . إن الإسلام حريص على طهارة الأسرة صارم في منع الريبة، حريص على ضبط الأنساب، وقد قال الله تعالى في قضية التبني كلها ... ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإنهم في الدين ومواليكم . هناك نظام آخر عنوانه الأخوة في الدين والموالاة. لماذا عجزنا عن إقامته ورسم معالمه وتقدير نتائجه وإزالة العوائق من طريقه؟ إن تحول الدين إلى مجادلات فارغة واهتمام بالفروع التافهة صرفاً عن أعمال إيجابية كثيرة!! . صحيح أن اللقطاء في التاريخ القديم كانوا نزراً يسيراً، أما في الحضارة الحديثة فقد قاربت نسبتهم في بعض البلاد عدد المواليد الشرعيين، وليس هذا عذراً لتكلاسلنا، يجب إعداد العدة لبلاء كثير إلى أن يستطيع الإسلام بسط حضارته العفيفة، وإشاعة تعاليمه السماوية فإن مهتماً عليه الصلاة والسلام بعث رحمة للعالمين.

عن التحكم فى جنس الجنين الله سبحانه وتعالى هو الذى يرزقنا الأولاد، يتولى ذلك بعلمه وقدرته، كما ذكر فى كتابه فهو ﴿... لَهُ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا لَهُ مِنْ يَشَاءُ الذَّكُورُ﴾ أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه علیم قادر. ومشيئته هي العنوان الدينى للسینن التي يسير عليها الكون وتحكم ما نبصر وما لا نبصر من شئون الحياة والأحياء.. وقد اهتدى العلماء فى هذا العصر إلى بعض هذه القوانين التي تضبط الوراثة، وتنشأ عنها الذكورة والأنوثة، ولهم تدخلات سوف تتحدث عنها بيد أننا نقدم بين يديها حديثا لابد منه عن عوج أخلاقى ساد الناس قديما ولا يزال يسودهم إلى الآن.. نعم كان الأقدمون يكرهون الأنثى، ويضيقون بمولدها، ويكرهون الزوجة التي تلد البنات! ومازالت أذكى شعرا حفظته وأنا صغير تشكوا فيه زوجة هجرها رحلها إلى أخرى لأن الله لم يرزقه منها إلا البنات! قالت المسكينة: ما لأبى حمزة لا يأتيها؟ يذهب للبيت الذى يلينا..! غضبان ألا نلد البنين! وليس ذلك فى أيدينا! وإنما نأخذ ما أعطينا... والناس يكرهون الأنثى لضعفها، وهم الذين استضعفوها، وضنوها عليها بما ينضح مواهبها ويساعدها على إعطاء الثمر الطيب..!

وقد عاصرت أياماً كان تعليم الأنثى فيها جريمة! وكان ذهابها إلى المسجد منكراً! وكان الملتصقون بالدين يبخسون حقوقها المادية والأدبية جهرة! ولا تزال بقایا من أولئك المتدينين الجهلة تظلم الإسلام بسوء الفهم والعرض في شتى الميادين، ويسلقوننى بألسنة حداد..!. الغريب أن إثارة الذكرى على الأنوثة لا يزال شائعاً بين أجيال كثيرة وهو من وراء ما يسمى بالهندسة الوراثية!.. لقد عرف العلماء بيقين أن الرجل هو الذي يحمل الحيوانات المنوية المذكورة والمؤنثة، وأن المرأة في هذا المجال قابل لا فاعل، وإن كانت هناك ظروف مكانية وزمانية لا تستطيع شرحها تتدخل في تغلب أحد النوعين على الآخر.. وقد تمت تجارب لتقليل الحيوانات المؤنثة في ماء الرجل، كما تمت تجارب لتهيئة ظروف خاصة عند المرأة تميل بالإنجاب إلى أحد النوعين، ولم يصل العلماء إلى نتائج حاسمة بعد، وما زالوا يحاولون... ولا بأس أن ننقل ما تمت مناقشته في منظمة الصحة العالمية حول التحكم في جنس الجنين حيواناً كان أم إنساناً. لقد جرت تطبيقات واسعة في علم الحيوان تمكن فيها العلماء من تحضير كمية كبيرة من السائل المنوي لعدد من الفحول؟ ثم فصل السائل بالتنبيذ إلى قسمين: أحدهما ترجم في الحيوانات المنوية المفضية إلى الذكرة، والآخر ترجم في الحيوانات المنوية المفضية إلى الأنوثة. وباستعمال أحد القسمين في التلقيح الاصطناعي لإناث الحيوانات أمكن أن يميل ميزان أحد الجنسين عن النسبة الطبيعية التي تقارب (50%) لكل منهما إلى حوالي (70%) في اتجاه الجنس المطلوب، ولم يتمكن العلم حتى اليوم من الفصل الكامل لنوعي الحيوانات المنوية بعضها عن البعض الآخر لأسباب عديدة ومعقدة. والسؤال المطروح هنا: ما هو موقف الشريعة الإسلامية من تطبيق هذه التقنية على

البشر؟ وهل يجوز أن تلبى رغبة الزوجين فى تغليب الحصول على جنين ذكرأو العكس، أو أن يتم تغليب أحد الجنسين على الآخر فى طائفة من الناس؟ وبالرغم من وجود صعوبات فى نطاق التطبيق البشري، وخاصة فى تجميع الكمية الكبيرة من السائل المنوى من الزوج وإجراء التلقيح الاصطناعى بمعرفة الطبيب، وأن يحل هذا محل الجماع资料ى الذى تتجلى فيه صفة المودة والرحمة والسكنينة والألفة المقصودة لذاتها فى الحياة الزوجية، ومع هذا لا تعتبر هذه التقنية مستحيلة فى التطبيق البشري مع وجود العقبات وارتفاع التكاليف. ناقش المجتمعون فى الندوة هذا الموضوع، وطرحوا بعض التساؤلات، منها ما إذا كان التحكم فى جنس الجنين يمكن أن يعتبر تدخلا فى الإرادة الإلهية، وهل يجوز للإنسان أن يتحكم فى عناصر المعادلة التى تغير من نسبة الذكور أو الإناث، وهل يتصادم هذا مع الحس الدينى؟ الواقع أن كل ما يفعل فى هذا الجانب يتم بقدرة الله تعالى ومشيئته، وفي حدود دائرة الأسباب والسينن التى أقام الله عليها هذا الكون (وما تشاء ون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيمـا). وتمت فى الندوة مداولات متعددة حول هذا الموضوع، وخلصت فى النهاية إلى التوصية التالية: اتفقت وجهة النظر الشرعية على عدم جواز التحكم فى جنس الجنين إذا كان ذلك على مستوى الأمة، أما على المستوى الفردى فإن محاولة تحقيق رغبة الزوجين المشروعة فى أن يكون الجنين ذكرا أو أنثى بالوسائل الطبية المتاحة، لا مانع منها شرعا عند أغلب الفقهاء المشاركون فى الندوة، فى حين رأى غيرهم عدم جوازه خشية أن يؤدي ذلك إلى طغيان جنس على آخر. أقول: لو استجبنا لأهواء الناس فى إيثار الذكور وسخرنا الطب لبلوغ ما نشتهـى،

ماذا سيقع؟ سيهلك العالم على عجل أو على مكث! إننا بدل أن نتقن الهندسة الوراثية يجب أن نتقن هندسة الأخلاق والتقاليد وأن نفقه قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَبِعِ الْحَقَّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾

الجار له عليك حق لولا أن الخبر نشرته الصحف، وأعقبته تحقیقات دقيقة ما صدقته! امرأة تموت وتبقى جثتها على سريرها بضع سنين ولا يشعر بغيابها أحد من سكان العمارة الكبيرة إلا مصادفة عندما شبت النار في البيت الواسع ورئي إخراج السكان بسلام المطافى..! لقد وجدت رفات المتوفاة هيكلًا عظيمًا باليها هو نهاية المطاف بعد حياة حافلة بجرائم الأعمال أو صفاتها...! ما سأله عن المرأة أحد بضع سنين! ما شعر بغيابها جار قريب ولا بعيد! هذا ما صنعته بنا الحضارة الحديثة، لا يعرف أحد أحدًا ولا يهتم بشئونه، يمرق كل امرئ من بيته إلى عمله ثم يعود أو لا يعود، وجاره غير مكترث ولا ملتفت... لا العربية تعرف هذه التقاليد إن كنا عربا، ولا الإسلام يقبلها إن كنا مسلمين! إن عاهة عفنة أصابت هذه الأمة فأذرت بها وجعلتها أدنى إلى الوحش منها إلى البشر. في الجاهلية القديمة كان الجار مسؤولاً عن كرامة جاره وعن حمايته، بل كان ذلك مبعث فخره عندما يقول: وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز، وجار الأكثرين ذليل! وفي مواريثنا الإسلامية، أن الجار بقية الأهل من ولد ووالد ونسب وصهر، كما جاء في الحديث الشريف `ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظنت أنه سيورثه أى سيجعل له نصيباً في تركة الميت..!!

فماذا حدث حتى وجدنا في أحد البيوت فرحاً وعند جاره ترحاً هذا يبكي وهذا يضحك! لا علاقة بين البيتين ولا صلة بين الفريقين...! في مجتمع المدينة المنورة قدِّيماً كان هناك جفاءً بين المسلمين واليهود، ولكن حق الجوار غالب الفرقـة الدينـية روى مجاهـدـ أن عبد الله بن عمـرو ذـبـحـتـ له شـاءـ فـىـ أـهـلـهـ، فـلـمـ جـاءـ قـالـ: أـهـدـيـتـ لـجـارـنـاـ اليـهـودـيـ أـهـدـيـتـ لـجـارـنـاـ اليـهـودـيـ! سـمـعـتـ رـسـوـلـ اللهـ يـقـولـ: مـاـزـالـ جـبـرـيـلـ يـوـصـيـنـىـ بـالـجـارـ حـتـىـ ظـنـنـتـ أـنـهـ سـيـوـرـهـ وـعـنـ أـنـسـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ - صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - : وـالـذـىـ نـفـسـىـ بـيـدـهـ لـاـ يـؤـمـنـ عـبـدـ حـتـىـ يـحـبـ لـجـارـهـ، أـوـ قـالـ لـأـخـيـهـ مـاـ يـحـبـ لـنـفـسـهـ . وـالـوـاقـعـ أـنـ أـقـرـبـ طـرـيـقـ إـلـىـ تـمـاسـكـ الـمـجـتمـعـ كـلـهـ هـوـ أـنـ يـتـشـبـثـ كـلـ إـنـسـانـ بـجـارـهـ، فـإـنـ الـعـقـدـ لـاـ يـنـفـرـطـ إـذـاـ اـرـتـبـطـتـ كـلـ حـبـةـ بـأـخـتـهـ وـهـلـ الـأـمـةـ إـلـاـ مـجـمـوعـاتـ مـنـ الـجـيـرـانـ؟ـ إـذـاـ لـزـمـ كـلـ اـمـرـئـ جـارـهـ وـغـالـىـ بـهـ لـمـ يـضـعـ أـحـدـ فـىـ طـولـ الـبـلـادـ وـعـرـضـهـاـ، وـفـىـ تـوـثـيقـ هـذـهـ الـعـرـىـ جـاءـ فـىـ الـحـدـيـثـ: مـاـ آـمـنـ بـىـ مـنـ بـاتـ شـبـعـاـنـ وـجـارـهـ جـائـعـ إـلـىـ جـنـبـهـ وـهـوـ يـعـلـمـ !ـ وـفـىـ رـوـاـيـةـ لـيـسـ الـمـؤـمـنـ الـذـىـ يـشـبـعـ وـجـارـهـ جـائـعـ !ـ تـرـىـ مـاـ يـكـوـنـ الـوـصـفـ عـنـدـمـاـ يـمـوـتـ الـجـارـ، فـلـاـ يـشـعـرـ بـمـوـتـهـ أـحـدـ عـدـةـ سـنـيـنـ حـتـىـ تـكـتـشـفـ جـشـتـهـ مـصـادـفـةـ؟ـ أـىـ مـصـيـبـةـ تـلـكـ؟ـ إـنـ الـمـصـاـبـ الـاجـتمـاعـيـ كـثـيرـةـ فـىـ دـنـيـاـ النـاسـ، وـيـنـبـغـىـ أـنـ تـتـكـاثـفـ الـجـهـودـ لـمـحـوـهـاـ، وـمـنـ أـصـدـقـ مـاـ أـحـصـىـ هـذـهـ الـمـحـنـ حـدـيـثـ يـقـولـ: ثـلـاثـةـ مـنـ الـفـوـاقـ، إـمامـ حـاـكـمـ.ـ إـنـ أـحـسـنـتـ لـمـ يـشـكـرـ، وـإـنـ أـسـأـتـ لـمـ يـغـفـرـ، وـجـارـ سـوـءـ إـنـ رـأـىـ خـيـرـاـ دـفـنـهـ وـإـنـ رـأـىـ شـرـاـهـ، وـأـمـرـأـهـ إـنـ حـضـرـتـ آـذـنـكـ وـإـنـ غـبـتـ عـنـهـ خـانـتـكـ !ـ نـسـأـلـ اللهـ السـلـامـةـ مـنـ هـذـهـ الـبـلـاـيـاـ.

فنانون تأهون الكلمات الماجنة عندما يغنونها فنان مشهور تفتح بابا واسعا من أبواب الانحلال والرذيلة! ومن زمان غير قريب غنى عبد الوهاب أغنية الدنيا `سيجارة وكاس` فكان لها فى النفوس أسوأ وقع، ثم صدر قرار بمنعها!! . ولكن أصوات التغزل فى الخمر لا تزال تسمع! ففى أغنية كيلوباترة يردد الفنان المنتشى مثنى وثلاث `ليلنا خمر` ! . ويصف الحبيب التائه الذى يبحث عنه بأنه `أحمر الجبهة كالخمرة فى النور المذاب` . وقبل أن يموت كامل الشناوى قدم لعبد الوهاب أغنيته التى يقول فيها: `قدر أحمق الخطأ... وهذا الكلام طبعا من دلائل الإيمان العميق!!! كما أن من دلائل الإيمان التغنى بكلمات الشاعر المهجري `جئت، ولا أعرف من أين أتت؟ ووجدت قدامى طريقا فمضيت! أو كما قال الشاعر التائه! وهو المعنى الذى ردده عبد الوهاب فى آخر أغانيه، باللغة العامية جايني الدنيا ما نعرف ليه؟ ولا رايحين فىن ولا عاوزين ايه!` . وإذا كان الفنان المصرى لا يعرف لماذا جاء؟ وماذا عليه أن يفعل؟ فإن الفنانين اليهود يعرفون جيدا الإجابة على هذه الأسئلة! ويسحقون تحت نعالهم أمانى العرب فى حياة حرة كريمة ويمضون إلى غايتها وحملة الأقلام الصاحبة يشجعونهم.. أما العرب فإن سamasرة الغزو الثقافى يتحركون فى صفاقة نادرة لتشجيع الفن الخليج، وتضليل سعى الأمة الحجرى.. وإذا كان الدفاع عن الإسلام تهمة، فإن حبل الاتهام يجب أن يطول حتى يمكن أن

يختنق به كل داع إلى الشرف والجد والحق، وذلك ما يرضى به الضمير العلمانى فى أرجاء الأمة العربية!!.. قلت يوما: ألا يمكن أن يقدم الفن عندنا شيئاً يدعم به أبطال الانتفاضة؟ ويحيى به أبطال الجهاد الناجح فى أفغانستان؟ وتصفحت الشعر العربى الحديث فوجدت لبدوى الجبل قصيدة نستطيع بها أن نساند هذا الكفاح، يقول فيها الشاعر: قد استرد السبايا كل منهزم لم تبق فى أسرها إلا سبايانا وما رأيت سياط الظلم دامية إلا رأيت عليها لحم أسرانا! ولا نموت على حد الظبا أنفا حتى لقد خجلت منا منايانا! الشعر يحتاج إلى مغن رجل، ولا أقصد بالرجلة الذكورة، بل أقصد فحولة الأخلاق وصلابة المعدن وشراسة المقاومة إلى آخر رقم. فهل لدينا فى الميدان الفنى رجال من هذا الصنف؟ وإذا غنته امرأة جادة الأداء مجرورة الكبد لهزائم قومها فهل نجد واحدة تصلح لذلك العمل، أمر لا نقع إلا على باكية تهجر الحبيب متأوهة لصده الطويل! ! إن الميدان الفنى فى العالم العربى خبيث التربة، مختل الموازين! إلا من عصم الله.. والغريب أن يحدوه فى طريقه الزائف حملة أقلام تحالفوا مع الشيطان على حرب الإسلام ونسيان الله والشغب على كل جديد نهى، وعلى كل قديم رزى، لأنهم تحت عنوان العلمانية يتآمرون على قتل أمة، تنشد الحياة فى ظلال الإيمان والتقوى، بعيداً عن الإلحاد والغدر.